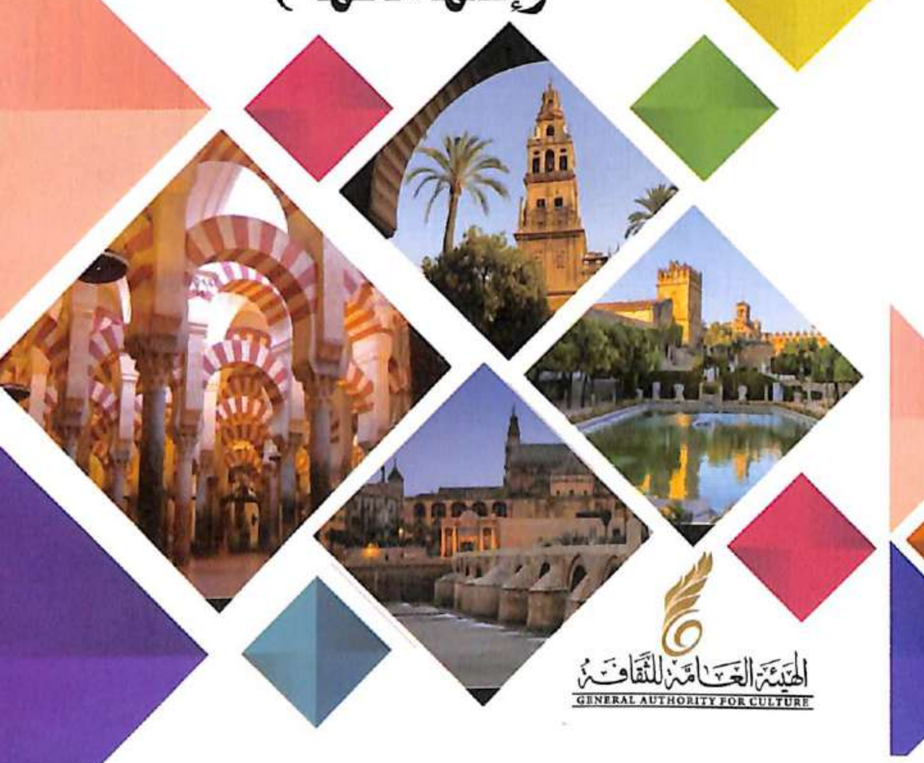
د. محمد فرج مادي

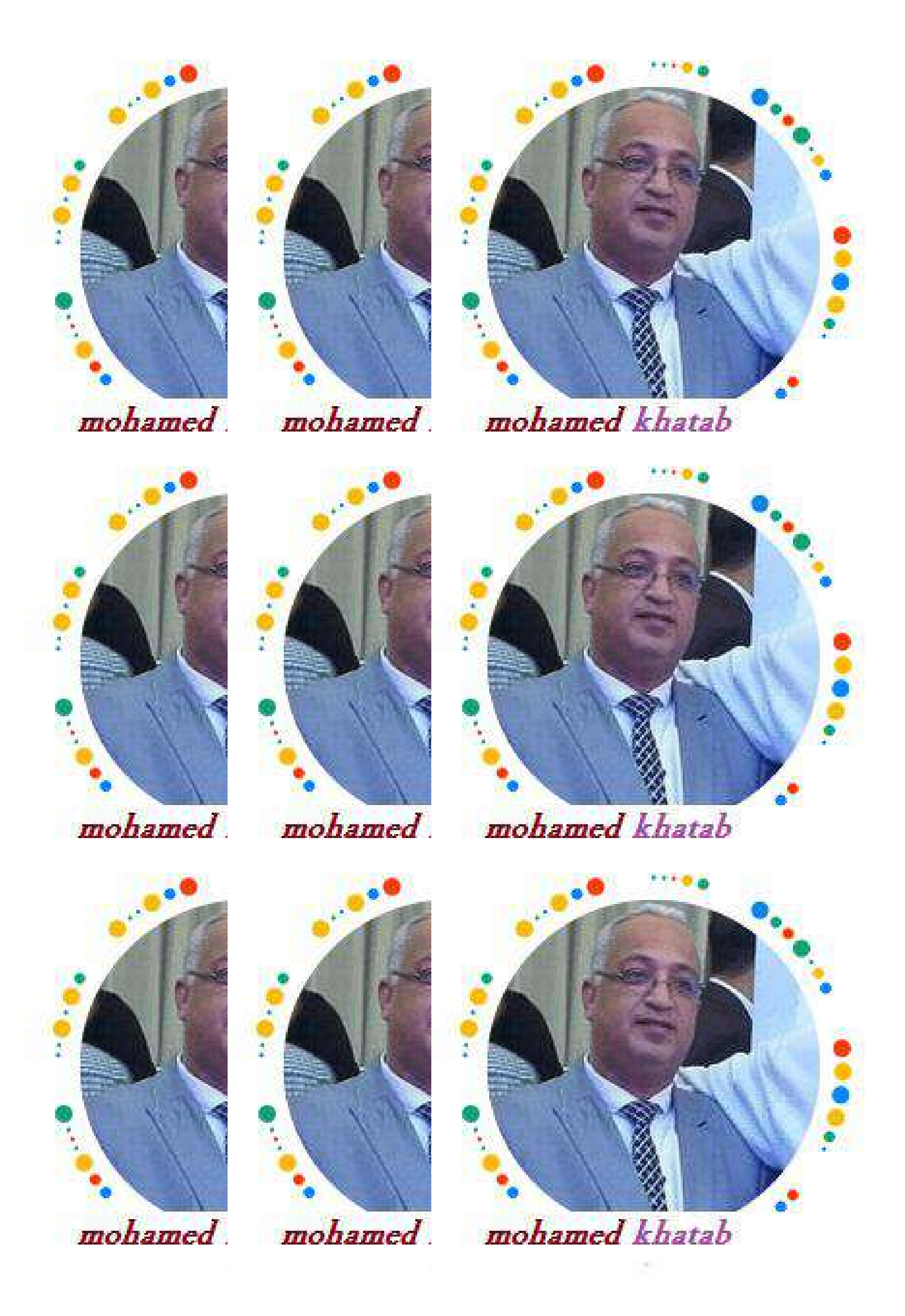
الثقافة في قرطبة

في القرن الهجري الرابع

(مقوماتها ومكوناتها وإسهاماتها)



الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE


mohamed
mohamed
mohamed khatab
mohamed
mohamed
mohamed khatab
mohamed
mohamed
mohamed khatab

إعداد / د محمد فرج مادي حسن

الثقافة في قرطبة في القرن الهجري الرابع

(مقوماتها ومكوناتها وإسهاماتها)

مراجعة لغوية / أد محمد سعيد محمد سعيد



https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

محمد فرج مادي حسن

الثقافة في قرطبة في القرن الهجري الرابع

الطبعة الأولى : **2018** م

رقم الإيداع المحلي: **2018/471**

رقم الإيداع الدولي: **9789959-25-975-2**

دار الكتب الوطنية بنغازي - ليبيا

هاتف: **+7165022.21821** - بريد مصور **+21821-4843580**

ص.ب: **75454** - طرابلس **Email: almosgb@yahoo.com**

بسم الله الرحمن الرحيم

وقـوله تعالى:

﴿ شَهِدَ اللّه أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ أُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم ﴾.

صدق الله العظيم

إهداء

إلى والدي رحمة الله عليه

ووالدتي أطال الله عمرها وأمدها

بالصحة والعافية

إلى زوجي .

إلى أبنائي وبناتي .

إلى إخوتي وأخواتي .

الإشارات والرموز المستعملة في البحث

ص .... صفحة

ص. ص .... صفحات.

تح .... تحقيق.

تر .... ترجمة.

ق .... قسم.

مج .... مجلد.

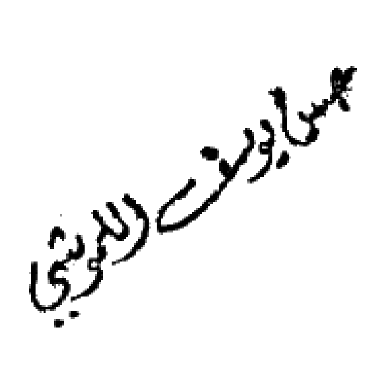
د. ت .... دون تاريخ.

ج .... جزء.

هـ .... هجري.

م .... ميلادي

ق م .... قبل الميلاد



بسم الله الرحمن الرحيم

تُعد قرطبة حاضرة من حواضر العالم الإسلامي، وعاصمة الدولة الأموية في الأندلس " 138 422هـ "، اتسّعت رقعتها العمرانية خلال حكم بني أمّية، وأُنشئت بها المنتزهات، والمساجد والحدائق والقصور والأرباض، وحييا الزهراء والزاهرة، وعندما زارها ابن حوقل سنة 337هـ قال عنها : " وأعظم مدينة قرطبة، وليس بجميع المغرب لها شبيه، ولا بالجزيرة والشام ومصر ما يدانيها في كثرة أهل، وسعة رقعة، وفسحة الأسواق، ونظافة محال، وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق".

وازدهرت المدينة ازدهاراً جعلها محط إعجاب من طلاب العلم من داخل الأندلس، وصارت رحلة العلماء وطلاب الثقافة إليها مستمرة من المشرق العربي، ومن حواضر المغرب العربي: القيروان، وتلمسان، وفاس، ومراكش وغيرها.

ووفد إليها طلاّب وعلماء كثيرون أشهرهما العالمان المشرقيان : أبو علي القالي، وصاعد البغدادي في القرن الهجري الرابع.

وقد أشاد بالعلم في قرطبة الشعراء والعلماء يقول أحدهما ويُنسب البيتان لابن محمد بن عطية:

بـأرْبَـعٍ فـاَقَـتْ الأمْـصَـارَ قُـرْطُـبـةُ	مِنْهُـنَّ قنطـرةُ الـوَادي وجَـامِعُـهَا
هَـاتَـانِ ثِـنْـتَـانِ والـزَّهـراءُ ثـالـثـةٌ	والـعِـلْـمُ أكبـر شَـيء وَهْـوَ رابعُـهَا

ويقول والد علي بن سعيد عن قرطبة رواية عن المقّري التلمساني صاحب كتاب: نفح الطيب : " هي أكثر بلاد الأندلس كتباً، وأشدَ النّاس اعتناء بخزائن الكتب، صارت ذلك عندهم من آلات التعيين والرّياسة حتى إن الرّئيس لا تكون عنده معرفة يحتفل أن تكون في بيته خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس عند أحد غيره ".

ويقول عنها ابن رشد : " إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حُملت إلى قرطبة حتى تباع فيها ".

يبدو أن هذه الحاضرة الغنّية بالثقافة في شتى فروعها هي ما أغرت الدكتور / محمد فرج مادي حسن إلى دراستها دراسة مفصّلة لإبرازها في هذا المؤلّف المعنّون ب " الثقافة في قرطبة في القرن الرابع الهجري، مقوماتها، ومكوناتها، وإسهاماتها

عرَّف الباحث في الفصل الأول بقرطبة من حيث الموقع الجغرافي، ثمَّ تطرق للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهو فصل تمهيدي.

وولج في الفصل الثاني عالم الثقافة في قرطبة، فتحدث عن عوامل ازدهارها بالتفصيل، والتدقيق، فأبرز في ذلك دور المساجد، المكتبات، والكتاتيب والمدارس، وقصور الخلفاء، ومجالس المناظرة، وتحدَّث أيضاً عن ثراء اللغة العربية ومرونتها، والبيئة الأندلسية وتنوُّعها، والرِّحلة المتبادلة بينها وبين علماء المشرق والمغرب.

أما الفصل الثالث فقد خصصه الباحث لإبراز الدور الذي قام به الخليفتان عبد الرحمن الثالث وابنه الحكم المستنصر، والحاجب المنصور بن أبي عامر في ازدهار الثقافة في قرطبة مما جعلها من حواضر العالم الإسلامي الثقافية البارزة، مبيِّناً ما عرف عنهم من حبّهم للعلم والعلماء وتشجيعهم لهم.

وبيّن الباحث في الفصل الربع ازدهار العلوم المختلفة، الدينية والأدبية، والتاريخ، والفلسفة، والطب، مبرزاً أسماء بعض العلماء والأدباء والفلاسفة والمؤرخين والأطباء الّذين جمعتهم قرطبة وأسهموا في نهضتها، وأبرز الباحث آدوارهم في الحياة الثقافية وبعضهم في الحياة الثقافية والحياة العامة كالأطباء.

وجاءت الخاتمة حصيلة الفصول السَّابقة لتبرز لنا أن قرطبة واحدة من أشهر وأبرز عواصم العالم الإسلامي الثقافية في القرن الهجري الرابع خاصة، وفي القرنين اللذين سبقاه.

وهذه الدراسة تُعد إضافة إلى المكتبة الأندلسية تستحق القراءة بما جمعته وحلّلته عن الحياة الثقافية والذي تشتّت في مؤلفات مختلفة. وجاء مجموعاً في هذه الدراسة .

أ . د . محمد سعيد محمد

أستاذ الأدب والنقد

جامعة سبها ليبيا

المقدمة

تعد قرطبة في القرن الرابع الهجري من العواصم الإسلامية في العصور الوسطى التي ازدهرت فيها الثقافة والحضارة، وأصبحت لا تقل أهمية عن مثيلاتها، لا في الأندلس فحسب بل في سائر أنحاء الوطن الإسلامي، فهي لا تقل نشاطاً عن بغداد ودمشق والقاهرة والحجاز في المشرق، والقيروان وفاس بشمال أفريقيا، إلى جانب كونها محطة لرجال العلم ورواد الثقافة والعلماء في الفكر من سائر أرجاء العالم الإسلامي، وإن للجو العلمي السائد فيها في فترة الدولة الأموية أكبر الأثر في إنضاج الكفاءات العلمية وشحن العقول نحو الخلق والابتكار، وأصبحت منارة للعلم وحوت كثيراً من العلوم، وبدأت سوقاً رائجة لتجارة الكتب حتى أصبحت أكبر سوق في المغرب والأندلس، ورحل إليها كثير من العلماء في أنواع شتى من العلوم الدينية والأدبية والتطبيقية من داخل المدن الأندلسية، ومن أقطار المغرب والمشرق الإسلامي لنشر العلم وأنواع المعرفة، وزاد في انتشار وازدهار الحركة الفكرية والعلمية والثقافية فيها حب أهل الأندلس للعلم، بالإضافة إلى كونها أكثر المدن الأندلسية انتشاراً للكتب، وكان علماؤها يعتنون بخزائن المؤلفات، وصار ذلك من آلات التعيين والرياسة حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب يتباهى بها ويقال فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس هو عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد تحصل وظفر به، وبذلك زاد في انتشار وازدهار الحركة الثقافية في قرطبة حب أهلها لاقتناء الكتب وامتلاك المكتبات.[1]

ويعد عصر الخلافة الأموية من أزهى العصور العلمية، حيث نهضت فيه الثقافة الأندلسية نهضة كبيرة وشاملة، وكانت وراء ذلك عدة ظروف كعوامل مساعدة على ازدهار الثقافة في شتى العلوم ومنها الوحدة والاستقرار والأمن والرخاء والتحضر والرقي الذي حدث في قرطبة في القرن الرابع الهجري، كل هذه الظروف لها شأن كبير بالدفع بالحياة الثقافية نحو الازدهار، وساعدت على بروز مستوى رفيع من العلم، وقد قيض الله للأندلس في هذا القرن خليفتين تميّزاً كلّ واحد منهما بشخصية قوية وطموحة وهما

1 - ينظر: أبي عبد الله بن حارث القيرواني الخشني. قضاة قرطبة. الدار المصرية للتأليف، القاهرة 1966م، ص 109. وشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب. تح إحسان عباس.ج1 ، دار صادر، بيروت، 1968، ص. ص462-463.

الخليفة عبدالرحمن الناصر لدين الله (300 -350هـ/912-962م)، حيث تمكن من إعادة الهيبة للدولة ووحد البلاد، وبسط بطاعته ﴿ الأقطار الأمن والطمأنينة، وخلّص البلاد من الأعداء ﴿ الداخل وانتصر عليهم انتصاراً كبيراً، وأمَّن الحدود الخارجية، للبلاد وقضى على أعدائه ﴿ المنطقة الشمالية وكذلك ﴿ عدوة المغرب حيث أطاعه ملوكها بنو إدريس* وزناته* والبربر*، ولذلك استقرت الخلافة الأندلسية على أسس ثابتة، وتمتعت الأندلس بسلم واستقرار ورخاء لم تعرفه من قبل، ووصلت رفعة الوطن إلى أفضل ما وصلت إليه، وأصبح عهده دروة عصورها قوة ﴿ جميع نواحي الحياة، وصارت جميع أقطار الأندلس ﴿ طاعته والرضوخ إليه.[1]

واجتمع ﴿ دولته عليّة الرجال وخيرة من يجيدون الكتابة ﴿ فضلهم وعلمهم وآدابهم، وأتساع إفهامهم مع المروءة الطاهرة والسيرة الجميلة الحسنة، فقاموا بالإبداع ﴿ كل ما تناولوه، ونشروا العلم والثقافة ﴿ قرطبة بفضل ما كان لديهم من قدرة ومكانه علمية، ولهذا نالوا منه التقدير والاحترام، وقرّبهم إليه، وكان يجالسهم ويستمع إلى أحادثيهم وخاصة الشعراء، حيث كان يجّلهم وينسجم معهم ويرتاح إليهم[2]

والخليفة الحكم المستنصر بالله (350-366هـ/962-978م)، ثاني خلفاء هذا القرن تولى الخلافة بعد أبيه عبد الرحمن الناصر لدين الله، وهو على دراية بأمور الحكم والدولة، حيث كان مصاحباً لأبيه طوال فترة حكمه، واستلم الخلافة والأندلس ﴿ حالة جيدة من الهدوء والرخاء والاطمئنان حيث أرسى أبوه دعائمها على أحسن ما يرام، وجرى على النظام السائد نفسه ﴿ الخلافة ولم يغير فيه شيئاً وخاصة ما يتعلق بنظم الحكم والسّلطة. ويُعد ذا حب شديد للعلم والثقافة، وكان واسع الاطلاع، ولم يكن ﴿ بني أمية أعظم همة ولا أجل رتبة ﴿ العلوم وغوامض الفنون منه، ومنذ أيام أبيه انتدب إلى العناية بالعلوم، واستجلب من الأقطار الإسلامية عيون التواليف الجليلة والمصنفات الغريبة ﴿ العلوم القديمة والحديثة، وجمعها ﴿ حياة أبيه و﴿ أيام حكمه، واستطاع أن يتبوأ منزلة علمية رفيعة بين علماء الأندلس، وكون مكتبة كبيرة اقتنى لها نوادر الكتب من شتى بقاع العالم الإسلامي ودفع الأموال الطائلة، وقام بتقدير واحترام وتشجيع العلماء بقرطبة، حيث إن حبه للعلم أضفى عليه تعلقه وحبه للعلماء،

1 -1981م، ص ص135-136. والحميدي. جذوة المقتبس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م، ص.13.

2 - ينظر- أخبار مجموعة. المصدر السابق، ص137، والحميدي. مصدر سابق، ص10. وابن حيان. المقتبس، نشره ب شالميتا، ف. كورينطي،وصبح. ج5، مدريد، 1979م، ص ص40-41.

*- قبائل كبيرة من قبائل البربر تقع ﴿ المغرب الأقصى(ابن الخطيب السلماني. كتاب اعمال الأعلام. تح ليفي بروفنسال. مكتبة الثقافة الدينية القاهرة2006م)

وكان عصره أزهى عصور الخلافة في انتشار الثقافة بجميع أنواعها في قرطبة، حيث إنه أقام مجانيه التعليم، وعمل على إنشاء مجموعة كبيرة من الكتاتيب بلغ عددها سبعاً وعشرين مدرسة موزعة على أنحاء قرطبة، ودفع رواتب المؤدبين وشجعهم على البذل والعطاء والنصح والأمانة في تعليمهم لأولاد الفقراء.[1]. بالإضافة إلى الخليفتين كان ثالثهما الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر تولى الوصاية على الخليفة الطفل هشام المؤيد في الفترة (366-393هـ/978-1005م)، حيث ازدهرت الثقافة وانتشر العلم طوال فترة حكمه، بالقوة والدفع نفسه في فترة خلافة عبدالرحمن الناصر لدين الله وابنه الحكم المستنصر بالله، ولم تتوقف مسيرة العلم، وإنما استمرت وتقدمت في معظم ميادين المعرفة وظهر كثير من العلماء والمفكرين البارزين في كل فرع من فروع الثقافة كاللغة والنحو والشعر والأخبار والحساب والفقه والحديث وعلوم القرآن وغيرها من فروع العلم، وبذلك كان له مجهود كبير في تشجيع العلم، وحاول أن يرتقي بالعلوم إلى مرتقى رفيع ومرموق.[2]

وبذلك صارت قرطبة في القرن الرابع الهجري موطن استقرار سياسي، وبلغت أوج عظمتها وعم السلام والسلم والأمان ربوعها، وكثرت بها الخيرات، واستراحت من الثوار والثائرين بعد أن تم تأمين الحدود الخارجية من جميع النواحي، وعاش أهلها في رغد العيش في ظل هؤلاء الذين تولوا زمام الأمور فيها، واتجهوا إلى بنائها حضارياً وفكرياً وعلميا وثقافيا حتى أصبحت من الحواضر التي لها صيت علمي وثقافي وفكري عالٍ.

2- التعريف بمصطلحات العنوان:

2-أ - الثقافة:

2-أ -1- المعنى اللغوي للثقافة:

كلمة الثقافة تعني صار حاذقاً خفيفاً فطناً فهو يثقف وثقف وثقفه كسمعه وأخذه وظفر به وثقفه تثقيفاً سواه، ولذلك فلفظة ثقافة في اللغة تنتسب إلى فعل ثقف ويعني هذا الفعل اكتساب الحدق والفهم، وثقف الشيء إقام العوج منه، والثقافة تعني العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق بها .[3]

---

1 - ينظر- صاعد الأندلسي. طبقات الأمم. تح حياة العيد بوحلوان. دار الطباعة، بيروت 1985م، ص162-163، وابن الأبار. الحلة السيراء. تح حسين مؤنس، ج1، دار المعارف، القاهرة 1977م. ص.ص201-202.، والحميدي . مصدر سابق، ص94.، وابن عذاري المراكشي. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج2، ط3، الدار العربية للكتاب طرابلس تونس، 1982م، ص.ص240-241.

2 - ينظر- صاعد الأندلسي. مصدر سابق، ص.ص162-163 .و ابن الأبار، مصدر سابق، ص268.، .

3 - ينظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تح إميل بديع يعقوب محمد نبيل طريفي. ج4.دار الكتب العلمية، بيروت د ت، ص28، والمعجم الوسيط. ط4 مكتبة الشروق الدولية، القاهرة2005 ص98، والطاهر أحمد الزاوي. مختار القاموس. الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس، 1979م، ص85.

2-أ -2- المعنى الاصطلاحي:

مصطلح الثقافة مر بعدة أطوار حيث كانت في البداية تستعمل كلمة ثقافة مرادفةً لكلمة حضارة، أي أن كلمتي حضارة وثقافة بمعنى واحد، ويعني هذا أن مفهومهما ينطوي على معنيين اثنين: أحدهما ذاتي وهو ثقافة العقل، وثانيهما موضوعي وهو جملة الأحوال الاجتماعية والمنجزات الفكرية والفنية والعلمية والتقنية وأنماط التفكير والقيم والعادات السائدة[1].

وقد وردت كلمة ثقافة معطوفة على لفظة صناعة في مقدمة طبقات الشعراء للجمحي بقوله: وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم، وتعني كذلك الفهم والقدرة وما يمكن أن يعبر عنه ما يسمى الملكة فإذا أضيفت الكلمة إلى الشعر كانت ملكة الشعر أي القدرة على فهمه وصدقه ونقده[2].

2-أ -3- وقد عرفها قدماء الإغريق في اللاتينية (culture):

بأنّها تعني الفلاحة والتهذيب أو الزراعة والتحصيل العلمي، وكلمة ثقافة اتسع معناها وتطابق، وذلك بأنها المجمل المتشابك المشتمل على المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات، وكل القدرات والمسارات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في جماعة.[3]

2-أ – 4 - وعرفها العلماء المسلمون:

بأنها معرفة علمية مكتسبة تنطوي على جانب معياري مستمد من شريعة الإسلام ومؤسس على عقيدته، وتتجلى في سلوك الإنسان الواعي في تعامله في الحياة الاجتماعية مع الوجود ومع نقد المخلوقات، وكذلك كونها الصورة الحية للأمة الإسلامية التي تعدد ملامح شخصيتها وقوام وجودها، وتضبط سيرها في الحياة، وتحدد اتجاهها فيها لأنها عقيدتها التي تؤمن بها وبمبادئها التي تحرص عليها ونظمها التي تعمل على التزامها وتراثها الذي تخشى عليه من الضياع والاندثار وفكرها الذي تود له الذيوع والانتشار، إلى جانب كونها طريقة الحياة التي يعيشها المسلمون في جميع مجالات الحياة وفقاً لوجة نظر الإسلام وتصوراته سواء في المجال المادي الذي يسمى بالمدنية أو في المجال الروحي

---

1 ينظر:حكمة عبد الكريم فريحات، إبراهيم ياسين الخطيب. مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية . دار الشروق، عمان1989، ص18 . وعبد الحسين مهدي الرحيم. تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. الجامعة المفتوحة، طرابلس1995م ، ص30

2 -2- شحادة الناظور وآخرون. مدخل إلى تاريخ الحضارة، ط2، دار النشر والتوزيع، عمان، 1988م، ص15.

3 عبدالحسين مهدي الرحيم. مرجع سابق، ص.ص31-32.

والفكري الذي يعرف بالحضارة[1].

والثقافة الإسلامية استمدت من القرآن الكريم بكونه كتاباً سماوياً حضارياً يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويرفع من قدرة الآدميين الذين كرّمهم الله عز وجل وخلقهم في أحسن تقويم، ثم استخلفهم في الأرض ليعمروها، وحقق لهم الخير العام، وجاء انتشار ثقافة القرآن الكريم عن طريق الفتوحات الإسلامية التي امتدت في جميع الاتجاهات شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً.[2]

2 أ 5 الثقافة عند علماء الاجتماع:

وفي هذا العصر عرفت عند علماء الاجتماع العرب بأنها أسلوب الحياة في المجتمع البشري الذي يتميز عن غيره من التجمعات الحيوانية، فالعادات والتقاليد والأفكار والتجارب والخبرات التي يشارك فيها أفراد المجتمع الواحد، ويمر بها الإنسان تستقر في أعماقه وتشكل اتجاهاته، إلى جانب أنها تعني المحصلة الكلية للتراث الإنساني والاجتماعي ، وهي نموذج أو نماذج من السلوك الإنساني المنظم والتفاعل الاجتماعي هو مصدر هذا السلوك وصانع ثقافته مستخدماً فكره في ذلك، وبعض المظاهر الإنسانية للثقافة تبقى في المستوى السيكولوجي بينما تكون الأخرى في المستوى الفيزيقي، واستعملت للدلالة على الرقي الفكري والأدبي والاجتماعي للأفراد والجماعات، وبها طريق الحياة إجمالاً فيما يتمثل عليه الطابع العام الذي ينطبع عليه شعب من الشعوب والوجود المميز لمقومات الأمة، والأيدولوجية التي تميز جماعة من الناس عن الجماعات الأخرى بما تقوم به من العقائد واللغة والقيم والمبادئ والمقدسات والقوانين[3].

أما عند علماء الاجتماع الأوروبيين فتعني الدلالة على كل ما صنعه أي شعب من الشعوب أوجده لنفسه من مصنوعات يدوية، ونظم اجتماعية سائدة وأدوات ومعاول وأسلوب للتعبد، أي كل ما صنعه الإنسان أين ما وجد، أو هي التراث الاجتماعي للبشرية، ويعد العلم فرعاً من فروع الثقافة، فدور الطبيعة الدرية في الحرب والصناعة موضوع من موضوعات العلوم الثقافية تهتم به الإنسانية العاقلة، والظواهر مثل تحديد النسل وتنظيم

---

1 – طارق محمد السويدان. فيصل عمر باشر حبيل. صناعة الثقافة، دار أقار للنشر والتوزيع، الكويت، 2007م، ص48.

2 – هاشم المهدي الشريف. قياسات من تاريخ الثقافة الأصلية، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1986م، ص69.

3 – ينظر– محمد أحمد بيومي. المجتمع والثقافة والشخصية، دراسة في علم الاجتماع الثقافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ت، ص73 ، وسامية حسن الساعات. الثقافة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م، ص94،73، وأنور محمد الجندي. أصول الثقافة العربية. \ار المعرفة، القاهرة1971، ص 21، وعبد الهادي الجوهري. معجم علم الاجتماع. المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية د ت، ص ص99،98..

الأسرة ظواهر تنتمي إلى العلوم الثقافية[1].

وقد صدر تعريف للثقافة عن المؤتمر العالمي بشأن السياسات الثقافية بإشراف اليونسكو المنعقد بمكسيكو في 1982/07/06م الذي عرفها بـ «إن الثقافة بمعناها الواسع يمكن أن ينظر إليها اليوم على أنها جماع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان وتضم القيم والتقاليد والمعتقدات»[2].

يتضح من التعريفات السابقة أن الثقافة تشمل مجموع النشاط الفكري والفني بمعناها الواسع وما يتصل بعضها من المهارات، وتشمل مجموعة المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة.

3- منهج البحث:

اعتمدت في كتابه هذا البحث على المنهج التاريخي الذي يحترم الزمن ويلتزم بالتسلسل الزمني ويعطي الأولوية للمصادر القريبة من الفترة الزمنية، ويلزم الباحث باستخدام المصطلحات والكلمات التي كانت مستعملة في زمن الدراسة أي أن لا يستعمل الباحث المصطلحات الحديثة.

5- تحليل أهم المصادر:

لقد اعتمدت على عدة مصادر أولية في كتابة بحثي هذا تتعلق بالتاريخ الأندلسي السياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي وسنذكر أهم المصادر التي تناولتها على النحو التالي وهي:

1- طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي379هـ/989م، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، وكان عالماً جليلاً باللغة والنحو والأدب والسير والأخبار، وكان أخير أهل زمانه وأوجد عصره، ويعد كتابه مرجعاً أصيلاً لتراجم نحويين ولغويين من عهد أبي الأسود الدؤلي في صدر

---

1 - ينظر- ر.م. ماكيفر. شارلز بيدج. المجتمع، تر. علي أحمد عيسى، ط3.ج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1974م، ص123، وسير ادوارد. ايفانزير تشارد. الأنثروبولوجيا الاجتماعية، تر. أحمد أبوزيد، ط5، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1975م، ص164. ورالف بارتن بيري. أفاق القيمة. دراسة نقدية للحضارة الإنسانية. تر عبد المحسن عاطف سلام. مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة1968م ص ص230ـ232، ودافيد كوشمات كويل. السبيل إلى المجتمع العظيم. تر حنا مرقص. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة1965م، ص113، ودينكن ميتشيل. معجم علم الاجتماع. تر إحسان محمد الحسن. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت1981م، ص162.

2 - حسن نافعة. اليونسكو وقضايا التعددية الثقافية والحضارية «رؤية عربية»، مجلة السياسية الدولية، عدد 127 يناير 1997م، ص23.

الإسلام إلى عهد شيخه أبي عبدالله الرياحي إمام اللغة والنحو بالأندلس في القرن الرابع الهجري، وقد أقام كتابه هذا على الطبقات والمدارس، وفصل بين اللغويين والنحويين، وذكر فيه علماء كل دولة على حده، وفي كل دولة ذكر علماء كل مدينة، ويذكر فيه لكل عالم شيوخه وطلبته، وما قام به من تأليف الكتب أو روى من الأخبار، كما عنى بذكر المواليد والوفيات، وقد اعتمدت كثيراً على هذا الكتاب في ذكر النحويين واللغويين في الأندلس الذين عاشوا في القرن الهجري الرابع وقاموا بمجهودات جبارة في ازدهار الثقافة في قرطبة.

2- تاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد عبدالله بن محمد الأزدي المعروف بابن الفرضي 403هـ/1013م، فهو مؤلف من المؤلفات التاريخية التي اهتمت بميدان التاريخ والسير، وترجم فيه لخلفاء الأندلس وولاته وعلمائه، ومن نبغ فيه من أهل الفقه والحديث والأدب، والرواية منذ الفتح الإسلامي وحتى أواخر القرن الهجري الرابع، وقد ذكر فيه أسماء العلماء وكناهم وأنسابهم، ومن كان يغلب عليه حفظ الرأي منهم، وعلماء علم الحديث والرواية والفقه وتفسير القرآن والأدباء والنحويين وكذلك العلماء من الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق ورجعوا إلى بلادهم محملين بعلوم وثقافات وتآليف أهل المشرق، وكذلك ذكرُهُ للعلماء الذين رحلوا من المشرق ودول شمال أفريقيا إلى الأندلس واستقروا بها، وقد أفدتُ من هذا المؤلف في تراجم كثير من العلماء في مختلف ضروب العلم الذين هم قيد دراستي في القرن الرابع الهجري.

3- كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم وهو مجهول المؤلف، وهو مؤلف من المؤلفات التاريخية التي تعتني بتاريخ فتح الأندلس، وأخبارها من الناحية الاجتماعية، وكذلك تناول سيرة من قاموا بفتح المدن الأندلسية، وكيفية تمكنهم منها، بالإضافة إلى تناوله سيرة أمراء الدولة الأموية في الأندلس منذ دخول الأمير عبدالرحمن بن معاوية إليها إلى ولاية الخليفة عبدالرحمن الناصر لدين الله، وقد أفدتُ من هذا الكتاب وخاصة ما يتعلق بالفترة الأخيرة من ولاية الأمير عبدالله وولاية الخليفة عبدالرحمن الناصر.

4- كتاب المقتبس لأبي مروان حيان بن خلف بن حيان الأندلسي(ت 469هـ/1076م)، الجزء الخامس، وهو كتاب إخباري تاريخي يتحدث عن فترة الخليفة عبدالرحمن الناصر منذ توليه الولاية عام ثلاثمائة من الهجرة إلى عام ثلاثين وثلاث مائة،

وقد تناول فيها فترة الحروب التي خاضها ضد الثائرين والمارقين الخارجين على الدولة في الداخل وكذلك الحروب التي خاضها ضد خصومة الشماليين من النصارى، بالإضافة إلى ذكر شعرائه الذين قاموا بمدحه في عدة مناسبات سياسية واجتماعية ودينية، وكذلك من قام بتعينه من الوزراء والقضاة وأمراء الجيوش، ومن قام بتنحيتهم من هذه الوظائف وذكر بعض الهدايا التي قدمها إلى بعض أعوانه ومن هم في طوعه، واستقباله لبعض الشخصيات القادمة إليه من خارج الأندلس، واستقباله واحتفائه بالعلماء، وتناوله فيه ذكر أثره في حماية السنة، وإنكار البدعة وذلك بذكر ابن مسرة وجماعته ومحاربته للبدع التي أظهروها بين عامة المجتمع الأندلسي ومحاولتهم زرع الفتنة بين أهلها. وتناول ابن حيان في كتابه من توفيّ من الوزراء والعمال والفقهاء والقضاة في عهد خلافة عبدالرحمن الناصر في الفترة الزمنية المذكورة. ولقد أفدتُ كثيرا من هذا الكتاب لأنه يتحدث عن فترة مهمة في القرن الرابع الهجري وعن شخصية بارزة في التاريخ الأندلسي.

5- كتاب المقتبس في أخبار بلد الأندلس لأبي مروان بن خلف بن حيان الأندلسي، وهذا الكتاب يتحدث عن الفترة من ثلاثمائة وستين إلى ثلاثمائة وأربع وستين وهي جزء من الفترة التي كان فيها الخليفة الحكم خليفة للدولة الأموية في الأندلس، وتعد هذه الفترة مليئة بالأخبار والمعلومات، حيث تحدث فيها المؤلف عن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية لقرطبة في هذه الفترة حيث تناول مجموعة كبيرة من الشعراء الذين قاموا بمدح الخليفة الحكم وخاصة في المناسبات الدينية كالعيدين الفطر والأضحى، وكذلك ذكره لبعض العلماء الأجلاء كالزبيدي اللغوي النحوي، والفقيه الراوية يحى بن عبدالله بن يحى بن يحى الليثي أرفع مسندي الحديث وقته بقرطبة، وكذلك الحروب التي حدثت في هذه الفترة بين جيوش الخليفة الحكم، وجيوش المناطق الجنوبية المتاخمة للحدود الأندلسية بما يعرف بحروب العدوة، وكذلك ذكر استقبال الخليفة الحكم للوافدين إليه من الشمال، والجنود لتقديم الطاعة والولاء له. ولقد أفدتُ من هذه المعلومات التي اوردها ابن حيان في كتابة بحثي هذا.

6- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس لأبي عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي الحميدي (ت 488هـ/1095م)، وقد قام المؤلف بالترجمة لرجال الحديث والفقه والتاريخ، واختار كثيراً من القطع الأدبية والشعرية التي

توجد في هذا الكتاب، وقد تطرق إلى قضايا سياسية واجتماعية وأدبية، وتناول في الكتاب الطبقة الخاصة من الحكام والمثقفين، وتناول في بداية كتابه الحديث عن فتح الأندلس وذكر الولاة وكذلك أمراء وخلفاء بني أمية، ويعد هذا الكتاب جامعاً للأخبار سواء عن العلماء أو الطبقات المثقفة في المجتمع الأندلسي وخاصة الفقهاء والعلماء بأمور الدين، إلى جانب الأدباء والشعراء والإخباريين.، ولقد اعتمدت عليه كثيرا في معظم التراجم، وتحصلت على معلومات تفيد بحثي في هذه الحقبة الزمنية من التاريخ الأندلسي.

7- كتاب الصلة لأبي القاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود من موسى بن بشكوال بن يوسف بن داحة الانصاري القرطبي(ت 578هـ/1183م)، يعد هذا الكتاب من الكتب التاريخية للأندلس، حيث تناول هذا الكتاب تاريخ العلماء والأدباء والمحدثين والفقهاء بالأندلس في القرون الثالث والرابع والخامس، فاحتوى على توثيقات ونقولات حتى أصبح من أهم المصادر العلمية لتراجم رجال الأندلس في تلك الفترة، وهذه الفترة مهمة جدا في تاريخ الأندلس، وكان هؤلاء العلماء سبباً في ثراء التاريخ الأندلسي، وتمت الإفادة من هذا الكتاب الذي كان متمماً لتاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس للقاضي أبى الوليد بن الفرضي، في استقصاء بعض المعلومات عن العلماء في مختلف ضروب العلم في القرن الرابع الهجري.

8- كتاب «بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس» لأبي جعفر أحمد بن يحى بن عميرة الضبي، وهو كتاب من الكتب التاريخية أيضاء في تاريخ علماء الأندلس ورواتها ومحدثيها وولاتها وشعرائها وأهل النباهة والفكر والأدب فيها، وذكر كل من دخل إليها أو خرج منها في ما يتعلق بالعلم والفضل أو الرياسة والحرب، وتضمن الكتاب لمحة تاريخية عن الأندلس منذ بداية الفتح الإسلامي وحتى هزيمة النصارى على يد الموحدين سنة إحدى وتسعين وخمسمائة للهجرة، وقد اعتمد المؤلف على كتاب «جذوة المقتبس» للحميدي وسار على نهجه وطريقته وزاد عليه المعلومات التي أغفلها الحميدي ولم يذكرها.

وقد تحصلت على معلومات من هذا الكتاب أفدتُ منها في بعض الجوانب من بحثي.

9- كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي المتوفي بعد سنة(712هـ/1321م)، ويعد كتابه من الكتب التاريخية التي اهتمت بالتاريخ المغربي والأندلسي، وقد تناول في الجزء الثاني كل ما يتعلق بالأندلس تاريخيا منذ

دخول المسلمين إليها وانتزاعها من أيدي القوط على يد القائد الفاتح طارق بن زياد عام(92هـ/711م)، إلى وفاة الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر عام (393هـ/1005م)، وقد أفاض في الحديث عن هذه الفترة التاريخية وأعطاها ما تستحق من عناية، وقد ذكر جميع أمراء بني أمية بالتفصيل، و كل الأحداث التاريخية التي حدثت في فترة حكمهم وخاصة ما يتعلق بحروبهم سواء في الداخل أو الخارج، والخارجين على دولتهم والثورات التي صارت ضدهم، والعلماء والشعراء والأدباء وعلاقاتهم بالأمراء، والأعمال التي قام بها الأمراء سواء أكانت معمارية حضارية أم ثقافية أم فكرية، ولذلك فإن هذا الجزء يُعد ملماً بجميع أخبار الأندلس، ومهماً للباحثين في تاريخ الأندلس وخاصة في عهد الدولة الأموية وقد أفدتُ منه كثيراً فيما يتعلق بموضوع دراستي.

10- كتاب أعمال الإعلام لدى الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب السلماني (ت776هـــ/1375م)، وهو من الكتب التاريخية التي عنيت بتاريخ الأندلس السياسي، حيث كتب عن أمراء بني أمية منذ أن دخلها عبدالرحمن بن معاوية وامتلاكه للأندلس عام 138هـ/747م، وانتهى بكتابته عن دولة محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر التي أقامها في الربع الأخير للقرن الثامن للهجرة، وقد تناول أمراء بني أمية وذكر تاريخهم وحروبهم وكل ما يتعلق بالصور السياسية بالإضافة إلى ذكر أشعارهم وأعمالهم الخيرية التي قاموا بها اتجاه أهل الأندلس، وأفدتُ من الأخبار التاريخية التي تناول فيها بالذكر خلفاء بني أمية في القرن الهجري الرابع.

11- كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـــ/1631م)، ويعد هذا الكتاب الذي يتكون من عدة أجزاء كتاباً تاريخياً شاملاً للسياسة والاقتصاد والحضارة والثقافة والمجتمع وخاصة ما يتعلق بتاريخ الأندلس مما جعله وثيقة مهمة، وقد كتب بأسلوب أدبي ليشد القارئ للاطلاع عليه، هذا بالإضافة إلى الصياغة البلاغية والأشعار الجيدة المتضمنة داخل متن الكتاب، وكان أكثر اعتمادي في دراستي على الجزء الأول لما احتواه من معلومات قيمّة عن الفترة قيد الدراسة وخاصة ما يتعلق بالتعريف بمن رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق والمشارقة إلى بلاد المغرب والأندلس، بالإضافة إلى تناوله لبلاد الأندلس تاريخيا والتحدث عن أهم معالمها.

12 كتاب تاريخ ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1407م) وهو من الكتب التاريخية التي تناولت الفترة التاريخية لأمراء وخلفاء بني أمية من حيث سيرهم الذاتية وحروبهم وعلاقاتهم بجيرانهم في الشمال والجنوب ومظاهر الضعف والقوة عندهم، وتطرق إلى ذكر أمجاد الخليفة الحكم المستنصر الثقافية والحضارية وخاصة ما يتعلق بمكتبة الحكم الثاني العلمية، وقد أفدتُ منه في دراستي ما يتعلق منه بالحياة السياسية والاقتصادية.

4- هيكلية البحث:

يحتوي البحث على أربعة فصول وكل فصل يحتوي على ثلاثة أو أربعة محاور على النحو التالي:

الفصل الأول: التعريف بقرطبة ويحتوي على أربعة محاور وهي:

جغرافية قرطبة ومعالمها، الحالة السياسية، الحالة الاقتصادية، الحالة الاجتماعية.

الفصل الثاني: عوامل ازدهار الثقافة بقرطبة ويحتوي على ثلاثة محاور وهي:

دور المعرفة في قرطبة وهي المسجد والكتاتيب والمدارس والمكتبات ومجالس المناظرة، وعوامل داخلية، وهي ثراء اللغة العربية في قرطبة، وثراء البيئة الأندلسية، وسماحة الدين الإسلامي، وعوامل خارجية وهي: رحلة العلماء المسلمين إلى قرطبة ودورهم في ازدهار الثقافة، ورحلة العلماء الأندلسيين إلى المشرق وعودتهم ودورهم في ازدهار الثقافة بقرطبة.

الفصل الثالث: دور الخلفاء في ازدهار الثقافة في قرطبة ويحتوي على ثلاثة محاور وهي:

الخليفة عبدالرحمن الناصر لدين الله ودوره في الثقافة في قرطبة، والحكم المستنصر بالله ودوره في ازدهار الثقافة في قرطبة، والحاجب المنصور محمد بن أبي عامر ودوره في ازدهار الثقافة في قرطبة.

الفصل الرابع: ازدهار العلوم في قرطبة في القرن الرابع الهجري ويحتوي على ثلاثة محاور وهي:

العلوم الدينية وتتمثل في القرآن الكريم وعلم الحديث والفقه، والعلوم الأدبية واللغوية وهي الأدب والشعر والنحو، والعلوم الأخرى وهي التاريخ والفلسفة والطب، بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة والملاحق والفهرسة.

وهذا الكتاب في الأصل أطروحة لنيل درجة الدكتوراه ، وقد أنجزت تحت إشراف أستاذي الكريم الدكتور عبد القادر عثمان محمد جاد الرب ، متّعه الله بعمره وجعله ذخراً للباحثين في التاريخ الإسلامي والتاريخ الأندلسي على وجه الخصوص ، ثم نوقشت في 13فبراير 2014مفي كلية الدراسات العليا جامعة أم درمان الإسلامية ، ونالت تقدير ممتاز.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

التعريف بقرطبة

1/ جغرافية قرطبة ومعالمها.

2/ الحالة السياسية.

3/ الحالة الاقتصادية.

4/ الحالة الاجتماعية.

جغرافية قرطبة ومعالمها
في القرن الهجري الرابع

1-1- الموقع الجغرافي :

تقع قرطبة على سهل مرتفع من سفح جبل قرطبة الذي يسمى جبل العروس، ويؤلف هذا الجبل أحد سلاسل جبال سيراموربنا، ويحدها من الشمال، أما من الناحية الجنوبية تقع على الضفة اليمنى من نهر الوادي الكبير(Guadqivir) الذي ينحني أنحاء طفيفاً نحو الغرب مؤلفاً أهم طريق طبيعي في أسبانيا الجنوبية، وتقع وسط الأندلس ودورتها أربعة عشر ميلاً وعرضها ميلان، وتتكون من خمس مدن يتلو بعضها بعضاً، وبين المدينة والأخرى سور حاجز كبير، وأن المسافات بين ممالكها فمنها إلى المدور ستة عشر ميلاً، غافق مرحلتان، والبيانة أربعون ميلاً، واستجة (Ecija) ثلاثون ميلاً، وقبرة ثلاثون ميلاً وبلكونه مرحلتان.

وعن الساحل مسيرة خمس ليالٍ،ومن ساحل قرطبة إلى غرناطة (Granada) إلى إربونة (Arbonne) وهي اخر الأندلس مما يلي أفرنجة ألف ميل، ومنها إلى طليطلة (Toledo) عشرون ليلة، وإلى بطليوس (Badajoz) على الحادة ست مراحل، وإلى بلنسية (Valencia) اثنتا عشرة مرحلة، ومنها إلى ألمرية (Almeria) سبعة أيام، ومنها إلى كركوية المدينة أربعة أيام، ينظر الملحق خريطة رقم 1 .[1]

وذكر في تفسير قرطبة بلسان القوط، القلوب المختلفة، وهي مدينة عظيمة بالأندلس، أعجمية رومية، ولها في العربية مجال يجوز أن يكون من القرطبة وهو العدو الشديد.[2]

1 -2- لمحة تاريخية عن قرطبة :

ذكر الرازي وابن حيان والحجاري أن اكتيبان تأني قياصرة الروم الذي ملك مساحات كثيرة

---

1 ينظر الحميري . الروض المعطار في خبر الأقطار . معجم جغرافي تح فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت 1990م، ص، 458وابن حوقل النصيبي ،صورة الأرض ،مكتبة الحياه بيروت 1979م ص ص-110 111 وابو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابنخرداد به المسالك والممالك ،مكتبة المثني بغداد 1889م ،98،وأحمد المقري التلمساني ،نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب،ج1، مصدر سابق،ص ص465-457-455،والسيد عبدالعزيز سالم قرطبة حاضرة الخلافة الأندلس ،ج1 ،دار النهضة بيروت 1972م ،ص ص16-15

2 ينظر. الحميري . ،مصدر سابق، ص 458، و أبو عبيد البكري، جغرافية الأندلس، وأروبا من كتاب المسالك والممالك . تح عبد الرحمن علي حجي ،دار الإرشاد بيروت 1968م ، ص 102 و ياقوت الحموي معجم البلدان ،تح فريد عبد العزيز الجندي ،ج1 . دار الكتب العلمية بيروت 1990م، ص 368م ، وصفي الدينعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي مراصد الاطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع . ج3، دار إحياء الكتب العربية، حلب 1992م، ص 15

من الأرض قبل ميلاد المسيح عليه السلام بثمان وثلاثين سنة أمر ببناء المدن الكبيرة بالأندلس، فبنيت في مدته قرطبة (Cordoba) وإشبيلية (Sevilla) وسرقسطة (Zaraqoze)، ووجه اكتيبان أربعة من أعيان دولته للأندلس، فبنى كل واحد منهم مدينة في الجهة التي ولاه عليها وسماها باسمه، وقرطبة مدينة قديمة البناء أزلية من بنيان الأوائل وأغلب الظن أنها إيبيرية الأصل استناداً إلى عدد التماثيل البرنزية الصغيرة ذات الطابع الإيبيري التي أسفر البحث الأثري، وأثبت الباحثون أن الاسم القديم للمدينة هو قرطبة وهو اسم إيبيري الأصل، ويظن أنها من بناء القرطاجنيين، ودخلت في حوزة الرومانيين، وتوالت عليها أحوال شتي من الهجرات والغزوات، وقد ورد اسمها لأول مرة في التاريخ الإسباني في الحرب البونية الثانية أثناء الصراع بين روما وقرطاجة إذ أسهم أهل قرطبة في حملة هنيبال على روما، ثم دخلت قرطبة في سنة 206 قبل الميلاد في تلك الإمبراطورية الرومانية ، وأصبحت في عام 169قبل الميلاد عاصمة إقليم إسبانيا السفلى، وازدهرت قرطبة في عصر الحاكم الروماني (ماركوس كلوديوسمارسيليوس) الذي وسع رقعتها وجملها بالأبنية الرائعة مما كان له الأثر الكبير في اجتذاب عدد كبير من الأسر الرومانية لاستيطانها، وفي معركة موندا التي وقعت عام 45قبل الميلاد تحالف فيها (ماركوس تيرنيوس) حاكم باطلقة مع (بومبي) ضد (يوليوس قيصر) وانتصر في المعركة قائد (يوليوس قيصر)، وأقام فيها، وفي عصر (أغسطس قيصر) انقسمت إسبانيا الجنوبية إلى إقليمين، باطقة في الشرق، ولشدانية في الغرب، واتخذت قرطبة قاعدة لإقليم باطقة، وما لبث أن أصبحت بعد أمد وجيز أحد المراكز القضائية في إسبانيا الجنوبية وهي قادس (Cadez) وإشبيلية واستجة وقرطبة، وتألقت قرطبة في العصر الروماني واتسعت قاعدتها وازدهرت من الناحية العمرانية، ثم كانت الغزوات الجرمانية المدمرة التي تدفقت على إيبيرية منذ عام 409م فقد اجتاحها جحافل قبائل اللان الجرمانية بقيادة ملكهم (هرمانيك) والوندال بقيادة ملكهم (جندريك)، وكانت العناصر الأخيرة من هذه المجموعات أكثر العناصر الجرمانية وحشية وأشدها ميلاً إلى التخريب والتدمير، وانقسمت العناصر الجرمانية في إسبانيا، وأقام القسم الأكبر من الوندال في إقليم باطقة وجانب من شرق الأندلس، ثم بعد ذلك دخلت القوط الغربيين بقيادة (اطاوولف411 م /415 م) إلى أسبانيا، ثم استعان (أتناخيلدا) أحد زعماء القوط الغربيين في عهد الملك القوطي (اخيلا) 549-555م بالإمبراطور البزنطي (جستينيان) لضم القسم الجنوبي الشرقي من الأندلس وبذلك ظلت قرطبة خاضعة للبيزنطيين إلى أن نجح (ليوفيخلدوا) في الاستيلاء عليها عام 568م وجعلها مركزاً أسقفيا، واستمرت قرطبة

تحت حكم القوط حتى تم فتحها من قبل المسلمين على يد القائد مغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك بن مروان، وأصبحت عاصمة للمسلمين منذ أن تولى أيوب بن حبيب اللخمي ولاية الأندلس عام (99هـ/717م)، وعندما تمكن عبدالرحمن الداخل من الاستيلاء على الأندلس عام (138هـ/757م) أبقى على قرطبة مقراً لإمارته، وأصبحت طوال حكم الدولة الأموية مقراً للدولة وعاصمتها.[1]

ولقرطبة سبعة أبواب وهي باب القنطرة إلى الجهة القبلية ويعرف بباب الوادي، وباب الجزيرة الخضراء وهو على النهر، وباب الحديد ويعرف بباب سرقسطة، وباب ابن عبد الجبار وهو باب طليطلة، وباب رومية وفيه تجمع الرصف التي تشق دائرة الأرض من جزيرة قادس إلى قرمونة (Carmona) إلى قرطبة (Cordoba) إلى سرقسطة (Zargoza) إلى طركوشة إلى أربونة (Arbonne) مارة في الأرض الكبيرة، ثم باب طلبيرة (Talvera)، ثم باب عامر القرشي، ثم باب الجوف ويعرف بباب بطليوس، ثم باب العطارين وهو باب إشبيلية[2].

وتُعد قرطبة قاعدة الأندلس وقطبها وأم مدائنها وساكنها ومنتهي الغاية ومركز الراية ومستقر الخلفاء ودار المملكة في النصرانية والإسلام، ومستقر السنة والجماعة، نزلها جملة من التابعين ويقال نزلها بعض الصحابة، ويوجد بها أعلام العلماء وسادات الفضلاء ومنبع النبلاء، ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام القصر وفرسان النظم والنثر، وبها نشأت التأليفات الرائعة وصنفت التصنيفات الفائقة، وهيمن الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد، ونهرها من أحسن الأنهار مكثف بديباج المروج، مطرز بالأزهار، وهي ذات هواء نقي طيب وعيون وآبار، وعندهم ثلج يقع علي جبل يقال له شليرة (Sierra Nevada) يبعد عن قرطبة أربعة أيام، وآبارها طيبة المذاق عذبة باردة يشربون منها في فصل الصيف لشدة برودتها، وكذلك لشدة الحرارة في فصل الصيف، أضف إلى ذلك تمت تغطيتها بشبكة من القنوات المائية لتغذية جميع أحيائها بالمياه العذبة الجارية من المرتفعات المحيطة بها[3].

---

1 - ينظر، شهاب الدين المقري التلمساني ج1 مصدرسابق، ص ص481.455 والسيد عبدالعزيز سالم،قرطبةعاصمةالخلافة. ج1 مرجع سابق ص ص121.116 . واحمد مختار العبادي تاريخ المغرب ولأندلس مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية، دت ص37 وعبدالرحمن علي حجي،التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ،ط3 دار العلم للملاين، دمشق1979م. ومحمد عبدالله عنان. دولة الإسلام في الأندلس،ط4 ج1 مكتبة الخافجي القاهرة1997مص ص75.

2 - ينظر: ابن حوقل . مصدر سابق، ص ص107–108، وأحمد المقري التلمساني، نفح الطيب ،ج1، مصدر سابق، ص 134

3 - ينظر : ابن حوقل. المصدر السابق، ص 107 ،الخشني 0 مصدر سابق، ص 9 ،وأبوبكر أحمد بن آبراهيم الهمذاني المعروف بابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان . مطبعة ليدن ببريطانيا 1302هـ، ص 28. وياقوت الحموي . معجم البلدان ،ج1، مصدر سابق، ص 368. وابو الحسن علي بن بسام الشنتريني– الذخيرة في محاسن آهل الجزيرة تح احسان عباس . ق 1، مج ا، بيروت 1979، ص 33 ، والحميري، مصدر سابق ، ص 456. وأحمد المقري التلمساني، نفح الطيب، ج1، مصدر سابق ، ص 135.

وقد زارها ابن حوقل النصيبي التاجر الموصلي عام337هـ/948م وقال عنها: "هي أعظم مدينة بالأندلس وليس بجميع المغرب شبيه ولا بالجزيرة والشام ومصر ما يدانيها في كثرة أهل وسعة رقعة وفسحة أسواق ونظافة محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق"[1].

وأصبحت أكثر المدن الإسلامية حضارة في الأندلس بصفة خاصة والمدن الأوربية بصفة عامة، وكان العجب يأخذ من قلوب الرحالة الذين زاروها كل مأخذ، وقد اعترف ابن حوقل برغم تحامله على الأمويين بعظمة قرطبة التي سماها بغداد الثانية، وقد بلغت في عهد خلفاء بني أمية من الكبر والازدهار، وأضحت تفوق منافساتها في المشرق بهاء وجمالاً وفخامة حيث عم فيها الرخاء والنعماء والأمن، وازدهرت فيها العلوم والآداب والفنون ورخصت فيها كلفة العيش ونمت نمواً كبيراً، وإنها تنار بالمصابيح ليلاً ويستضئ الماشي بسرجها عشرة أميال لا ينقطع عنها الضوء، وأزقتها مبلطة وقمماتها مرفوعة من الشوارع محاطة بالحدائق الجميلة، وأن سكانها أكثر من مليون نسمة في ذلك الوقت الذي لم تكن فيه أكبر مدينة أوربية تزيد عن خمسة وعشرين ألف نسمة، واتصلت العمارة بها ثمانية فراسخ* طولاً وفرسخين عرضاً، وكذلك من الأميال أربعة وعشرين في الطول وستة أميال عرض، وكل ذلك ديار وقصور ومساجد بطول ضفة الوادي الكبير وظلت قرطبة في الزيادة إلى سنة أربعمائة للهجرة فانحطت واستولى عليها الخراب لكثرة الفتن[2].

ومما قيل في آثارها حين تكامل أمرها في مدة بني أمية حيث قال ابن عذارى المراكشي:

«إن عدد الدور التي بداخلها للرعية دون الوزراء وأكابر أهل الخدمة مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار، وعدد الدور بقصر الزهراء أربعمائة دار الخاصة به وبأهل بيته ومساجدها ثلاثة آلاف»[3].

وتتميز مدينة قرطبة بمعالم كثيرة زادتها بهاء وجمالاً من أهمها:

1- القنطرة:

تقع فوق نهر الوادي الكبير على حنايا وثاق الأركان، وهي من تأسيس الأمم السابقة،

---

1 – ابن حوقل . مصدر سابق، ص107

2 ينظر أحمد المقري التلمساني . نفح الطيب . ج1. مصدر سابق، ص ص540 457 ،و مصطفي السباعي ،من روائع حضارتنا ،ط2، دار الإرشاد ،بيروت 1968م ،ص 144، وابن عذاري المراكشي– البيان المغرب، ج2، مصدر سابق ،ص 232 و Bernhard and Ellen M. whisow Arabic Spain. side lights on her history and artDorfpublishers 16-ltd. London 1986. pp11

3 ابن عذاري المراكشي ،البيان المغرب ،ج2 ،مصدر سابق ،ص 232.

ولقد هدمت من جراء فيضانات مياه النهر قبل الفتح الإسلامي وأعيد ترميمها (*)[1] وتُعد من أجمل القناطر حيث علتها جمعياً فخراً في بنائها وإتقانها.[2]

ولقد قام الشريف الإدريسي بوصفها حيث قال: "تتألف من سبعة عشر قوساً بين القوس والقوس خمسون شبراً، وسعة القوس مثل ذلك خمسون شبراً، وسعة ظهرها المعبور عليه ثلاثون شبراً، ولها ستائر من كل جهة تستر القمة وارتفاعها من موضع المشي إلى وجه الماء في أيام جفاف الماء وقلته ثلاثون ذراعاً، وإذا كان السيل بلغ الماء منها إلى نحو حلوقها،وتحت القنطرة يعترض الوادي رصيف سد مصنوع من الأحجار القبطية والعهد الخشنة من الرخام، وهذا السد ثلاثة بيوت في كل بيت منها أربع مطاحن".[3]

2 - **قصر قرطبة :**

وهو قصر قديم البناء والزمن، تداولته ملوك الأمم السابقة من عهد نبينا موسى عليه السلام، وفيه مبان قديمة من المباني الأولية والآثار العجيبة، تداول في بنائها كل من اليونانيين والروم والقوط ما يعجز الوصف، ثم ابتدع الخلفاء الأمويون فأثروا فيه الآثار العجيبة والرياض المؤنقة، وأجروا فيه المياه العذبة المجذوبة من جبال قرطبة على المسافات البعيدة، وتمونوا المؤن الجسام حتى أوصلوها إلى القصر وأجروها في كل ساحة من ساحاته، وناحية من نواحيه في قنوات الرصاص تؤديها منها إلى المصانع بصور مختلفة الأشكال من الذهب والصهاريج الغريبة في أحواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة[4].

3 -**المسجد الجامع :**

من أكثر مساجد المسلمين تسيقاً وطولاً وعرضاً ويقع في طرف المدينة الجنوبي وسط شبكة من الدروب الأندلسية القديمة على امتداد الواجهة الشرقية لقصر الخلافة، وإلى شمال قنطرة قرطبة، ويفصل بينه وبين القصر الطريق الكبير المسمى بالمحجة الكبرى، حيث يُعد من الوجهة الفنية أروع أمثلة العمارة الإسلامية والمسيحية علي السواء في العصر الوسيط، ومن الوجهة العلمية أكبر جامعة إسلامية يدرس فيها العلوم الدينية واللغوية والتطبيقية

---

1 *. الفرسخ يساوي ثلاثة اميال.

2 ينظر ابن عذاري المراكشي، مصدر سابق ،ص 26، واخبار مجموعة ،مصدر سابق، ص 30

* اعيد ترميمها وبناؤها علي يد الوالي السمح بن مالك الخولاني عام 101هـ790 م ،في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيزفصنعت علي أثم وأعظم مما بني عليه جسر من حجارة المدينة (أخبار مجموعة ،تاريخ فتح الأندلس ،مصدر سابق ،ص 30-131)وأعيد ترميمها في عهد الأمير هشام الرضي بن عبد الرحمن بن معاوية170-180هـ 788 -796م ،حيث تم بناء بعض أجزائها المتهدمة، ابن عذاري المراكشي ،البيان المغرب ،ج2،مصدر سابق ،ص 66)

3 الإدريسي ،كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،ج2 مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ،1994م ،ص 579

4 -أحمد المقري التلمساني. نفح الطيب ،ج1 ،مصدر سابق ،ص ص463-464.

والإنسانية، ويُعد ذا أحكام صنعة وجمال هيئة وإتقان في البناء، فصار يحار فيه الطرف ويعجز عن حسنة الوصف، فليس في مساجد المسلمين مثله تنميقاً وطولاً وعرضاً[1].

4- مدينة الزهراء :

بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر، وهي مدينة كبيرة مدرجة البنيان، مدينة فوق مدينة، وأبدع في بنيانها وتنسيقها حتى بلغ الغاية في الإتقان، وتُعد أجمل ما بني في الإسلام، واحتوت على بيت تم بناؤه في مدة خمس وعشرين سنة يقال له مجلس القليق، وهو آية في الجمال حيث كان سمكه من الذهب والزجاج الغليظ الصافي، وحيطانه مثل ذلك،وله قراميد من الذهب والفضة، وفي سطحه صهريج مملوء بالزئبق، وفي كل جانب من المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على أقواس من العاج والأبنوس على سوار من الزجاج الملون وكانت تدخل الشمس في تلك الأبواب فيضرب شعاعها في سمك المجلس وحيطانه فيصير من ذلك نوراً يتلألأ يأخذ الأبصار، ومما زاد الزهراء جمالاً طلاء جميع مبانيها باللون الأبيض، إلى جانب غرس سفح الجبل الذي بنيت عليه بأشجار التين واللوز، وكان لذلك أكبر الأثر في تجميل مدينة الزهراء وخاصة في فصل الربيع عندما تتفتح الأزهار بين الجبل والسهل، وزادت هذه المدينة قرطبة بهاء وجمالاً مما جعلها من أجمل المدن في الأندلس والعالم الإسلامي.[2]

4- العلم في قرطبة:

لم تكن قرطبة أقل أهمية من مثيلاتها لا في الأندلس فحسب بل في سائر أنحاء الوطن الإسلامي، فلم تكن أقل نشاطاً وأهمية عن بغداد ودمشق والقاهرة والحجاز في المشرق، وهي محطة طلاب العلم ورواد الثقافة في الفكر من سائر الأنحاء، وان للجو السائد بها في فترة الدولة الأموية أكبر الأثر في انضاج الكفاءات العلمية، وشحذ العقول نحو الخلق والابتكار، وأصبحت منارة للعلم، واحتوت على كثير من العلوم، وذات سوق رائجة لتجارة الكتب حتى أصبحت أكبر سوق في المغرب والأندلس، ورسخ وازدهر التعليم

---

1 – ينظر، زكريا بن محمود القزويني ،أثار البلاد وأخبار العباد ،دار صادر بيروت1969م ،ص 552، و ابو عبيد الله محمد بن ابي بكر الزهري كتاب الجغرافية ،تح محمد حاج ،صادق مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ،د ت ،ص 87،والإدريسي ،مصدر سابق ،ص 456،والسيد عبد العزيز سالم ،قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ،ج2، مرجع سابق ،ص 195 .

2 ينظر، ابن حوقل ،مصدر سابق ،ص 107 ، وأبو عبد الله محمد بن أبي بكرالزهري، ،مصدر سابق ،ص 87، والإدريسي، مصدر سابق ،ص 581 ،وابن عذاري المراكشي، مصدر سابق ،ص 231 ،وأحمد المقري التلمساني ،نفح الطيب ،ج1، مصدر سابق ،ص 524، والسيد عبد العزيز سالم ،قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ،ج1، مرجع سابق ،ص 234،

و THOMAS Glick. Islamic and Christian Spain in the early middle age . Princeton university press. Princeton new jersey . 1979, p6.

بين العامة والخاصة بها، وبذلك احتوت على كثير من العلماء في انواع شتى من العلوم الدينية والأدبية والتطبيقية، وقد جاء هؤلاء من خارجها سواء من المدن الأندلسية، أو من خارجها وخاصة من شمال أفريقيا ودول المشرق الإسلامي لنشر العلم وأنواع المعرفة، وزاد في انتشار وازدهار الحركة العلمية والفكرية والثقافية فيها حب أهل الأندلس في امتلاك الكتب ومحاولة الحصول عليها بأي شكل، ويدفعون فيها أغلى الأثمان حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب، وقيل في تفضيل قرطبة على غيرها من المدن الأندلسية في ازدهارها العلم بها أنه إذا مات عالم بأشبيليه فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع الآتة حملت إلى إشبيلية[1]

وكذلك مما يدل على حب أهل قرطبة للكتب ومحاولتهم وضعها في خزائن الكتب،فإنه قد روى الحضرمي حادثاً طريفاً أغضبه وقع له في سوق الكتب بقرطبة قال: «أقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيه وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء إلى أن وجدته وهو بخط جيد ففرحت به أشد الفرح، وجعلت أزيد في ثمنه فيرجع إلى المنادي بالزيادة على إلى أن بلغ فوق حده، فقلت له يا هذا أرني من يزيد في هذا الكتاب حتي بلغه ما لا يساوي: قال فأراني شخصاً عليه لباس رياسة فدنوت منه وقلت له أعز الله سيدنا إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت فيه الزيادة بيننا فوق حدة، فقال لي:لا أدري ما فيه ولكن أقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد أستخسنته ولم أبال بما أزيد فيه والحمد لله على ما أنعم به الرزق فهو كثير، فقلت لنفسي نعم إن أمثال هذا الرجل يملكون ثمن الغالي من الكتب لك حكمتك يارب تعطي البندق لمن لا نواجدً له »[2]

2/الحالة السياسية في قرطبة في القرن الهجري الرابع العاشر الميلادي:

الوضع السياسي: في القرن الهجري الرابع / العاشر الميلادي كانت الأندلس وعاصمتها قرطبة قد بلغت ذروة قوتها، وكانت في ذلك الوقت أعظم الدول بما تحصلت عليه من عناصر القوة والفتوة ومنعة الجانب وروعة الملك ورفيع الحضارة، وهي حقبة تاريخية زاهرة تعاقب في قيادتها ثلاثة من قادة الدولة الإسلامية في الأندلسهم:

---

1 – ينظر: الخشني ،مصدر سابق ،ص109، و ابن بسام الشنتريني ،ق 4، مج1 ،مصدر سابق ،ص 33،وأحمد المقري التلمساني ،نفح الطيب ،ج1، مصدر سابق ،ص ص153-463،وابن خلدون ،تاريخ العلامة ابن خلدون ،ط3،ج1، مكتبة دار الكتاب اللبناني بيروت 1967م ،ص 772،ول دايريلديورانت ،قصة الحضارة ،مصدر سابق ،ص 306

2 – أحمد المقري التلمساني، نفح الطيب،ج1 . مصدر سابق، ص463.

1-عبد الرحمن الناصر:

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، وكان يكنى: أبا المطرف، وأمه أم ولد اسمها مزنه، ولد بقرطبة سنة(277هـ/890م)، واستلم الإمارة بعد وفاة جده عبد الله بن محمد في عام(300 هـ/912م)، وهو ابن ثلاثة وعشرين سنة، وجلس للبيعة في محراب المجلس الكامل بقصر قرطبة، وتولى أخذها له على الخاصة والعامة بدر بن أحمد مولاه، وموسى بن محمد بن حدير صاحب المدينة، وحضر أعمامه وأعمام أبيه وطبقات قريش وصفوف الموالي وعامة الناس، فبايعوه مبايعة رضى واغتباط بوجوه مهلهلة وصدور منشرحة وألسنة داعية شاكرة لله عز وجل على ما قلدوه من أمره، وكانت ولايته للخلافة تعد سابقة في خلافة بني أمية في الأندلس، حيث أنه تولاها على صغر سنه وفي وجود أعمامه فتصّدي إليها وجازها دونهم، وفضل عليهم جميعاً، ولم يعارضه أحد منهم أو طالب بالخلافة بدلاً منه لأنه ليس من صلب أبيهم وإنما ابن أخيهم، وبذلك كان عهده من أزهي وأقوى هذه الحقبة الزمنية، فيها بلغت قرطبة عاصمة الخلافة ذروة القوة والعزة والمنعة والازدهار، وفيها قامت الخلافة الأموية في الغرب الإسلامي قوية، وكانت قرطبة في هذه الفترة الزمنية العاصمة الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وكانت في الطرف الآخر من أوربا تحت أضواء حضارة جديدة لعبت دورها المميز في تكوين الحضارة الأوربية، ويعد من أعظم بني أمية بالأندلس سلطاناً وأفخمهم في القديم والحديث شأناً، وأطولهم في الخلافة بل أطول ملوك الإسلام مدة وزماناً.[1]

تولى الأمير عبد الرحمن الناصر الإمارة الأندلسية في وقت عصيب جداً وهي جمرة تحتدم ونار تضطرم وشقاق ونفاق تحيط بها الفتن والثورات والحروب في معظم أرجائها حيث كانت ولاية جده عبد الله بن محمد(275-300هـ/888-912م) مليئة بالاضطرابات السياسية وسلطة الحكومة الأموية في قرطبة ضعيفة محدودة، وقام الثوار باقتسام أطرافها وتكاثر عليها الأشرار والمفسدون والمرتدون، وانحصرت السلطة الأموية في قرطبة، ولقد كان كبير الثوار عمر بن حفصون المجاور لعاصمة الخلافة والمتمركز في حصن بَرْبَشْتَرُ قام بالاستيلاء على معظم البلاد مثل حصن البيرة (Elvira) وأستجة

1 ينظر. الحميدي ،مصدر سابق، ص ص12-13، وابن الآبار. الحلة السيراء. ،تح حسين مؤنس،ج1 ،دارالمعارف القاهرة 1977م ،ص 197م، وابن عذاري المراكشي. مصدر سابق ،ص 158 ،وابن الأثير .الكامل في التاريخ .ج8 .ط 3. دار صادر بيروت 1966م، ص 731،و حسن إبراهيم حسن .تاريخ الإسلام السياسي والاجتماعي والديني .ج1 ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة 1984م ،ص 194.

(Ecieja)، وكان ابن حجاج قد استولى على إشبيلية (Sevilla) وقرمونة (Carmona)، وقام عبد الرحمن بن مروان الجليقي بالاستيلاء على بطليوس (Badajoz)، وعبد الملك بن أبي الجواد بباجة (Baja)، وابن السليم بشدونة (Sidonia) وخير بن شاكر بشودر، وعمر بن هديل على حصن المنتلون وبني هايل على حصون جيان (Jaen)، وسعيد بن سليمان بن جودي أستولى على غرناطة (Granada)، وأبي بكر بن يحي بشنت مرية (Santamaria) ويحي التبحيبي الأنقر أستولى على سرقسطة (Zaraqoza) وقام هولاء الثوار بالخروج عن طاعة الدولة ومحاربته، وامتنعوا عن أداء الأمر، لصاحب الأمر ولم يستطع الأمير عبد الله ردعهم والسيطرة عليهم[1]

بدأ عبد الرحمن الناصر عهده بداية قوية فيه شدة وصرامة وثقة بالنفس، حيث قام بإصدار منشور عام إلى الثوار المستقلين في نواحيهم يعهدهم فيه بكل أنواع الوعود الطيبة من مال وسلطان إذا عادوا إلى الجماعة والوحدة والطاعة، وفي الوقت نفسه هدد من لم يفعل ذلك بالحرب والتشريد ومصادرة الأموال، ولقد جاء هذا المنشور في الوقت المناسب، لأن الناس قد ملت هذه الحروب الطويلة الطاحنة التي أخذت بأمنهم، وتجارتهم وتفكيرهم وطموحاتهم بالنهوض بالدولة فكريا، وثقافياً وعلمياً واقتصاديا واجتماعيا، واستخدم الناصر لدين الله منذ توليه الإمارة لإرجاع الدولة إلى ما كانت عليه من الهيبة والقوة والعنف إلى حد أنه وصف بأنه لم يكن يماثله أحد من الأمراء الذين سبقوه في الحكم، وبدأ بمحاربة المنشقين على دار الخلافة بقرطبة بكل ما يملك من قوة وحكمة، واستطاع أن يقضي على جميع الثورات والاضطرابات وإخماد نارها إخماداً تاماً، وينقذ الأندلس من أعدائها حيث قضي على الثورات الداخلية، وكانت أقواها وأكثرها خطراً على أمن الدولة ثورة المتمرد عمر ابن حفصون، بحصن ببيشتر(Bobastro) والمناطق المجاورة له، وقام بمحاربته منذ توليه الأمر سنة(300هـ/912م)، واستطاع التغلب عليه وهزيمته هزيمة نكراء، وتم استرجاع هذا الحصن وحوالي أكثر من ثلاثين حصناً آخر كانت تحت سيطرته، وبذلك تمكن من القضاء عليه، وخلص البلاد من شره وفتنته ورجعت الأمور إلى دار الخلافة، واستطاع التخلص من ابن حفصون بموته عام(306هـ/918م)، أما الثوار

[1]- ينظر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلس ،العقد الفريد ،تح عبد المجيد الترحيني ج5 ،ط 3 ، دار الكتب العلمية بيروت 1987م ،ص 239،وابن حيان، المقتبس في رجال الأندلس، تح مشلوم انطنيو ،ج3، باريس1937م، ص ص 368،367، و لسان الدين ابن الخطيب السلماني، كتاب أعمال الأعلام ،تح ليفي بروفستال مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 2006م ،ص 27، وابن عذاري المراكشي ، مصدر سابق ،ص ص 122-123 ،وأحمد مختار العبادي في التاريخ العباس والأندلس، دار النهضة العربية بيروت 1971م ،ص ص52،51 و
Hottinger Arnold .arabischekultur in Spain. Muenchen .wilhelmfrink 1995.p20

بمدينة طليطلة فبدأ بقتالهم ومحاصرتهم حصاراً شديداً حيث عادوا إلى الطاعة، أما إشبيلية فاستطاع أن يجعل أهلها يرضخون لطاعته، وقام باستخلاصها من الثائر عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج بعد محاصرتها بالإضافة إلى استرجاع مدينة قرمونة منه، واستولي على حصن المنتلون من الثائر سعيد بن هديلة، بالإضافة أنه استرجع مجموعة من الحصون والقلاع بالصلح بدون حرب وإراقه الدماء مثل حصون شمنتان، منينشة، وادي بنت عبدالله، بحيلة، وبفتوبره، ايكور، أسسانة، حيث إن أصحاب هذه الحصون والقلاع قدموا الطاعة والولاء له، ويعد هذا الفعل من جانبهم عملاً يذكر في التاريخ، وهو من الأعمال الخيرة التي تدل على رجاحة العقل، فقام برد الجميل إليهم حيث أعطاهم الأمان وعفى عنهم، واصطحب أولادهم ونساءهم إلى العاصمة قرطبة، وأنزلهم منزلاً حسناً، وبذلك استطاع القضاء على الفتن الداخلية.[1]

أما الفتن الخارجية فقام الناصر بمحاربة أعدائه من النصارى، حيث هاجم ممالكهم في الشمال وتدخل في الخصومات التي كانت قائمة بين القشتاليين* والليونيين* والتبريين*، وعمل على إضعافهم وتمكين سلطانه عليهم، واستطاع أن يقوم بحملة على أنصار الخلافة الفاطمية في شمال أفريقيا واستولى على قسم كبير من الأرض التي إلحقوها بدولتهم وغزا موانيهم بأسطوله الضخم الذي ضاهي أسطولهم،وبعث بجيوشه نحو الشمال، فغزا بلاد الباسك (البشكنش) واستولى على كثير من قلاعهم،واستولى على بلاد تلفاز،وبذلك تمكن من إعادة الهيبة للدولة، ووحّد البلاد بعد أن أخمد الفتن وقضى على الانقسامات والفوضى، واستمر في هذه الحروب والغزوات لفترة تزيد على عشرين سنة وبسط بطاعته في الأقطار الأمن والطمأنينة، وخلص البلاد من الأعداء في الداخل والخارج وانتصر عليهم انتصاراً باهراً بقي خالداً في التاريخ إلى يومنا هذا .[2]

وبعد أن قام عبد الرحمن الناصر بالقضاء على الفتن والثورات الداخلية التي كانت

---

1 ينظر. :ابن حيان المقتبس في أخبار أهل الأندلس . ج5 ،مصدر سابق ،ص صمن58-282، و لسان الدين ابن الخطيب التلمساني، كتاب اعمال الاعلام ،مصدر سابق ،ص 30،وابن الاثير ج 8،مصدر سابق ،ص 74،وعبد الرحمن ابن خلدون ،مصدر سابق، ص 298،و احمد بن يحي بن احمد بن عمير الضبي بغية الملتمس في اخبار أهل الأندلس مجريط 1983 ،ص ص -247 295وأحمد مختار العبادي في التاريخ العباسي والأندلس ،مرجع سابق ،ص 378و محمد سعيد أطلس ،تاريخ العرب ،ط2 ،المجلد الثاني ،بيروت 1979م ،ص 246.

*مدن أسبانية لم يدخلها المسلمين، وظلت على عدائها للمسلمين(اخبار مجموعة، مصدر سابق ص 126)

2 – ينظر. :اخبار مجموعة ،مصدر سابق،ص136 ،وابن حيان المقتبس،ج5 ،مصدرسابق ،ص ص379-380-381، وابن الخطيب السلماني ،كتاب اعمال الاعلام ،مصدر سابق ،ص 37، السيد عبد العزيز سالم ،تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح حتي سقوط الخلافة في قرطبة ،دار النهضة العربية بيروت 1981م ،ص 289،وحنالت بالنتيا ،تاريخ الاندلس، ترجمة حسين مؤنس ،مكتبه النهضة المصرية القاهرة 1955م ،ص 7

عاصفة بدولته وممزقة لشملها، وأصبح الناس في عهده مع بعضهم البعض في هدنة ووضعت الحروب أوزارها ،وأيضاً أمَّن الحدود الخارجية للبلاد، وقضى على أعدائه في المنطقة الشمالية، ومدت إليه أم النصرانية من وراء الدروب يد الإذعان، وأوفد إليه رسلهم وهداياهم من روما والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم، ووصل إليه في بلاده ملوك الجلالقة من أهل جزيرة الأندلس المتاخمين لبلاد المسلمين كجهات قشتالة(Castilla) وينبولونه(Pampalona) وما إليها من الثغور، فقبلوا يده والتمسوا رضاه ،وأطاعه ملوك العدوة وبنو إدريس وزناتة والبربر وأجاز إليه الكثير منهم.[1]

بعد كل هذا وبعد ما رأى ما ألم بالخلافة بالمشرق من ضعف سلطان الدولة العباسية وعصف الثوار الأتراك بالخليفة العباسي المقتدر وسيطرة الشيعة على السلطة في شمال أفريقيا. بالقيروان، وأصبح الناس في معظم أرجاء الدولة الإسلامية في فوضى كبرى أمست بالسلطة في دار الخلافة الإسلامية ببغداد، حيث استبد الموالي وعبثهم بالخلفاء بالعزل والاستبداد والقتل والسمل، وذهب عبد الرحمن الناصر إلى مثل مذاهب الخلفاء بالمشرق وأفريقيا، ورأى أنه أصبح في مكانه سياسية واجتماعية مرموقة، وأن ملكه بالأندلس في غاية ما يكون من الضخامة ورفعة الشأن رأى أن تكون الدعوة له في مخاطباته، والمخاطبات له في جميع ما يجري ذكره فيه بأمير المؤمنين لما استحقه من هذا الاسم الذي هو له بالحقيقة ولغيره بالانتحال والاستعارة وهو ابن الخلائف، ولهذه الأسباب أعلن نفسه أمير المؤمنين الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله* ،وذلك يعد أول من تلقب بأمير المؤمنين من أمراء الأندلس، ينظر الملحق رقم4.[2]

واستقرت الخلافة الأندلسية في عهد عبد الرحمن الناصر على أسس ثابتة، وتمتعت الأندلس بالسلم والاستقرار والرخاء لم تعرفه من قبل، ووصلت رفعة الوطن الأندلسي إلى أفضل ما وصلت إليه،وهكذا كان عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله في الأندلس ذروة عصورها قوة في جميع نواحي الحياة ،فلم يوجد فيها بعد ثائر ولا خارج

---

1 - ينظر ابن حيان المقتبس ،ج5 ،مصدرسابق،ص ص -434 457،و ابن الخطيب السلماني. كتاب اعمال الاعلام ،مصدر سابق ،ص 37 ،وابن خلدون ،مصدر سابق ،ص 299.

2 - ينظر ابن حيان المقتبس ،ج5، المصدر السابق، ص 24، والحميدي ،مصدر سابق ،ص ص12-13 ،و ابن الآبار . ،مصدر سابق ،ص 198، وابن عذاري المراكشي ،مصدر سابق ،ص ص198-199 ،ولسان الدين ابن الخطيب السلماني ،الإحاطة في أخبار غرناطة ج3 ،تح محمد عبد الله عنان مكتبة الخافجي القاهرة 1975م ص465، شهاب الدين أحمد المقري التلمساني ،ازهار الرياض في اخبار عياض . تح مصطفي السقا وأخرون ،القاهرة 1940م، ص 258 ، وابن خلدون ،مصدر سابق، ص 299 و Hottinger . Arnold opcitp 20.

*. انظر الملاحق. رقم4.

على القانون وإنما كل أفراد الشعب يعيشون في أمان وصار جميع أقطار الأندلس في طاعته والرضوخ إليه، وبعد كل هذه الأفعال المجيدة انتقل إلى رحمة الله الخليفة عبد الرحمن الثالث سنة ثلاثمائة وخمسين من الهجرة،وتسعمائة واثنين وستين من الميلاد ولم يبلغ أحد من بني أمية في الولاية مدته، وبذلك انتهت حقبة زمنية مضيئة في الأندلس من جميع النواحي.[1]

وعلى الرغم ما وصل إليه الخليفة من عز ورفاهية وحياة وفخر وغناء فقد وُجد بخط يده هذه العبارة: «أيام السرور التي صفت لي دون تكدير في مدة سلطاني يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا فعدت تلك الأيام فوجد فيها أربعة عشرة يوماً»[2].

2. الخليفة الحكم المستنصر بالله:

وهو الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل،ولد بقرطبة في سنة(302هـ/914م)، وأمه مرجانه، فهو أثير أبيه* فورث سلطانه وسمي المستنصر بالله ويكنى أبا العاصي، وتولى الخلافة من بعد موت أبيه عام(350هـ/962م)، وعمره سبع وأربعون سنة، وكان ملكاً جليلاً عظيم الصيت رفيع القدر عالي الهمة، واشتهر بحبه للجهاد في سبيل الله والوطن،وتولى الخلافة من أبيه وهو على دراية بأمور الدولة حيث كان مصاحباً لأبيه طوال فترة حكمه، وقد استلم الخلافة والأندلس في حالة جيدة من الهدوء والرخاء والاطمئنان، حيث أرسى أبوه دعائمها على أحسن مايرام، وجري الخليفة الحكم المستنصر على نفس النظام السائد في الخلافة ولم يغير فيه شيئاً وخاصة ما يتعلق بنظم الحكم والسلطة،واستطاع بحسن سيرته وهمته العالية أن يسكن الفتن جميعها، ولم يقم الثوار بأي عمل يحدث القلاقل ويعكر مزاج الخليفة وشعبه فظلت البلاد على همتها ومنعتها.[3]

وأما خارجياً فإن الحكم منذ توليه الخلافة قام بغزو ملوك الدولة المسيحية وذلك نظراً لأنه لم يمض القليل من أيام توليه الخلافة حتى بدت من الأمراء النصارى نزعة

---

1 ينظر. ابن حيان المقتبس ج5 مصدر سابق ،ص ص101-102 والحميدي . مصدر سابق ،ص 13، عبد الواحد المراكشي .المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،تح محمد سعيد العريان القاهرة 1963م ،ص ص54-55، ومحمد عبد الله عنان ،الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية. مطبعة مصر القاهرة1958م . ص6.

2 - أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي . شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج3،المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ،د ت ،ص 3 .

3 - ينظر. الخشني، مصدر سابق ،ص1، والحميدي ،مصدرسابق ،ص 13 ،والضبي مصدر سابق ،ص19 ،ولسان الدين بن الخطيب – الإحاطة في أخبار غرناطة مصدر سابق ،ص 486 ،ولسان الدين بن الخطيب ،كتاب اعمال الاعلام ،مصدر سابق ص 41 ،وأبو الفلاح بن الحي الحنبلي، امصدر اسابق ،ص 55.

* أثير أبيه : يقصد بها حب والده له وتقديره واحترامه

العدوان، حيث إنهم كانوا يظنون بعد موت الخليفة عبد الرحمن الناصر بأن الأمور ستصير إلى الأسوأ، وسيدب الضعف في دولة قرطبة، ولم تعد كما كانت عليه من القوة والمنعة،وقاموا بنقض العهود الذي كان بينهم مع الناصر لدين الله، وذلك قيامهم بهدم بعض حصون الحدود، بالإضافة إلى قيام ملك قشتالة (Castilla) (فرنان كونثالث) Fernan (Gonzalez) الذي استقل بها عن مملكة ليون (Leon) بالإغارة على أراضي المسلمين المجاورة، وهي مايلي الثغر الأعلى وشمال الثغر الأدنى، وانضم إليه الكثير من النصارى المتعصبين ولكن الخليفة الحكم المستنصر في البداية لم يكن متحمساً لحربهم مؤثراً، الاعتصام بالسلم، ولكن لما تمادوا في بغيهم أخذ في التأهب للحرب والاستعداد للجهاد في سبيل الله والوطن، وتمكن من غزوهم ومحاربتهم، فقام بفتح حصون كثيرة ومدن جليلة وسبى وغنم وانصرف غانماً ظافراً، وبذلك استطاع التفوق عليهم وإعادة الأمن إلى ثغور المسلمين، واستمرت هذه الغزوات بينه وممالك النصارى في الفترة منذ(351-354هـ/962-965م).[1]

أما من جهة الغرب والدولة الفاطمية في شمال أفريقيا فاستطاع الحكم الثاني أن يؤمن حدوده من هذه الناحية، حيث قام بنفسه بالذهاب إلى المرية* والاطلاع على سير الأمور فيها، وتأمينها من أي تحرك فاطمي، وقام بمعاينة ومطالعة ما استكمل بها من حصانة واستعداد أهلها للدفاع عنها في أي وقت من خطر الدولة الفاطمية، وأمن الخليفة شرهم، واستطاع أن يتحالف مع بعض القبائل المغربية وهي زناتة، وخطب ملوكها على المنابر له بالمغرب الأوسط والأقصى، واستطاع أن يقضي على حكم بني إدريس وإنزالهم من ملكهم بالعدوة من ناحية الريف، وأجلاهم إلى الإسكندرية .[2]

أما الخطر الخارجي الآخر الذي داهم خلافة المستنصر بالله فهو خطر النورمانديين (Losnormandos)، وقد ظهر هؤلاء المجوس عام(355هـ/966م)، حيث ورد كتاب إلى الخليفة بوجود خطر وهو ظهور أسطول المجوس بالمحيط الأطلسي، واضطراب أهل ذلك الساحل كله لذلك، وكانوا في ثمان وعشرين مركباً،وإنهم قد اضروا بها، ووصلوا

---

1 - ينظر. الحميدي. مصدر سابق ص 16، ولسان الدين الخطيب. الإحاطة في أخبار غرناطة. مصدر سابق ص ص486 – 487، وابن عذاري مصدر سابق ص 234، وابن خلدون تاريخ ابن خلدون . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت 1971م، ص ص144-145،وأحمد مختارالعبادي في التاريخ العباسي والأندلسي.مرجع سابق ص 432، والسيد عبد العزيز سالم تاريخ المسلمين واثارهم في الأندلس. مرجع سابق ص 290.

* مرفئ بحري على ساحل البحر الابيض المتوسط، اجنوب الأندلس، ويستعمله أهل الأندلس في حالة الحرب والسلم.

2 - ينظر. ابن حيان .المقتبس تح علي الحجي دار الثقافة بيروت 1965، ص ص69-89 ، وابن عذاري . مصدر سابق ص 234، ولسان الدين بن الخطيب – الإحاطة في أخبار غرناطة.ج1 مصدر سابق ص 487وابن خلدون. تاريخ ابن خلدون .مصدر سابق ص 144

إلى أراضي أشبونة (Lesbona) فخرج إليهم المجاهدون، وقتل فيها كثير من المعتدين، وخرج عليهم أسطول إشبيلية (Sevillc) فاقتحموا عليهم بوادي شلب، وحطموا عدداً من مراكبهم وحرروا من كان فيهامن المسلمين، وقتلوا جملة من النصارى وانهزموا أثر ذلك وفروا خاسرين[1].

وأعاد المجوس الكرة مرة أخري سنة(360هـ/971م) وظهروا في البحر من ناحية سواحل الأندلس الغربية على عادتهم حيث تحرك الأسطول البحري الأندلسي من قاعدة في المرية إلى إشبيلية وتم فيها جمع كل الأساطيل البحرية للركوب إلى ناحية الغرب، وأمر الخليفة الحكم الثاني قائد الأسطول البحري ابن الخطيب بإقامة الأسطول في نهر قرطبة واتخاذ المراكب فيها على هيئة مراكب المجوس تأهيلاً للركوب إليهم وهزمهم شر هزيمة[2]

وعاش المسلمون في عهد المستنصر بالله في أمن ورخاء بعدما أمن وأسكن الثورات في الداخل، وأمن حدوده مع دول الجوار حتى توفى سنة(366هـ/976م)، وكانت مدة حكمه خمس عشرة سنة عن عمر يناهز ثلاثة وستين سنة .[3]

وبعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر بالله تولى الخلافة بعده ابنه هشام المؤيد، وكان يكنى أبا الوليد عام(366هـ/976م)، ولما تولى الحكم كان عمره عشرة أعوام وبضعة أشهر فلم يزل محجوراً ولا ينفد له أمر. [4]

لقد كان الخليفة الحكم المستنصر بالله قبل وفاته أخذ البيعة لابنه هشام عام (365هـ/975م)، بأن يكون ولي العهد على الرغم من صغر سنه، وعدم درايته بأمور الدولة أو السياسة متخطياً بذلك ثلاثة من إخوته أبناء الناصر وهم عبد العزيز شقيقه والأصبغ والمغيرة، وكان هذا الاختيار بناء على إلحاح من أم هشام صبح البشكنسية وبمعاونة كل من محمد بن أبي عامر والحاجب جعفر المصحفي، وأخذت له البيعة من الخاصة والعامة في قرطبة وسائر بلاد الأندلس.[5]

وعند وفاة الحكم المستنصر أخفى الفتيان الصقالبة (فائق وجودر) نبأ وفاته عن جميع

---

1 - ابن عذاري . المصدر السابق، ص 239.

2 - ينظر، ابن حيان ،المقتبس ،المصدر السابق ،ص 93،و ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق ،ص 145. ابن عذاري، المصدر السابق ،ص 241.

3 - أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ،ج3، مصدر سابق ،ص 55.

4 - ينظر، الحميدي ،مصدر سابق ،ص 17، والضبي. مصدر سابق ،ص 19، وابن خلدون . تاريخ ابن خلدون. ج4 ،مصدر سابق ،ص 147.

5 - ينظر، ابن عذاري . مصدر سابق ،ص 249،وا بن بسام الشنتريني الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،تح أحسان عباس ،ق4 . بيروت 1979م ،ص 57

من في القصر، وقررا عزل هشام المؤيد عن الخلافة وإسناد الحكم وزمام أمور الدولة إلى عمه المغيرة ابن عبد الرحمن الناصر لدين الله، واستقدما الحاجب جعفر المصحفي وأخبراه بقرارهما فتظاهر بالتأييد لهما ثم خرج وضبط باب القصر، واجتمع مع أصحاب الهاشمية وقادة الجيش وأتباعه من البربر ومحمد بن أبي عامر صاحب الشرطة، ونعى لهم الخليفة الحكم المستنصر بالله، وأطلعهم على تدبير الفتيين (فائق وجودر) واتفق الجميع على بقاء هشام في ولاية العهد وعقد البيعة له، وقتل عمه المغيرة وقام محمد بن أبي عامر بهذا الأمر. [1]

وتمت البيعة للطفل هشام بالخلافة، وتولى محمد بن أبي عامر أخذ البيعة له واستمر في ذلك أياماً وكتب بها إلى الأقطار فلم يردها أحد،وفي اليوم السادس من جلوسه عين حاجب أبيه جعفر المصحفي حاجباً له، كما عين محمد بن أبي عامر وزيراً له ليعين المصحفي في تدبير دولته، ونرى أن أصرار الحاجب المصحفي ومحمد بن أبي عامر على إبقاء هشام بن الحكم على رأس الهرم في الخلافة غاية في نفسيهما وهي الاستيلاء على مقاليد الدولة.[2]

3- الحاجب المنصور بن أبي عامر:

وهو أبو عامر محمد بن أبي حفص بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الداخل إلى الأندلس مع طارق بن زياد، وهو من أسرة يمنية معافري قحطاني النسب من حمير ولد بالجزيرة الخضراء في عام(327هـ/937م)، وكانت أسرته استقرت بالجزيرة الخضراء، وكان أبوه من أهل الدين والزهد في الدنيا، توفى أثناء عودته من الحج بمدينة طرابلس الغرب، وذهب محمد بن أبي عامر إلى قرطبة شاباً تجري في عروقه حماسة وشجاعة الشباب، وله همة يحدث بها نفسه بإدراك معالي الأمور، وامتاز بين أقرانه بالذكاء وعلو الهمة والطموح إلى مدارك الرقي حتى تملكته الرغبة في النفوذ والسلطان، ،وطلب العلم منذ وصوله مدينة قرطبة، ولقد أخذ دكاناً صغيراً عند باب قصر الخليفة ليكتب للخدم والمرافقين للسلطان، ثم أصبح كاتباً لأم هشام فاستحسنت كتابته، وطلبت من الخليفة الحكم المستنصر أن يكون وكيلاً لها ولولدها

I - ينظرابن الأبار ، مصدر سابق ،ص 258، وابن بسام الشنتريني.المصدر السابق ،ص 58،وابو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ،ج3،مصدر سابق ،ص ص143-144

2 ينظر. الحميدي. . مصدر سايق ،ص 17 ،والضبي. ،مصدر سابق ،ص 19 ولسان الدين أبن الخطيب التلمساني ،أعمال اللأعلام ،مصدر سابق ،ص 48، و ابن عذاري المراكشي ، مصدر سابق ،ص 254، وأبن خلدون ،تاريخ أبن خلدون ،ج4 ،مصدر سابق ،ص 318.

عبد الرحمن، وبعد وفاته وكيلاً لابنها هشام عام (359هـ/969م) تم تنقل في الوظائف من الأدنى إلى الأعلى،ونجد أن أم هشام وراء كل هذه المراتب الرفيعة التي تحصل عليها حيث أضاف إليه الحكم النظر في أمانة دار السكة، ثم أضاف إليه الخزانة، ثم تولى خطة المواريث وبعدها قضاء مدينة أشبيليه ولبلة، وفي عام(361هـ/1971م) رقّاه الحكم إلى مرتبة الشرطة،ثم قدمه إلى الأمانات بالعدوة، وقبل وفاته كلفه النظر في الحشم.[1]

وبعد ان استطاع الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر التغلب على الخليفة الطفل الصبي أخذ يخطو خطوات سريعة مكنته من وضع يده على مقاليد الأمور في البلاد وأول هذه الخطوات القضاء على نفوذ الصقالبة الدين في القصر وعددهم يزيد على الألفين بأن ضم عدداً منهم إليه وشرد الباقين بعد أن قتل زعيمهم (دري) الفتي الصغير واستخرج منهم أموالاً جمّة وهلكوا عن آخرهم في أسر عمدة ، وقد استعان بالحاجب جعفر المصحفي في التخلص منهم ومن نفوذهم وانضم إليه بنو بزرال من برير زناته بالمغرب وتبعه سائر الجند.[2]

وعندما تعرضت أطراف الدولة الأموية لغارات النصارى على أثر وفاة الخليفة الحكم المستنصر بالله، أراد أن يظهر للناس بأنه يستطيع أن يدافع عن الوطن والعباد، ويقود الجيش إلى بر الأمان ويكون نداً لخصومه في الشمال وفي الجنوب، ولهذا تطوع ابن أبي عامر بقيادة الجيش في أول رجب سنة(366هـ/ 976 م) فنازل حصن الحامة من أعمال ردمير فدخلها وانتصر وغنم الغنائم بعد أن استطاع الانتصار على النّصارى المعتدين ورجع إلى قرطبة، مرفوع الرأس، فعلا ذكره بين الجند وسمت همته والتف الناس حوله، وبعد شهور من العام نفسه خرج في غزوته الثانية حيث التقى بصاحب الثغر الأعلى القائد غالب كبير مماليك الخليفة الحكم الثاني والخصم الكبير للحاجب جعفر المصحفي الذي كان له نفوذ كبيرة في القصر واتفقا معاً على القضاء عليه .[3]

---

1 ينظر. ابن حزم الأندلسي. جمهرة انساب العرب. تح عبد السلام هارون. ط4. دار المعارف القاهرة ،دت ،ص 418، والحميدي. مصدر سابق ،ص ص78،79، وابن الآبار. مصدر سابق ،ص ، 268، و ابن عذاري ،مصدر سابق، ص ص256 –257 ،و لسان الدين الخطيب . الإحاطة في اخبار غرناطة ،مصدر سابق ،ص 102 ، ولسان الدين الخطيب . كتاب اعمال الاعلام ،مصدر سابق ،ص 59 ،و ابن بسام الشنتريني. ق4 ،مج1 ،مصدر سابق ،ص 60، وابن سعيد . المغرب في حلي المغرب ،تح. شوقي ضيف، ط2 ج1 . دار المعارف، القاهرة1964م، ص 199 ،وابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ،ج4 ،مصدر سابق ،ص 462، وأحمد المقري التلمساني ،ج1 ،مصدر سابق ،ص 375.

2 ينظر. ابن حيان المقتبس ،تح علي الحجي ،مصدر سابق ،ص 192 ،و ابن عذاري ،مصدر سابق ،ص 263، وابن سعيد. مصدر سابق ،ص 202،ولسان الدين بن الخطيب السلماني . أعمال الاعلام ،مصدر سابق ،ص60، وابن بسام الشنتريني. الذخيرة في محاسن أهل لجزيرة ،مصدر سابق ،ص 62.

3 ينظر. أبن بسام الشنتريني. ق4. مج1 . مصدر سابق ،ص ص62–64، وابن الخطيب السلماني ،كتاب اعمال الاعلام،مصدر سابق ،ص 60–61

وعندما رجع الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر إلى قرطبة منصوراً واستمال قلوب العامة والخاصة وساد الأمن مدينة قرطبة بعد أن ضبطها بنفسه تمكن من القضاء على الحاجب جعفر المصحفي حيث قام بالتدبير على عزله وإسخاط السلطان عليه وعلى أولاده، وطُلبوا بالأموال، وانتهي به الأمر إلى السجن حتي مات فيه عام(371ه/981م)، وبذلك تخلص من أهم المنافسين له للأخذ بزمام الأمور في الدولة، وبعد ذلك جاء الدور على أم هشام صبح البشكنسية حيث استطاع التغلب عليها وأخذ الأموال التي في خزائن القصر ونقلها إلى داره، وكانت آخر عقبة أمامه وهي القضاء على القائد غالب وحصل له ذلك، فذهب إليه في مدينة سالم ودارت حرب بينهم استطاع فيها محمد بن أبي عامر القضاء على غريمه وخصمه عام(371هـ/981م)[1]

وفي العام نفسه تسمي محمد بن أبي عامر بالحاجب المنصور، وحجب الخليفة هشام المؤيد عن الناس بحيث لايراه أحد، وأشاع أن السلطان فوض إليه النظر في أمر الملك، وتخلى له عنه لعبادة ربه، وبطش بالأمويين في البلاد داخل قرطبة الذين خافهم على سلطته حتى أفنى من يصلح منهم للولاية، ثم فرّق بقيتهم في إنحاء المدن الأخرى خارج قرطبة، واتبع سياسة تقديم العنصرين البربري والصقلبي، وتأخير عنصر العرب وفتك بجميع منافسيه ولم ينج من سيفه ولده عبد الله عندما تآمر عليه، ولا ابن عمه عمر بن عبدالله بن أبي عامر المعروف بعسقلاجة ولا صهره غالب الذي سبق ذكره .[2]

وعندما تولى ابن أبي عامر الحجابة على الخليفة هشام المؤيد رأى بعض الفقهاء في قرطبة بأنه على علاقة بالعلوم التي يروا أنها لا تمت إلى الإسلام بصلة وأنها ضده وخاصة علم الفلسفة وعلم النجوم وبعض العلوم الأخرى المشابهة، ولهذا حاول التظاهر بأنه غير ذلك ويُعد نفسه من رجال الدين، ولهذا صحب بعض الفقهاء ورجال الدين ومن بينهم الفقيه ابن دكوان والزبيدي إلى مكتبة الحكم الثاني بالقصر، وقام بجمع كل الكتب والمؤلفات المتعلقة بالعلوم التي يعتبرونها ضد الدين، وقام بإخراج جميع الكتب المتعلقة بعلم الفلسفة والفلك والنجوم، وقام بإشعال النار فيها بيده بمشاهدة الفقهاء ورجال

---

1 – ينظر. ابن عذاري المراكشي. مصدر سابق ص 279 و ابن بسام الشنتريني. المصدر السابق ص 66، وابن الخطيب السلماني .كتاب اعمال الأعلام .مصدر سابق ص 61، و أبي نصر الفتح بن خاقان تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الأندلس تح مديحة الشرقاوي. مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 2001م، ص 56، وابن سعيد . مصدر سابق، ص201 وأحمد المقري التلمساني .ج1 مصدر سابق ص 123

2 ينظر. ابن حيان .المقتبس تح علي حجي. مصدر سابق، ص193 الحميدي .مصدر سابق ص 78، وابن عذاري. مصدر سابق ص ص278,279 ،و لسان الدين الخطيب. اعمال الاعلام مصدر سابق ص 65 وأحمد المقري التلمساني . ج1 مصدر سابق ص ص73-74-382

القضاء وكل منهم له علاقة بالدين من أئمة المساجد والمؤدبين للقرآن الكريم والفقه الإسلامي حيث شاهدوا بأنفسهم وبأعينهم هذا الفعل من قبل المنصور بن أبي عامر، وبهذا استطاع أن يضحي بشغفه وتعلقه بتلك العلوم في سبيل غاياته[1].

وتعددت غزوات المنصور لبلاد النصارى حتى دانت له أقاصي بلاد الشرك، ودخلت له بالسلم تحت ملكه، ولقد توافدت عليه وفودهم واحداً تلو الآخر، حيث وفد عليه رسول القسطنطينية ورسول صاحب روما وقشتالة بهدايا وكلهم يخطب وده، وبلغ عدد الغزوات أكثر من خمسين غزوة واحدة تلو الأخرى، وقد أقام الهيبة للدولة، فدانت له أقطار الأندلس كلها وأمنت به ولم يضطرب عليه شيء منها أيام حياته لعلو هيبته وحسن سياسته، وكان ذا همة ونية في الجهاد مواصلاً لغزو الروم حتى إنه كان يخرج للمصلى يوم العيد فتقع له نية في الغزو فلا يرجع إلى قصره، فيخرج بعد انتهائه من الصلاة كما هو من فورة إلى الجهاد، وكان في أكثر زمانه لا يخل بغزوتين في السنة، وتوفي في طريق الغزو في أقصى الثغور بمدينة سالم سنة (393هـ /1005م)، وتولى بعده ابنه عبد الملك بن محمد الملقب بالمظفر، ثم أخوه عبدالرحمن بن محمد الملقب بالناصر، وعرفت الدولة العربية الإسلامية في الأندلس في المدة التي تولى فيها محمد بن أبي عامر وأبناؤه الحجابة للخليفة هشام المؤيد باسم الدولة العامرية، وذلك أنهم سلبوا الخليفة كل سلطانه واستأثروا بالحكم دونه.[2]

وبذلك نجد أن القرن الهجري الرابع أي منذ أن تولى الخلافة عبد الرحمن الناصر لدين الله وبعده ابنه الحكم المستنصر ثم الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر السلطة في قرطبة ظلت في استقرار سياسي وبلغت أوج عظمتها وعم السلم والسلام والأمان، وكثرت الخيرات بها واستراحت من الثوار والثائرين بعد أن تم تأمين الحدود الخارجية من جميع النواحي سوى الشماليين من جهة النصارى أو الجنوبين من جهة الدولة الفاطمية، وعاش أهلها في رغد العيش في ظل هؤلاء الذين تولوا زمام الأمور في الأندلس قاطبة، واتجهوا إلى بناء دولتهم حضارياً وفكرياً وعلمياً وثقافياً حتى أصبحت من الدول التي لها صيت علمي وثقافي عالٍ.

---

1 - ينظر، صاعد الأندلس، مصدر سابق ،ص ص162-163 ، وابن عذاري ، مصدر سابق ،ص ص292 -293، انخل جنثا بالنشا . ،مرجع سابق ،ص 17

REINHART DOZY .SPANISH ISLAM. AHISTORY OF THE Muslims IN SPAIN TRANSLATATEBY FRANCIS CRILLIN STOKES .FRANCASS LONDON 1972.PP490491-

CHEJNE ANWAR .G .MUSLIM SPAIN ITS HISTORY AND CULTURE . MINNEA POLIS 1978 . P164

2 ينظر، الحميدي جذوة المقتبس ،مصدر سابق ،ص 79، وأبي مروان عبد الملك بن الكرد عاريخ الأندلس ،تح أحمد مختار العبادي ،معهد الدراسات الإسلامية مدريد 1965م ،ص ص74-80،وابن سعيد .، مصدر سابق ،ص 202، ولسان الدين الخطيب اعمال الأعلام ،مصدر سابق ،ص ص80-81، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ،ج3، مصدر سابق ،143-144.

3- الحالة الاقتصادية في قرطبة في القرن الهجري الرابع:

يُعد الوضع الاقتصادي في هذه الفترة في حالة جيدة لما تتميز به البلاد من كثرة الخيرات والأرزاق وهي جامعة لأسباب المنافع والغلات، وأرضها خصبة منتجة لكل أصناف وأنواع الثمار، لوقوعها في الإقليم الرابع والخامس، ولتنوع المناخ وتباينه بين المناطق، ولكثرة الأنهار، ووفرة المياه[1](*) في جميع أنحائها ،ولهذه الأسباب مجتمعة فقد كثرت بها الخيرات، وتنوعت الفواكه واحتوت على أصناف كثيرة، وكانت على مدار السنة، ومن هذه الأصناف الكروم والعنب والكمثري والخوخ والتفاح وثمار التوت والجوز والتين، وإلى جانب الفواكه توجد أنواع أخرى من الغلات الزراعية حيث تكثر بها الحبوب كالقمح والشعير والذرة والبقوليات كالفول والحمص والخضروات المتعددة الأنواع، وتكثر بها أشجار الزيتون الذي يصنع منه الزيت، وبها كثير من مزارع التبغ، والزعفران، والقطن ولكثرة الأشجار والبساتين بها يوجد بها نحل كثير أدت إلى وفرة العسل بجميع أنواعه، وإلى جانب الثروة الزراعية توجد بها كثير من أنواع الحيوانات مثل: البقر والغنم والإبل مما أدى إلى توفر اللحوم بجميع أنواعها، وبما أن شبه جزيرة الأندلس تحيط بها المياه من أغلب جهاتها فإن أهلها يقومون بحرفة صيد الأسماك مثل الحيتان كالبوريات، والشوابلات وغيرها من الأنواع الأخرى الجيدة والتي تُعد أيضاً من اللحوم التي يتغذى عليها أهل الأندلس، وتوجد على أرضها كثير من أصناف المعادن مثل الحديد والنحاس، والفضة والذهب، والكحل والزئبق والكبريت الأحمر والأصفر، والقصدير وأحجار الياقوت، والبلور والأزور والمغنطيس والرخام الرفيع وتتنوع بها مقاطع الرخام وبها ألوان شتى منه الأحمر والأبيض وأنواع أخرى من المعادن ألتي تزخربها البلاد. [2]

ونظراً لوجود هذه الخيرات الزراعية والحيوانية والمعدنية أنشأ أهل الأندلس عدة مصانع مثل صناعة الأشياء التي تعتمد على مادة الخشب، حيث إن بها أنواعاً جيدة في الطول والسمك، ومنه نوع أحمر صافي اللون لا يتغير لونه، ومنه تتخذ الصواري وتقوم عليه صناعة المراكب الصغار والسفن الكبار، وتوجد أنواع من الأشجار تتربي عليها دودة القز التي تنتج الحرير الجيد الذي تقوم عليه الصناعات الحريرية، وتعمل منه الحلل والديباج والستائر المكللة والثياب المختلفة والخمرُ والقبابي، وقد استنبطت الثياب المعروفة

---

1 (*) انظر الخريطة رقم 3 في الملاحق.

2 - ينظر- ابن حوقل. مصدر سابق، ص ص109_110_111، والشريف الإدريسي. . مصدر سابق، مج2.، ص549. وزكريا بن محمد بن محمود. مصدر سابق ص503.

بالخلوي، وصناعة الديباج المحكم الصنعة، وثياب السندس الأبيض وهو ديباج أبيض اللون كله، وتقوم نساؤهم بصناعة الغزل، أما الرجال فيقومون بمهنة الحياكة وتصنع كثير من أنواع الملابس والأنسجة من الكتان، وتصنع الثياب البيض التي تباع بأثمان غالية، وهناك أنواع أخري من الملابس والمنسوجات تعتمد على صوف الحيوانات ساعد على وجودها كثرة الحيوانات بالأندلس، وكذلك تقوم النساء بصناعة الأطباق والقصاع* والخوابي*، وتقام في الأندلس أيضاً بعض الصناعات المعدنية لوفرتها مثل الدروع والسيوف والتروس وأنواع أخرى من السكاكين والسلاح .[1]

وبسبب كثرة الخيرات التي زخرت بها الأندلس في ذلك الوقت عاش أهلها في رغد من العيش وحياة ميسورة فترة طويلة من الزمن، وحين زار ابن حوقل الأندلس في عام (337هـ/ 948م) أطنب في وصفها قائلاً «يغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والأنهار العذبة، والرخص والسعة في جميع الأحوال إلى نيل النعيم والتملك الفاشي في الخاصة والعامة، فينال ذلك أهل مهنتهم وأرباب صنائعهم لقلة مؤنهم وصلاح بلادهم ويسار ملكهم بقلة كلفة»[2].

إذ أن هذه الحالة وجد ابن حوقل عليها أهالي الأندلس من ازدهار كبير في الحياة الاقتصادية، ويتضح مما سبق ذكره أن الأموال كثيرة في الأندلس ومتوفرة لدي الخاصة والعامة، ولذلك كثرت الأسواق التجارية في جميع أنحاء البلاد، وكثرت التجارة الداخلية بين أهلها، وأصبح كثير من التجار لهم أموال كثيرة، وتنافسوا في نقل البضائع الأندلسية وبيعها في الأسواق الأخرى وخاصة في جنوب البلاد، وكذلك على السواحل في كل من مصر والشام، وتمتع الناس بحياة آمنة خصوصاً في أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله الذي استطاع بحكمته وشدة هيبته تأمين البلاد والقضاء على جميع الفتن الداخلية والخارجية، فانشغل الناس بحياتهم الخاصة واتجهوا إلى الزراعة والصناعة وعمارة البلاد، وكثرت الأموال عند الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، وامتلأت

1 ينظر. ابن حوقل، مصدر سابق، ص 104-111 ، و الشريف الإدريسي. مصدر سابق، ص ص549-582، وأبي عبد الله محمد بن ابي بكر الزهري. مصدر سابق، ص 83الي 103، و ابن خردا دابه .المسالك والممالك . مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، د.ت ، ص 95، و زكريا بن محمد بن محمود القزويني . ص 503، وعماد الدين اسماعيل .و تقويم البلدان . مصدر سابق ص .ص 190-193، وأبن سعيد . مصدر سابق ص ص423 424-، و لسان الدين الخطيب .كتاب أعمال الاعلام، مصدر سابق، ص 204، و البكري . المسالك والممالك . تج ادريان فان ليوفن، ادريبفوني. ج2 .الدار العربية للكتاب تونس 1992م، ص ص-897 898، وأحمد المقري التلمساني، ج1، مصدر سابق، ص 4.

2 – ابن حوقل، مصدر سابق، ص 104.

* القصاع : يستعملها الناس في وضع الطعام بها.

* الخوابي: يستعملها الناس في تخزين بعض حاجياتهم الخاصة.

خزائنه بها، وأقام دار السكة لضرب الدنانير والدراهم، وفاضت الأموال على خزائن الأندلس من كل حدب وصوب، وقد وصلت جباية البلاد زمن الخليفة الناصر لدين الله وذلك عام(340هـ/951م)، ما لا ينقص عن عشرين ألف ألف دينار دون ما في خزائنه من المتاع والحلي المصوغ، وكانت جبايته مقسومة ثلاثة أقسام قسم للجند، وقسم للبناء، وقسم مدخر للشدائد، وبهذه الأموال التي تكدست في خزانة الخليفة بدأ في إنشاء مدينة سماها الزهراء في ضواحي مدينة قرطبة، وتبعد عنها بحوالي ستة أميال، وتم بناؤها في السطح الجنوبي لجبل العروس، وأتقن بناؤها وأحكمت الصنعة فيها، وجعلها منتزهاً ومسكناً له ولأرباب دولته وحاشيته، وقد أصرف عليها أموالاً طائلة حيث جلب إليها من العالم الرخام، وحوضاً منقوشاً بالذهب، وحوضاً آخر فيه تماثيل عليه اثنا عشر تمثالاً من الذهب الأحمر المرصع بالدر النفيس الغالي الثمن، واتخذ بسطح القبة المائلة على الصرح الممرد بالزهراء قراميد مطليه ذهباً وفضة، وأنفق عليها مالاً جسيماً حيث يقدر ما أنفق عليها بثلث جباية البلاد، وجملة ما أنفق في بناء مدينة الزهراء وقصورها خمسة وعشرون مداً من الدراهم القاسمية، وستة أقفزة وثلاثة أكيال ونصف، أضف إلى ذلك فإنه عندما قام بالزيادة في مسجد قرطبة وبنى المنار الأعظم به، فإن جملة ما أنفقه في صومعة المسجد وفي تعديله وبنيان الوجه للبلاطات الإحدى عشرة بلاطة سبعة أمداد وكيلين ونصف كيل من الدراهم القاسمية*، وإلى جانب ذلك كان الوزراء ورجال الدولة يملكون الأموال الطائلة، والدليل على ذلك فإنه عندما تولى عبد الرحمن الناصر لدين الله مقاليد الحكم، قام الوزير عبد الملك بن جهور بن عبد الملك بتقديم هدية كبيرة له قيل إنها خمسمائة ألف مثقال من الذهب العين، وأربعمائة رطل من التبر يقدر بخمسة وأربعين ألف دينار وسبائك من الفضة .[1]

وعند ما تولى الخليفة الحكم المستنصر بالله مقاليد الحكم في البلاد ورث عن أبيه أموالاً طائلة كثيرة، وعند جمعها بلغ عددها عشرين ألف دينار ويُعد هذا المبلغ خاصاً به وبأهل بيته فقط، ناهيك عما يكتنزه أصحاب المعالي والوزراء والأمراء والحجاب، وباقي أفراد المجتمع وخاصة التجار الكبار وأصحاب الضياع والمزارع الكبيرة من أموال، وحين

---

1 ينظر. أخبار مجموعة . مصدر سابق، ص 136، وابن حيان. المقتبس ..ج5 .، مصدر سابق، ص 23 ومحمد بن أبي بكر الزهري . مصدر سابق، ص 87 ،والشريف الإدريسي ،مصدر سابق، ص ص579، 580 وابن عذاري المراكشي ،مصدر سابق، ص ص230-231. و لسان الدين بن الخطيب . كتاب أعمال الأعلام، مصدر سابق، ص 28 ، وابن حوقل النصيبي، ،مصدر سابق، ص ص104 107- ، وابن خلدون – مقدمة ابن خلدون ،مصدر سابق، ص ص–299 300.

*- سميت بذلك نسبة إلى اسم القائم على دار السكة التي تضرب فيها الدراهم (ياقوت الحموي. معجم البلدان، ج4 ،مصدر سابق، ص42.)

حصل الخليفة الحكم المستنصر بالله على أموال طائلة من ميراث أبيه الذي تركه له، جمع فقهاء الدولة وأعيانها وأشهدهم على أنه أمر بحبس ربع تلك الأموال والضياع في جميع المدن والأرياف على فقراء المسلمين، وتوزيع غلات تلك الضياع في كل سنة عليهم حتى لا يبقى فقر أومجاعة بقرطبة وباقي أنحاء الأندلس، ولقد قام الخليفة الحكم في عام(353هـ /964م)، عندما حدثت مجاعة كبيرة في قرطبة بتوزيع أموال طائلة على أهلها حيث تكفل بكل ضعفائها ومساكينها وذلك بتقديم الطعام إليهم حتي يستطيعوا أن يأمنوا الجوع والفاقة، وأجرى نفقاته عليهم بكل ريض من أرياضه، وقام بدفع أموال الأحباس جميعها من أجل إقامة الزيادة لمسجد قرطبة حيث أنفق عليه أموالاً كثيرة، وعندما استكملت الزيادة بالمسجد قدر ما أنفق عليه بخمسة وثلاثين ألف دينار وسبعمائة وخمسة دنانير، والدليل على ما يمتلكه الوزراء والحجاب من وفرة في الأموال تقديم الحاجب جعفر المصحفي إلى الخليفة الحكم بعد أن تولى الخلافة هدية، وهي عبارة عن أصناف من الجواهر التي تقدر بأثمان باهظة تدل على ماكان يمتلكه من أموال طائلة، وبذلك استمرت الدولة على ماكانت عليه في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله من الثراء الفاحش الذي عاشه أهل الاندلس.[1]

وبعد أن تولى زمام الأمور في الدولة الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر بعد تغلبه على الوريث الشرعي للخلافة هشام المؤيد استمرت الدولة في أحسن حال من النعمة والثراء الفاحش، ولقد كانت لمحمد بن أبي عامر أموالُ كثيرة قبل الحجابة تحصل عليها على مدار شغله للوظائف في حياة الخليفة الحكم المستنصر بالله، فقد تولى دار السكة وهي في ذلك الوقت أعلى الخطط في الإمارة، فتضرب فيها الدنانير، وكذلك تولى وكالة صبح البشكنسية أم هشام المؤيد، ثم تحصّل على كثير من الأموال بعد حجبه للخليفة هشام المؤيد التي تركها الحكم المستنصر بالله لابنه هشام وهي مختزنة في القصر فقام بضبطها وإعدادها حيث كانت تقدر بمئات الآلاف من الدنانير ناهيك عن سبائك الذهب والفضة والمجوهرات وغيرها من الأشياء الثمينة، ثم نقلها إلى داره ووضعها في خزائنه، وبذلك تمت سيطرة ابن أبي عامر على هذه الأموال، في مدة استغرقت ثلاثة أيام متتالية. إضافة إلى ما سبق فإنه بعد قضائه على الصقالبة وإخراجهم من قصر الخلافة صادر

---

1 ينظر ابن حوقل ،مصدر سابق، ص 108 ،و الحميدي، مصدر سابق، ص 187، وابن عذاري، ج2، مصدر سابق ، ص ص234-236-350 ،وابن سعيد ،، مصدر سابق ، ص 187-200، أبو نصر الفتح بن خاقان، مصدر سابق، ص ص56-57، وا بن بسام الشنتريني– الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ج4 مج1، مصدر سابق ،ص 59، وابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ،ج4،مصدر سابق، ص 144.

أموالهم التي تقدر بالآلاف من الدنانير إلى جانب المعادن الثمينة من الذهب والمجوهرات والفضة واستولى عليها جميعها، وعندما قام بسجن الحاجب جعفر المصحفي بعد عزله هو وأولاده استولى على الأموال التي كانت تخصهم وهي أيضاً أموال كثيرة لا تحصى ولا تعد، وخاصة أنه يعد من أثرياء الدولة في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، كذلك تحصل الحاجب محمد بن أبي عامر على أموال أخرى وهي من الغنائم التي يتحصل عليها في الحروب حيث كان يغزو غزوتين في السنة صيفية وشتوية، وكذلك الأموال التي تدخل إلى خزائن الدولة من الجبايات والصدقات والجزية وغيرها من الأموال التي يتحصل عليها من الضرائب من الأهالي في الأندلس وخاصة من أهل السوق وأصحاب المزارع الخاصة والثمار. ونظراً لكثرة الأموال عنده وامتلاء خزائنه بها فقام في عام (368هـ /979م)، ببناء مدينة جديدة أطلق عليها اسم الزاهرة وذلك عند ما استفحل أمره وظهر استبداده وكثر حساده، وخاف على نفسه عند الدخول إلى قصر السلطان وأتم بناءها في أقرب فترة بعدما أنفق فيها الأموال الطائلة وانتقل إليها عام(370هـ / 981م)، ونقل إليها أسلحته وأمواله واتسعت هذه المدينة حتى اتصلت بأرباض قرطبة.[1]

مما سبق نرى أن الفترة الزمنية التي شملها البحث تُعد فترة ازدهار اقتصادي وسياسي واجتماعي بسبب كثرة الأموال التي آلت إلى خزينة الدولة، واستقرار الأحوال الأمنية فيها التي أهلت للاتجاه نحو الثقافة والعلوم، وتشجيع المبدعين في مجالاتها، فكانت النتيجة اتجاه أهل قرطبة إلى الثقافة والعلوم وأصبح كثير منهم علماء في عدة مجالات علمية، وصارت عاصمة الخلافة قرطبة تعج بالعلماء والأدباء والشعراء من الحواضر الإسلامية التي إليها العلماء، وطلاب العلم على السواء من كل أصقاع المعمورة .

4- الحالة الاجتماعية في قرطبة في القرن الرابع الهجري:

كان المجتمع الأندلسي في بداية هذا القرن ينقسم إلى عدة عناصر بشرية مختلفة الأصول والمعتقدات، فإلى جانب السكان الأصليين تعايشت معهم عدة أجناس بشرية أخرى دخلت على الأندلس على مدار الأزمان السابقة مثل اليهود والعرب والبربر، وقد عاشت هذه العناصر في اتفاق ووئام في أغلب الأحيان، حيث وثقت بينها على مرّ السنين روابط المصاهرة والجوار والثقافة المشتركة، والتسامح الذي كان يسود أغلب علاقتها

1 ينظر. ابن عذاري ،ج2، مصدر سابق، ص ص266-268-275-276، ولسان الدين أبن الخطيب، أعمال الاعلام، مصدر سابق، ص 66، وأبن بسام الشنتريني، مصدر سابق، ص ص 60 61- ،72، 73 وابن سعيد . مصدر سابق، ص ص200، 201 ، وأحمد المقري التلمساني، نفح الطيب، ط-2 دار صادر بيروت 2004 - ص 85

وخاصة منذ أن تولى زمام الأمور في الدولة الأموية الخليفة عبدالرحمن الناصر لدين الله، ومن بعده ابنه الحكم المستنصر بالله والحاجب المنصور محمد بن أبي عامر حيث عاشت هذه الشعوب المختلفة الأصول في سلام خلال هذا القرن، واستطاع هؤلاء الخلفاء ضبط الأمور والسيطرة على الأوضاع الداخلية للدولة، وعلى كل شيء يؤدي إلى اختلال التوازن بين هذه العناصر والعناصر السكانية التي كانت تسكن المنطقة إلى جانب السكان الإسبان الأصليين.[1]

ولإلقاء مزيد من الضوء على المجتمع الأندلسي فضلنا الحديث عن كل مكون من مكوناته على حده، وفي ما يلي عرض ذلك:

1- العرب :

بعد أن تم فتح الأندلس عام (92هـ /711م)، دخلت أفواج كبيرة من العرب مع جيوش الفتح واستقر هؤلاء في عدة مدن في الأندلس، وبدأت أعدادهم تتزايد حتى بلغوا عشرات الآلاف، وخاصة أنه تم دخول ثمانية عشر ألفاً مع القائد موسى بن نصير عام(93هـ/712م)، وفي عام(123هـ/741م)، دخلت أفواج أخرى من العرب الشاميين مع واليها بلج بن بشر القشيري، ويقدر تعدادهم بحوالي عشرة آلاف كانت الغالبية العظمى منهم من العرب، وفي عام(125هـ/743م)، دخلت أفواج أخرى مع واليها أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي وسمع بعض منهم بخيرات الأندلس وسبل الحياة بها وسهولتها، فارتحل إليها كثيرون منهم واستقروا فيها، وقد كان العرب يحسون إحساساً قوياً بنوع من الأرستقراطية نابع من غلبتهم على الإسبان والبربر

2- البربر :

وهم من سكان الشمال الأفريقي ويتوزعون على كل مناطقه، ومن مدنهم طنجة والقيروان وفاس، وبعد إسلامهم شاركوا مشاركة فعالة في افتتاح جزيرة الأندلس، وهم أكثر الجنود الذين افتتح بهم القائد طارق بن زياد الأندلس، حيث قدر عدد الجيش بحوالي اثنى عشر ألف مجاهد غالبيتهم من البربر ويليهم العرب والموالي، وبعد ذلك بدأ

---

1 أخبار مجموعة. مصدر سابق، ص17. أحمد المقري التلمساني. مصدر سابق، ص233.

ودخولهم المبكر في الإسلام، وتفوق لغتهم على غيرها من اللغات، ولعل شعور التعالي هذا هو الذي كان يولد ثورة البربر عليهم أحياناً، ولقد استقرت هذه الأفواج العربية في المناطق الخصبة ذات السهول والمروج الكثيرة الاخضرار التي تجود بالخيرات والثمار، وعلى الأخص المناطق التي تقع على ضفاف وديان نهر الوادي الكبير Guadquivir)) مثل إشبيلية وقرطبة واستجة، وفي المناطق الخضراء لوادي تاجة« Tajo)) ووادي آبرة«، وفي مروج شرق الأندلس، وفي السواحل الجنوبية والجنوبية الشرقية، وبعد أن استولى بنو أمية على زمام الأمور في الأندلس عام(138هـ /756م)، وانشأوا دولتهم هاجر كثير من العرب إلى الأندلس وخاصة الأمويين الذين فرّوا من بطش بني العباس. ()

زحف البربر إلى الأندلس أفواجاً على فترات حيث ارتحلت كثير من العشائر والقبائل البربرية إلى الأرض الجديدة واتخذوها مسكناً ومقاماً دائماً لهم وخاصة أنها منطقة مجاورة لبلادهم وقريبة جداً لا يفصلهم عن بعضهم إلا مضيق جبل طارق، وكان مقر سكناهم فيها في منطقة الثغر الأعلى وأصبحوا أكثر بكثير من العرب في هذه المنطقة، كما استوطن بعضهم في مناطق تكاد تكون مستقلة ومنعزلة تماماً عن مساكن العرب، ونظراً لما يتميز به البربر عن العرب من عادات وتقاليد وكذلك عدم شعورهم بالأرستقراطية والتعالي على الأجناس الأخرى عامة وسكان البلاد الأصليين خاصة فقد اختلطوا في كل ناحية من نواحي الأندلس بالسكان الأصليين للبلاد، وارتبطوا معهم بروابط اجتماعية أهمها الزواج ببنات الأهالي، وتحول هؤلاء الأبناء من البربر إلى بلديين وخاصة أولئك الذين كانوا يعمرون الأرياف منهم، فامتزجوا بهم ببساطة ويسر، ومنذ البداية فإن البربر شديدو الحماس لدين الإسلام وعزته ونصرته فكان لهم رمز سيادة، فأظهروا العصبية له واجتهدوا كثيراً في نشره وتعليمه إلى السكان الأصليين من الإسبان.[1]

3- اليهود:

كثرت جماعاتهم في إسبانيا وتمركزوا في كثير من المدن ومنها اليسانة(lucena) والبيرة (Elvira) من مدن الجنوب، وكانت المجامع الطليطلية أي رجال الكنيسة تضيق الخناق عليهم ويخيرونهم بين التنصير أو الرحيل من البلاد، واضطر كثير منهم للهجرة، وتظاهر بعضهم باعتناق الدين المسيحي، ووقف اليهود إلى جانب المسلمين أثناء الفتح الإسلامي للأندلس ودلوهم على عورات البلاد والأماكن السرية في الأسوار للدخول منها، وقد لقي اليهود تسامحاً مطلقاً من العرب المسلمين عندما استقروا في الأندلس ونشروا الدين الإسلامي بها، فتركوا لهم بيعهم وأديرتهم ورجال دينهم، وأصبحوا يمارسون شعائرهم الدينية بكل حرية، وبذلك اطمأن اليهود إلى المسلمين بسبب المعاملة الحسنة التي يتلقونها منهم ولم يضيقوا عليهم الخناق كما كان يفعل بهم أصحاب الأرض من قبل، وتحصلوا على الحرية التي لم ينعموا بها من قبل ،ولقد استعرب كثير من اليهود فتعلموا اللغة العربية واحتكوا بالمسلمين وقلدوهم في ملابسهم واندرجوا معهم في مختلف أنواع الحياة الاجتماعية.[2]

---

1 ينظر. اخبار مجموعة . مصدر سابق، ص ص15-17، و الحميدي، مصدر سابق ،ص 4، وابن عذاري مصدر سابق، ص206، و المقري التلمساني. نفح الطيب ،ج1 . مصدر سابق، ص 231و عبد الواحد المراكشي. المعجب في تلخيص أخبار المغرب.تح محمد سعيد العريان. القاهرة1962م.ص32 واحسان عباس . تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة .ط8 . دار الثقافة بيروت 1996م، ص 16، وشوقي ضيف .، مرجع سابق، ص 15 ، و حسين مؤنس. فجر الإسلام . ط3، دار الرشاد القاهرة 2005م ، ص ص310-315، .

2 – حسين مؤنس .فجر الإسلام . مرجع سابق، ص ص-412.411

4- أهل الذمة:

وهم الإسبان السكان الأصليون للبلاد الذين بقوا على الدين المسيحي ولم ينخرطوا ويدخلوا في الدين الإسلامي، وعاشوا مع المسلمين العرب والبربر في الأرياف والمدن وعلى اتصال مباشر بهم، وضمن المسلمون للنصارى من أهل البلاد حريتهم وأبقوهم على ذمتهم مقابل دفع الجزية على ما تقضي به الشريعة الإسلامية، وترك المسلمون نصارى البلاد أحراراً ينظمون أمورهم على النحو الذي أرادوه ما داموا على الطاعة يؤدون ما عليهم من الأموال فظلوا يفصلون في أقضيتهم وفقاً للقانون القوطي القديم، وظلت علاقاتهم بكنائسهم وقساوستهم على ما كانت عليه قبل الفتح، وكان يدير أمور الجماعات المسيحية الكبيرة في المدن والأرياف رجال من نصاري عجم الأندلس يسمون بالقمامسة وواحدهم قومس (Gomez)، وترك المسلمون للجماعات النصرانية نظامها المدني التي كانت عليه أيام القوط وهو نظام مدني إداري، خصوصاً وأن القائمين بأمره مسؤولون عن كل ما يتصل بأمور رعاياهم، ويجمعون الضرائب ويؤدونها إلى بيت المال نيابة عنهم ويُعد أهل الذمة أقلية في القرن الهجري الرابع مقارنة بالمسلمين من عرب وبربر ومولدين، ولقد استعربوا لساناً وزياً حيث قلدوا المسلمين في جميع مناحي حياتهم.[1]

5- الموالي:

وهم موالي الدولة الأموية حيث نجدهم ينحدرون من أصول أخرى خارج البيت الأموي، ودخلوا تحت لواء هذا البيت، ويقدمون فروض الولاء والطاعة لخلفائه وأمرائه، وهم من بطون العرب في معظم أنحاء الدول الإسلامية في الشام والعراق وشمال أفريقيا وغيرها من الشعوب الأخرى التي دخلت الدين الإسلامي، وكانوا سنداً قوياً لهذه الدولة، وبعد أن قام الجيش الإسلامي بفتح الأندلس دخل الموالي مع جيش طارق بن زياد عام(92هـ/711م)، ولعبوا دوراً كبيراً في افتتاح هذه الجزيرة لما يمتازون به من شجاعة وحب لنصرة الدين الإسلامي ونشره في ربوع العالم، ودخل عدد كبير منهم مع جيش موسى بن نصير وجيش بلج بن بشر القشيري، وانضم هؤلاء الموالي في الأندلس لمن سبقهم إليها واستقر هؤلاء في الأندلس وكانوا من العناصر الفعالة التي أسهمت في قيام وبقاء الدولة الأموية وتبوأوا درجة رفيعة بين أفراد المجتمع، ولم يحدث إلا نادراً أن ترفع العرب على الموالي، وكذلك لهم مراكز اجتماعية لا تقل درجةً عن مراكز الأحرار، وفي

1 ينظر: أخبار مجموعة . مصدر سابق، ص ص22، 23-25 ، وابن عذاري المراكشي . ،مصدر سابق، ص 12، واحسان عباس . . مرجع سابق، ص 13 .

بعض الأحيان كانت لهم مراكز أكبر من مراكزهم وأصبحت الوظائف الكبرى مقصورة عليهم، وحرص بنو أمية على الاحتفاظ ببيوت الموالي وإعطائهم مكاناً ممتازاً في الإدارة والمجتمع فلم يكونوا يعتمدون إلا عليهم لثقتهم فيهم.[1]

6- المسالمة:

بعد أن تم افتتاح الأندلس، واتخذها المسلمون مقراً لهم، فإن كثيراً من السكان الأصليين من الإسبان دخلوا في الدين الإسلامي، نظراً لما يمتاز به هذا الدين والفاتحون من التسامح والطيبة، وحسن الأخلاق والمعاملة الحسنة التي لم يألفوها من قبل، وكان لهذا أثر كبير في دخول عدد كبير من الأهالي في الدين الإسلامي، وكذلك نجد أن أكثر الذين دخلوا الإسلام معظمهم من العبيد ورقيق الأرض، فقد كانت حالتهم سيئة جداً وبذلك دخل في الدين الإسلامي الكثير من المزارعين والأهالي على اختلاف طبقاتهم فتساووا جميعاً في ظل الإسلام، ووجد هؤلاء جميعاً في دخولهم للإسلام هروباً من العبودية التي كانت تكبلهم أثناء حكم القوط للبلاد، وأصبح لهم نفس حقوق المسلمين ولايطالبون بدفع الجزية، ودخلوا جميعهم بمحض إرادتهم وبقناعة منهم وأصبح لهم دور كبير في الدولة حيث قاموا بزيادة عدد المسلمين والرفع من شأنهم ونصرة الدين الإسلامي، وهذا يدل دلالة أكيدة علي أن العرب والبربر لم يأتوا للأندلس كغزاة وإنما مبشرين بدين جديد لا يفرق بين أحد وأخر وكل من دخله يصبح مثله مثل المسلمين له حقوقهم وعليه واجباتهم ولهذا نجد أن كل هؤلاء الذين دخلوا الإسلام نعموا واطمأنوا بدخولهم إليه. [2]

6- المولدون:

هناك اختلاف حول تعريف المولدين، حيث أن بعض العلماء يعرفون المولدين بأنهم أبناء المجاهدين الذين قاموا بافتتاح الجزيرة الاندلسية من زوجات اندلسيات، وهكذا امتزجت دماء هؤلاء الفاتحين من العرب والبربر بدماء نساء أهل الاندلس.[3].

ولكن يعد الاطلاع على المصادر المغربية الأندلسية مثل البيان المغرب لابن عذاري، والنظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى للمؤلف هويكنز، نتفق ونرجح التعريف

---

1 ينظر. أخبار مجموعة .، مصدر سابق، ص 17، والحميدي . مصدر سابق، ص 4، وأحمد المقري التمساني، نفح الطيب ج1، مصدر سابق، ص 233،و حسين مؤنس، فجر الإسلام . مرجع سابق، ص ص321-322-328 ، وعبد الواحد المراكشي . مصدر سابق ، ص 34-36.

2 - حسين مؤنس، فجر الإسلام مرجع سابق ص 329-330.

3 - ينظر. اخبار مجموعة . تاريخ افتتاح الأندلس. مصدر سابق، ص ص27-28، و لسان الدين الخطيب . كتاب اعمال الإعلام، مصدر سابق، ص5 ،و حسين مؤنس فجر الأندلس . مرجع سابق، ص 344، وأحمد مختار العبادي في التاريخ العباسي والأندلسي، مرجع سابق، ص230.

الذي أورده د/عبدالقادر عثمان محمد جاد الرب في أطروحته لتعريفه المولدين بأنّهم الأسالمة أي الأسبان أو أهل البلاد الأصليون الذين أسلموا بمحض إرادتهم وأبناؤهم الذين ولدوا على الإسلام[1].

وهكذا امتزجت كل هذه العناصر والأجناس البشرية مع بعضها امتزاجاً تسرب في عقولهم كما تسرّب في دمائهم فكانت لهم نزعة عقلية جديدة ساعد في تكوينها بالإضافة إلى عملية الامتزاج بيئة طبيعية غنية ودين إسلامي يمت إلى السماحة وحسن المعاملة.

إضافة إلى هذه العناصر والأجناس البشرية الموجودة في الأندلس تم إضافة عنصر جديد، حيث أدخل الخليفة عبدالرحمن الناصر لدين الله عنصر الصقالبة وهم من المماليك لتوطيد سلطته، وهو اسم يطلق على أسرى الحرب من جميع البلدان الأوربية، وعلى من وقع في أيدي المسلمين من الرقيق وخاصة من مناطق إفرنجة وجليقية(Galcia)، وعادة كان هؤلاء الصقالبة عندما يأتون إلى الأندلس يقوم التجار بخصيهم، وكان اليهود من يفعل بهم ذلك، وتدرب الصقالبة تدريباً جيداً على حمل السلاح وعلى فنون الحرب لاعتماد الخلفاء عليهم اعتمادا كاملاً في الحفاظ على أركان الدولة وخاصة من الداخل، وتم إدخال الكثير منهم في الجيش وإدارة البلاد، ويهدف وجودهم أيضاً إلى الحد من نفوذ الأرستقراطية العربية في الحكم، وإضعاف سيطرة العنصرين العربي والبربري في الجيش والإدارة، ويقدر عدد الفتيان الصقالبة بمدينة الزهراء حين وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله حوالي(3750) فرداً، وفي عهد الحكم المستنصر بالله استمر الفتيان الصقالبة في القصر يصولون ويجولون حيث انتهج الحكم نهج أبيه في الاعتماد عليهم ولم يغير شيئاً في سياسة الدولة، وعندما تولى الأمر الطفل هشام المؤيد بن الحكم وأخذ زمام الأمور منه الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر قضى على نفوذ الصقالبة في القصر حيث تم قتل البعض ونفي البعض الاخر، وكان عددهم يزيد على الألف في القصر يتقدمهم الفتيان فائق وجودر ودري، وهؤلاء هم المسيطرون على القصر الخلافي في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، واستبدلهم الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر بعنصر آخر وهم البربر حيث استعان بهم في الحكم وفي تكوين

---

1 – ينظر.ابن عداري المراكشي، مصدر سابق، ص106 . وهو يكنز. النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تر، أمين توفيق الطيبي، ليبيا تونس 1980م،ص125 . وعبدالقادر عثمان محمد جاد الرب، الوضع الاجتماعي والسياسي لغرناطة في القرن الخامس الهجري، اطروحة رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية الاداب والعلوم الانسانية بجامعة محمد الخامس، الرباط، 1997م، ص

I. de Las Caglgas, minorias Etnico. Religiosas de La Edad Media Espanola, I, Losmozarales, .Madrid, 1947, Tomo, P55

الجيش واستبدل بهم أكثر العناصر والقبائل بالأندلس فكثر عددهم حتى سيطروا على زمام الأمور في البلاد. [1]

الحياة الدينية:

يُعد المذهب المالكي هو السائد في الأندلس فالمعاملات الدينية والأحكام التي يصدرها القضاة والفقهاء على مذهب الإمام مالك، والمناسبات الدينية عندهم لا تختلف عن سائر بلاد المسلمين فهم يحتفلون بالمولد النبوي الشريف وبليلة القدر وبالعيدين الفطر والأضحى. وكان خلفاء بني أمية في مقدمة هذه الاحتفالات، ومثالا على ذلك فإن الخليفة المستنصر لدين الله عند حلول شهر رمضان المبارك يقوم بتوزيع الصدقات والأموال على أبناء المسلمين الفقراء، وفي أحد أعياد الفطر المبارك جلس الخليفة الحكم الثاني للتسليم على الجند في فناء المجلس الشرقي من قصر الزهراء، وأقيم احتفال فخم حضره الأمراء والوزراء ورجال الدولة، وطبقات الناس على مختلف مراتبها، فكان صدره الإخوة وجنباته الوزراء ورجال الدولة ووسطه أهل المراتب من طبقات أهل الخدمة وسائر الوجوه والموالي، وتخلل هذا الحفل بعض الخطب التي تمجد الخليفة، وقام الشعراء ينشدون من أشعارهم ويتغنون بها، وفعل الخليفة الحكم الثاني نفس الاحتفال في عيد الأضحى الذي يليه عام(360هـ/992م).[2]

وكان من بين الشعراء الذي مدح الخليفة في عيد الأضحى لهذا العام الشاعر محمد بن حسين الطُّبني حيث قال:

نَـظَـرَ الإلــهُ إلــى الـبـريّـةِ رحـمـةً	فـأخـتـارَ لـهـا أفـضـلـهَـا وتـخـيــّـرا
مـلـكٌ أقــام الــعــدلَ في أيامـــــهِ	سـوقـاً فـصـار الحــقّ فيـه مَـتّـجَــرا
لـم يـجـرِ طـيّـب ذكــرهِ في مجلسٍ	إلاّ حـسـبـتَ بــهِ الـهــواءَ تـعـطّــرا
مــلأ الــعـبــادَ ســنـــاؤهُ وثـنـــاؤهُ	عـدلاً فـأكـسـدا مسكَها والـعـنـبـرا.[1]

---

1 ينظر. ابن حوقل، . مصدر سابق، ص 106 وأخبار مجموعة . مصدر سابق، ص 137، ولسان الدين الخطيب. كتاب أعمال الاعلام. مصدر سابق، ص ص40-41-60 . وأبن عذارى المراكشي . مصدر سابق، ص ص259--274 263، 263، ومختار أحمد العبادي. في التاريخ الأندلسي والعباسي. مرجع سابق، ص ص408-409.

2 - ينظر. ابن حيان. المقتبس في أخبار بلد الأندلس. تح: عبد الرحمن علي الحجي، مصدر سابق، ص ص28،29، 30، 60 60-، والحميدي. مصدر سابق، ص ص218-2-382، وابن حيان، المقتبس في أخبار أهل الأندلس تح: محمود علي مكي، القاهرة 1999م، ص ص217-218، وأبن الفرضي. تاريخ علماء الأندلس. الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ج 1، ص ص191 - 192.

المرأة في المجتمع الأندلسي:

للمرأة في المجتمع الأندلسي شأن كبير لأنها تحظى فيه بالحرية والكرامة، ولها قرار في بعض الأمور حتى وصلت فيه إلى أعلى الدرجات، ومن بين هذه النساء فاطمة بنت يحي بن يوسف وهي خيرة فاضلة عالمة بأمور الدين، توفيت عام (319هـ/930م)، ومنهن فاطمة بنت محمد بن علي بن شريعة اللخمي أخت أبي محمد الباجي الإشبيلي، شاركت أخاها أبا محمد في الاستماع إلى بعض شيوخه، وقد أجازها محمد ابن فطيس الإلبيري في بعض رواياته، ولبنى كاتبة الخليفة الحكم الثاني، وهي حاذقة الكتابة نحوية شاعرة بصيرة بالحساب، مشاركة في العلم، لم يكن في القصر أنبل منها، وعروضية وخطاطة توفيت عام(374هـ/984م)، ومزنة كاتبة الخليفة عبد الرحمن الناصر حيث كانت ممن يعتمد عليهم الخليفة في كتابة رسائله وبعض خصوصياته، توفيت عام(358هـ/969م).[1]

وعائشة بنت أحمد بن قادم وهى قرطبيه ذكرها ابن حيان فقال:» لم يكن في جزائر الأندلس في زمانها من يعدلها فهماً وعلماً وأدباً وشعراً وفصاحة وعفة وجزالة وحصانة، مدحت ملوك زمانها وتخاطبهم في ما يعرض لها من حاجتها فتبلغ بيانها حيث لا يبلغه كثير من أدباء وقتها، ولا ترد شفاعتها، وهي حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب وتعنى بالعلم وعندها خزانة علم كبيرة حسنة ولها غنى وثروة « .[2]

وصفية بنت عبد الله وهي أديبة وشاعرة موصوفة، تحسن الخط، ولقد اتصلت بالخليفة عبد الرحمن الناصر، ونالت عنده مكانة رفيعة مما جعله يركبها في موكب له ذات يوم على بغل سافرة بقلنسوة وشق بها الربض الغربي كله بقرطبة إلى مدينة الزهراء.[3]

وكثرت في المجتمع الأندلسي في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي مجالس اللهو يقيمها الخلفاء والوزراء، ويستمتعون بحياة ممتعة خاصة وأن الأندلس في ذلك الوقت كثر فيها الرقيق والجواري من سبي الحروب مع الفرنجة والصقالبة وبلاد جليقية، حيث إن الخليفة عبد الرحمن الناصر والحاجب المنصور محمد بن أبي عامر قاموا بغزوات كثيرة في بلاد النصارى وانتصروا عليهم، وفي كل مرة يأتون بكثير من النساء المسبيات من أرض المعركة، حيث بلغ عدد النساء المسبيات في الغزوة التي انتصر فيها الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر وهي غزوة شنت منكش ودخل مدينة سموره سنة(371هـ/987م)، عشرة

1 ينظر، الحميدي، مصدر سابق، ص ص 412 – 413.ابن بشكوال، كتاب الصلة، ج 2 تح: شريف أبو العلا العدوي، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 2008م، ص 323.

2 ابن بشكوال، المصدر نفسه، ص 424.

3 – ينظر، الحميدي، مصدر سابق، ص 412.وأبن بشكوال، المصدر نفسه، ص 424، وشوقي ضيف، مرجع سابق، ص 53.

آلاف من أجمل الفتيات وأحسنهن، وبذلك اكتظت قرطبة بالجواري من بلاد النصارى وأصبحت بعض تلك الجواري تحضر مجالس الخلفاء والوزراء وتقوم بعضهن بالرقص والغناء والحركات التي تلهم وتحرك المشاعر للحاضرين.[1]

وقد حدثت للخليفة الناصر لدين الله حادثة كدرت صفوه على الرغم من حسن خلقه وحلمه، ومن غريب ما يؤثر عنه حكايته مع الجارية التي كانت عنده، حيث أخذ فيه النبيذ ذات ليلة وسكر حتى لم يشعر بما يفعل، فأكثر من تقبيل الجارية، وبجانبها أكثرت الضجر والتبرم وقبضت وجهها، فأمر بألسنة الشمع وهي تستغيث فلا يرحمها حتى هلكت[2]

وحدث ذلك مع المنصور محمد بن أبي عامر فقد تعرض لحادثة مماثلة كدرت صفوة، فبينما هو في جلسة لهو مع الوزير أبو المغيرة بن حزم، في منتزهة المسماة بمنتزه السرور بالزاهرة ذات الحسن النظير، وأن هذا المنتزه في موقع جميل بين روضه وغدير، وكانت الجلسة على أضواء الشموع بعد غروب الشمس، وكانوا في راحة تامة وسرور، وغنت لهم جارية تسمى أنس القلوب، وأطربتهم بغناء يلهم المشاعر وفيه شوق وحنين وغزل، وعندما انتهت من الغناء بادر المنصور محمد بن أبي عامر فأغلظ في كلامه وقال لها : قولي وأصدقي إلى من تشيرين بهذا الشوق والحنين فأجابته الجارية وهي خائفة ترتعد، أن كان الكذب أنجى فالصدق أحرى وأولى، والله ما كانت إلاّ نظرة ولدت في القلب فكرة فتكلم الحب على لساني وبرح الشوق بكتماني، والعفو مضمون لديك عند المقدرة، والصفح معلوم منك ثم بكت بكاء شديداً، عند ذلك صرف المنصور وجهه الغضب إلى الوزير أبو المغيرة، وقال الوزير للمنصور عند ذلك أيدك الله تعالى، إنما كانت هفوة جرها الفكر وصبوة أيّدها النظر، وليس للمرء إلا ما قدر له لا مااختاره ونرى في هذه المجالس غير لائقة بالخلفاء ورجال الدولة، وخاصة عندما تكون أمام مرآى ومسمع الناس لأنها تقلل من هيبتهم واحترام الناس لهم.[3]

---

1 – ينظر، أخبار مجموعة . مصدر سابق، ص 136–137، وابن عذارى المراكشي،، مصدر سابق، ص 169، ولسان الدين الخطيب، كتاب أعمال الاعلام، مصدر سابق، ص ص66–67.

2 – ابن سعيد ...، مصدر سابق، ص 184.

3 – ينظر، ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني ،ا ،ق4،مج 1،مصدر سابق ،ص 29، وأحمد المقري التلمساني ،نفح الطيب ،ج3،مصدر سابق ،ص صق617-618.

الفَصْلُ الثَّانِي

عوامل ازدهار الثقافة في قرطبة.

1 - دور المعرفة في قرطبة.

1-1- المسجد.

1-2- الكتاتيب.

1-3- والمدارس.

1-4- المكتبات.

1-5- قصور الخلفاء.

1-6- مجالس المناظرة.

2 - عوامل داخلية.

2-1- إثراء اللغة العربية في قرطبة.

2-2- إثراء البيئة الأندلسية.

2-3- سماحة الدين الاسلامي.

3 - عوامل خارجية.

3-1- رحلة العلماء المسلمين إلى قرطبة ودورهم في ازدهار الثقافة.

3-2- رحلة العلماء الأندلسيين إلى المشرق وعودتهم ودورهم في ازدهار الثقافة.

1 - دور المعرفة في قرطبة:

توجد عده عوامل لازدهار الثقافة في قرطبة ولها دور كبير في انتشارها بين أهلها ومن بينها دور المعرفة التي كانت السبب الرئيس في تحصيل المعرفة والعلوم وخاصة بين الصبيان، حيث عنى بها المسلمون عناية كاملة وخاصة خلفاء القرن الهجري الرابع، فبذلوا كل ما في وسعهم من أجل إنشاء هذه المكونات لانتشار الثقافة والعلوم، وبذلك قاموا بإنشاء كثير من المساجد التي بدورها أصبحت المكان الأول البارز في التدريس ونشر الثقافة الإسلامية، وإلى جانب المساجد تم إنشاء عدد من الكتاتيب لتسهم هي بدورها في التعليم ونشر الثقافة بين أهل قرطبة، وقد تم نشرها في معظم أرجائها، واتجه إليها كثير من الصبيان لينهلوا العلوم فيها وخاصة المبادي الأساسية للكتابة والقراءة والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكانت عادة ما يتم إنشاؤها ملاصقة للمساجد، وقد خففت الضغط عليها وخاصة أن المساجد تعد مكاناً للعبادة وأن الصبيان عادة ما يقومون بالعبث فيها، وأحياناً بوضع الأوساخ فيها، وكذلك تم استحداث المدارس وذلك بسبب تغير طريقة التدريس والتعليم، وبدأ الطلاب يتجهون إليها للدراسة فيها، حيث يتحصلون على مختلف العلوم كاللغة والشعر والعلوم الدينية، وكان أكثر رواد هذه المدارس من فقراء المسلمين الذين لا يستطيعون دفع أجرة الدراسة للمعلمين والمؤدبين الخصوصيين، وأصبحت هذه المدارس إلى جانب الكتاتيب من الأماكن التي ينهل فيها الطلاب الدروس، وخففت بدورها إلى جانب الكتاتيب الضغط على المساجد .[1]

ولعبت المكتبات دوراً بارزاً في ازدهار الثقافة بقرطبة حيث إن أهلها من محبي اقتناء الكتب، ولهذا عمل كثير منهم على إنشاء مكتبات تحتوي على كثير من العناوين، وكان لها رواد يطلعون عليها، بالإضافة إلى مكتبة الخليفة الحكم المستنصر بالله التي تعد من أكبر المكتبات في ذلك القرن، وتحتوي على مصنفات كثيرة من الكتب قام بجمعها من جميع البلدان وأسهمت مساهمة فعالة في ازدهار الثقافة وسنتناول كل محور على حده.

1—1 المسجد:

ورد تعظيم المساجد وبيان مكانتها في الإسلام حيث بين الله أهميتها ومكانتها قال الله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ .[2]

ذكرت المساجد في القرآن ثمان وعشرين مرة، وكذلك ذكر لفظ بيت، وبيوت بحيث يقصد بها مسجد ومساجد .[3]

---

1 ابن عذارى. مصدر سابق، ص ص241.240. وخوليان ريبيرا. مرجع سابق، ص ص15.13.

2 سورة النور، آية رقم 36.

3 محمد المجذوب. مهمة المسجد في بناء المجتمع الإسلامي. مجلة المدينة المنورة، السنة الثانية العدد4، الجامعة الإسلامية 1976م، ص 36.

ولقد تطرق رسول الله ﷺ إلى ذكر المساجد وعظمتها في الإسلام، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد[1]«، المسجد الحرام، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»).[2] وقال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتي يتباهى الناس في المساجد).[3] وقال: (من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة).[4]

وبعد أن بدأ المسلمون يخططون المدن كانوا يحرصون على إنشاء مسجد جامع عام للناس كافة وعُد ذلك مظهراً من مظاهر سيادة الدين الإسلامي، وعملوا على أن يظهروا هذه المساجد بالمظهر الجميل في دقة بنائه وحجمه، خاصة وأنهم يريدون أن يضاهوا بها كنائس النصارى، حيث إنهم لما افتتحوا الأمصار كانوا شديدي الإعجاب بفخامة الكنائس المسيحية، وأرادوا أن يظهروا قدرتهم على أنه في إمكانهم أن يضارعوا النصرانية ويبنوا مساجد لا تقل جمالاً عن كنائسهم، وكانت المساجد تتحكم في تخطيط المدن وفي عمرانها على نحو ما فعلوه في المدن كدمشق وبغداد وقرطبة والقيروان وفاس والقاهرة والإسكندرية، وبذلك فإن المساجد هي الأساس الذي يعتمد عليه العرب المسلمون في صبغ المدن المفتوحة بالصبغة الإسلامية، وأصبحت بمرور الزمن مركز المدينة وقلبها النابض، ومنه تتفرع الطرق الكبرى المؤدية إلى أبواب المدينة، ويعُد المسجد الجامع ذا أهمية بالغة للمسلمين وهو أهم المباني، ويكون حجمه على تعداد السكان للمدينة لأنه فيه تقام صلاة الجمعة والعيد، وعادة ما كانت المساجد مراكز للحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وعلى سبيل المثال فإنها تعقد فيهما الاجتماعات العامة الكبيرة، وينظر فيهما في القضايا التي تخص المسلمين وخاصة في المشاورات عند الاستعداد للحروب والمعارك، وبذلك عني المسلمون عند تخطيط مدنهم بجعل المسجد الجامع في وسط المدينة ليسهل

---

1 « البيت الحرام الذي بمكة، هو بيت إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، أمره الله ببنائه، وأن يؤذن في الناس بالحج إليه، فبناه هو وابنه إسماعيل، كما نص القرآن، وقام بما أمره الله به. قال تعالى﴿ إن أول بيتٌ وُضعَ لِنَّاسِ للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين﴾ آل عمران آية 96. بيت المقدس: بناه داؤود وسليمان عليهما السلام، أمرهما الله بناء مسجده ونصب هياكله، ودفن كثير من الأنبياء من ولد اسحاق عليه السلام حواليه.
المسجد النبوي: مهاجر نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه، آمره الله تعالى بالهجرة إليها وإقامة دين الإسلام بها فبنى مسجده بها، وكان مسجده الشريف بها "عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون،محمد محمد تامر، مصدر سابق، ص 282»

2 صحيح سنن النسائي، صحح احاديثه محمد ناصرالدين الالباني ج1 ،مكتب التربية العربي لدول الخليج، المكتب الإسلامي بيروت 1988م،ص155 .

3 الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني أبن ماجه، سنن أبن ماجه، تح محمد فؤاد عبد الباسط، دار البيان للتراث، د ت ،ص243.

4 المصدر السابق، ص 244.

على الناس الوصول إليه، وأصبحت من أهم المراكز للحركة الفكرية والثقافية.[1]

1-2- المسجد ودوره في الحركة الثقافية والعلمية :

منذ أن ظهر الدين الإسلامي، وتم بناء المساجد، أصبح المسجد هو المكان البارز في التدريس، وهو المكان الذي تعطى فيه الدروس، والمكان الرئيسِ لنشر الثقافة الإسلامية، ولعل السبب في جعل المسجد مركزاً ثقافياً هو أن الدراسات في السنوات الأولى للإسلام كانت دراسات دينية لشرح تعاليم الدين الإسلامي الجديد، وتوضيح أسسه وأحكامه وأهدافه، وهذه تتصل بالمسجد أوثق اتصال وخاصة دراسة القرآن الكريم والأحاديث النبوية، على أنها أساس العلوم الإسلامية، وأنهما أول العلوم التي درست بالمساجد، ولهذا السبب كانت مدارس المسلمين مساجدهم، ولهذا تُعد النواة الأولى للمدارس، ولم تكن مكان عبادة فحسب في الدولة العربية الإسلامية، بل مركزاً للثقافات الإسلامية، ففيه كان يجتمع العلماء للدرس والمناقشة والتعليم، وفيه درست علوم الحديث والتفسير والفقه والأدب والتاريخ والمغازي، وبه توجد مختلف الكتب الدينية والعلمية والأدبية،حيث كان كل مسجد يحتوي على مكتبة في أحد زواياه، وكان مسجد النبي النواة الأولى للمدرسة الإسلامية.[2]

اتخذ رسول الله ﷺ مسجده معهدا للتثقيف والتدريب والتعليم والتلقين، ولذلك نجد أن الداخل إلى المسجد يرى في أطرافه جماعة يصلون، وآخرين يتعلمون القرآن، وفي ركن آخر جماعة من العلماء والأدباء يفسرون قصيدة من قصائد الشعر، وفي ركن يجلس حوله تلاميذه يشرح لهم بعض أصول الحديث ويفسر لهم آيات من القرآن الحكيم، وعندما أصبح المسجد في كل حواضر الدولة الإسلامية بيتاً من بيوت الله يقصدها المسلمون للصلاة، فإن كل مسلم يستطيع الذهاب والدخول من غير استئذان، ويستفيد منها في العبادة والتعليم، إلا أنه كانت توجد مساجد خاصة تتبع السلطان مباشرة، ففي هذه

---

1 ينظر، عبد الرحمن على الحجي، اندلسيات، المجموعة الثانية، دار الرشاد بيروت 1969م ص ص148-149، وبشار عواد معروف . مؤسسات التعليم في العراق، الحضارة العربية الإسلامية، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان 1986م ،ص 71، وعلي حسني الخرطبولي، الحضارة العربية الإسلامية مكتبة الخافجي القاهرة1994م، ص 263-262 والسيد عبد العزيز سالم، محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1999م، ص 375،وليو بولد وتوريس بلباس، الابنية الاسبانية الإسلامية،تر،إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، عدد 1، مدريد 1953م ص ص99 ،100 .

2 ينظر، جرجي زيدان . تاريخ التمدن الإسلامي . ج 3 . دار مكتبة الحياة، بيروت ص ،219 ، و مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا . دار الرشاد بيروت 1968م، ص 131 ،وأحمد شلبي . تاريخ التربية الإسلامية، مرجع سابق ص 85،و حسن إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام الديني والسياسي والاجتماعي ،ج4 . مطبعة النهضة المصرية القاهرة 1984م ص ص421-422، وعلي حسني الخرطبولي، الحضارة العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص
264.chejne ;Anwar G .Muslim Spain it is history and culture minnea polis.opcit;p163.

الحالة لابد من استئذانه وأخذ الإذن منه، وإلى جانب تدريس العلوم السابقة نجد أن أول مجال ازدهرت فيه علوم الطب هو المسجد، حيث شكلت المساجد وفي طليعتها جامع الزيتونة والأزهر والقرويين معاهد أولى للطب النبوي.[1]

وبذلك أخذ المسلمون يتسابقون لطلب العلم في المساجد، لأنها تُعد المكان الملائم لاجتماع المسلمين، واتخاذها مكانا لنشر العلم وأصول القراءة والكتابة، وصاروا يتلقون مبادئ الدعوة ويتفقهون بفقه الإسلام، وتطورت الحياة الثقافية تطوراً كبيراً، بحيث كانت المساجد برمتها مراكز تهذيبية وتعليمية، وأصبح عامة الناس في الامصار الإسلامية الذين يرغبون في تعليم أولادهم يبعثونهم إليها ليتحصلوا على قسط وافر من التعليم والثقافة في مختلف العلوم.[2]

مما سبق توضيحه نجد أن المسجد صار المكان المعهود للعلم والتقوى إلى جانب دوره الأصلي العبادة، فقد أدى رسالته في تكوين الثقافة الإسلامية، وبذلك أصبح جامعة كاملة للعلوم النظرية والتطبيقية، واحتل مركزا رئيسيا في نفوس المسلمين منذ هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة واستقراره فيها، وصار يحمل أسمى معاني التأثير الواقعي على تكوين شخصية المسلم مما جعل له أهمية بالغة في الحياة الثقافية في الإسلام، لأنه يؤدي رسالة الإيمان على أكمل وجه، ويضيء نور الحق في جوانبه، وفيه تجتمع كلمة الجماعة الإسلامية، وتبرز المعرفة من خلاله في البحث عن العلم، وهذه المهمة العظيمة استمرت في المساجد خلال مرحلة بناء الحضارة والثقافة الإسلامية.

1-3- المساجد في الأندلس ودورها في ازدهار الثقافة :

وضعية الأندلس لا تختلف عن سائر بلاد المسلمين وقتذاك، فمنذ بداية افتتاحها عام(92هـ / 711م)، دخل مع جيش الفاتحين نفر من الصحابة والتابعين الذين كانوا على حظ من المعرفة بأصول الدين، وصحبوا الجند بعد الفتح للإفتاء في أمور الدين لتقسيم الغنائم وتحديد الضرائب، وتخطيط المساجد وتفقيه الناس، وخاصة الذين يعتنقون الدين الإسلامي من أهل البلاد، كما أسس هؤلاء النفر المدارس في الأندلس حيث أنشئت المساجد في المدن الأندلسية بعد افتتاحها من قبل المسلمين واستقرارهم فيها، مثل قرطبة وطليطلة وأشبيلية وغيرها من المدن الأخرى، وكانت عنايتهم قبل كل شيء منصبة في

1 ينظر.ابن خلدون ديوان المبتدا والخبر. مصدر سابق، ص 215. سعيد إسماعيل علي . الفكر التربوي العربي الإسلامي تونس 1987ص 257، وعبدالوهاب حمودة . نشأة كتب الأمالي وخصائصها، مجلة الأزهر، ج 4، المجلد الرابع والعشرون، القاهرة يناير 1966م، ص 556، و عبدالعزيز عبدالله. تعليم الطب بالمغرب والعالم الإسلامي . مجلة أكاديمية المملكة المغربية عدد 5، الرباط ديسمبر 1988م، صص25، 26.

2 حسين أمين. المسجد وأثره في تطوير العلم، مجلة دراسات تاريخية، عدد 5 دمشق 1981م، ص ص11.7 .

تدريس كتاب الله وسنة رسوله، وأن الحياة الثقافية في ذلك الوقت متواضعة أشد التواضع حيث إنها لم تكن تتجاوز حلقات في بعض المساجد التي كانت قليلة حينذاك، ولما كان للمساجد أهمية كبيرة في المدن الإسلامية، منذ أن صارت من أهم عوامل دفع الثقافة، فقد تم إنشاء عدد كبير من المساجد في المدن والأرياف بالأندلس لتؤدي دورها في انتشار العلم والثقافة على كامل التراب الاندلسي.[1]

ومن بين المساجد التي تم إنشاؤها مسجد قرطبة الذي شرع في إنشائه منذ دخول المسلمين إلى قرطبة، حيث شاطروا أعاجم مدينة قرطبة في كنيستهم العظمى التي بداخلها وبنوا في ذلك الشطر مسجداً جامعاً، وبعد أن أصبح عددهم يتزايد في فترة إمارة عبد الرحمن الداخل للأندلس، ضاق المسجد بالمسلمين فنظر في أمر الجامع وتوسيعه واتقان بنائه، وشرع في تجديده عام (169هـ/786م)، واستمرت الزيادة في بنائه عاماً كاملاً. ومنذ ذلك الوقت صار مركزاً للحياة الثقافية والاجتماعية في قرطبة، فكانت تقام حوله الحوانيت والأسواق، بالإضافة إلى الدور الاجتماعي والديني والسياسي والعلمي والثقافي الذي يقوم به، ففيه تعقد الاجتماعات وتقرأ فيه المنشورات والأوامر، وتحل فيه كثير من المشاكل، حيث تقوم فيه مجالس لفصل القضايا والمنازعات بين الناس حيث إن القاضي يجلس للفصل في الخصومات في ناحية من نواحيه.[2]

ونجد المؤدبين في قرطبة اتخذوا مسجدها بحكم أولويته وموقعه مدرسة تقدم العلم والمعرفة والتأديب السلوكي والعقلي، إلى جانب ما كان يقام في ذلك المسجد من مجالس تؤدي أغراضا أخري، حيث كان يجلس المؤدبون مع من يجلس إليهم من الأحداث ورواة الشعر وطلاب الأدب، ولعب المسجد دوراً كبيراً في التدريس، وكان للعلوم الدينية الحظ الأوفر، فكان منبره يستخدم في تدريس القرآن الكريم، لأنه هو أساس العلوم الإسلامية، وتعليمه أساس التعليم الإسلامي وما يتفرع منه كعلوم الشريعة والتفسير وأصول الحديث

1 ينظر. ابن القوطية ،تاريخ افتتاح الأندلس ،مصدر سابق. ص ص28-29، وأحمد هيكل ،الأدب الأندلسي من الفتح إلي سقوط غرناطة ،ط 7، دارالمعارف القاهرة 1979م ،ص ص60-61 . وعبد الحكيم عويس ،ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ،ط2، دار النشر للجامعات القاهرة 1988م ،ص 98، و وديع واصف مصطفي.ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق المجمع الثقافي ابو ظبي 2000م ،ص 49،
Tomas FQLICK. Islamic and Christian Spain in the carly middle age .Princcton university press, Princelon new Jersey 1979, p113

2 ينظر. الخشني ،قضاة قرطبة ،مصدر سابق ،ص ص15 . 103 ،وابن عذاري ،مصدر سابق ،ص 39 ،وخوليات ريبيرا . التربية الإسلامية في الأندلس ،أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية ،تر الطاهر مكي ،ط2، دار المعارف القاهرة 1994 ،ص 117 ،وهـ.ج ولتر . معالم تاريخ الإنسانية ،تر عبد العزيز توفيق جاويد . ط3 ،القاهرة 1972م ،ص 829 ،وعبد الرحمن ابن خلدون ،تاريخ أبن خلدون ،ج4،دار الكتاب اللبناني 1968م ،ص 264،
Bern hard and Ellen Mwhishow Arabic Spain side lights her history and art . opcit. p16

النبوي الشريف والفقه، وكل ما يتعلق بعلوم الدين الإسلامي، وواصل رسالته كمركز مرموق في الأندلس للدراسات بجميع أنواعها، وهذا الجانب من رسالته في أوج وقمة مجده يعُد شيئا رائعا يستحق التقدير والتأمل والمشاهدة حيث إن مشهد الطلاب يتدفقون إلى دروسهم عبر أبوابه بعد انتهاء صلاة الفجر وقد قدموا إلى المسجد وهم مسرورين فرحين ويرتدون ملابس أنيقة ومتنوعة.[1]

وقد أضفى جامع قرطبة أهمية بالغة وذات شأن للمدينة فهو محط طلاب العلم ورواد الثقافة في الفكر في سائر النواحي العلمية، وكان للجو العلمي السائد فيها في فترة الخلافة الأموية له الأثر الكبير في انضاج الكفاءات العلمية وشحذ العقول نحو الخلق والابتكار، ولذلك أصبح يفد إليه الطلاب والعلماء على السواء للتعليم والتعلم في أنواع شتى من العلوم المختلفة الدينية واللغوية والأدبية والتطبيقية، وقد جاء هؤلاء العلماء من خارج قرطبة، وخاصة من المشرق الإسلامي لنشر العلم والثقافة المتنوعة، ونظراً لتطور الثقافة في هذه الفترة عن طريق مسجد قرطبة فإنها اجتذبت إليها الطلاب من الشرق والغرب، وكان يفد إليها الطلاب المسيحيون للتعليم والتزود بالثقافة العربية الإسلامية في مجالات كالطب والأدب، إلى جانب الطلاب الذين يأتون من الضواحي المحيطة بقرطبة وذلك لسماع خطيب أو مؤدب مميز له حسن الإلقاء، أو يدرس نوعاً معيناً من الدروس في أي نوع من أنواع العلم وخاصة الكتب والدروس الفقهية مثل كتاب الموطأ للإمام مالك أو كتب الفقه لعبد الملك بن حبيب، أو نوادر أبي علي القالي، وكانت الحلقات الدراسية في أغلب الأحيان ليست مخصصة لسن معينة، وإنما تجد فيها الشيوخ والفتيان والصبيان، ممن ينتمون إلى طبقات مختلفة العليا والدنيا، ونظرا لأهمية الدروس بمسجد قرطبة، فإن الطلبة يسبقون المؤدبين إلى المكان المخصص للدراسة وهم على علم مسبق بها، لأن بعض الزوايا في المسجد حكر على شيخ معين تبقى تحت تصرفه ما دام حياً ويدرس في هذا المكان، ويعد جامع قرطبة من الوجهة العلمية أكبر جامعة إسلامية تدرس بها العلوم المختلفة، وهو موضع إجلال للمسلمين والمسيحين على السواء، وكان ينظر إليه على أنه أعظم جامعة غربية في أوربا في العصور الوسطى، وبذلك أصبحت قرطبة بفضل جامعها عاصمة الغرب الفكرية والاجتماعية ثبت أضواء حضارة وثقافة جديدة، وقد أشاد الطلاب المسيحيون بتطور الفكر والثقافة فيها، وقد نهلوا الكثير منها مما يفتقدونه

---

1 ينظر الخشني . مصدر سابق ص ، 15 ، وأحمد بن أبي يعقوبن جعفر بن وهب ابن واضح تاريخ اليعقوبي ج2، دار صادر د ت ص 420 وأحمد أمين ضحي الإسلام ،ط7مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1964م ، و خوليات ريبيرا التربية الإسلامية في الأندلس مرجع سابق ص 115، Rcin hart dozy .Spanish islamic .opcit.p455.

في بلادهم، أضف إلى ذلك فإن قرطبة حوت إلى جانب المسجد الجامع أعداداً كبيرة من المساجد تقدر بالآلاف اشترك في بنائها الأمراء والخلفاء ورجال الدولة والميسورون كانت كلها مدارس ومنارات للعلم، وكذلك نجد من الجوامع الكبيرة والمشهورة في قرطبة، والتي اجتذبت إليها الكثير من العلماء والطلبة لارتباطها بخلفاء الدولة مساجد الزهراء والزاهرة حيث كانت تلقي فيهما المحاضرات بصورة

مستمرة ومن أفضل علماء قرطبة.[1]

ولقد تلمذ في جامع قرطبة كثير من أبناء الأمراء ورجال الدولة والأثرياء، واحتوى على طلبة كان من بينهم من أصبح له دور كبير في قيادة البلاد حيث إن الحاجب المنصور محمد ابن أبي عامر كان من ضمن الطلبة الذين درسوا على عدة علماء في مسجد قرطبة، وتلقى معظم العلوم التي درسها به مثل الأدب واللغة والحديث وغيرها من العلوم الأخرى.[2]

وقد قام أمهر المؤدبين بالتدريس في مساجد قرطبة وكان لهم دور كبير في انتشار الثقافة والعلم ونذكر منهم الأديب إبراهيم بن عبدالرحمن التنسي الذي له حلقة في جامع الزهراء، وكان يحدث منها بحكايات من أمالي أبي علي القالي، وإبراهيم بن أحمد بن فتح الملقب بالحداد وهو حافظٌ للمسائل عاقد للشروط عالم بالفقه والعربية فصيح ضابط قام بالتدريس بجامع قرطبة ومسجد الزهراء في دروب مختلفة من الفقه والعلم، وزكريا بن بكر بن أحمد الغساني له دراية بعلم الحديث، وكان يحدث في مساجد قرطبة وقد سمع منه ابن الفرضي كثيراً من كتبه ورواياته وسليمان بن عبد الرحمن المعروف بابن العجل. أتقن القرآن الكريم، وأصبح أحد المؤدبين بالمسجد الجامع بقرطبة، ومنهم قاسم بن أصبغ، وأحمد بن دحيم بن خليل، ومحمد بن عبد السلام الخشني، وأبو عبد الملك بن أبي دليم، ومحمد بن عمر بن لبابه، وأبو علي القالي، وابن القوطية، وصاعد البغدادي، والزبيدي، ومحمد بن يحي الرباح، وأبو محمد ابن عبدالله بن حرب المعروف بجنين، وأحمد بن

---

1 ينظر. ابن بشكوال.كتاب الصلة . ج1. مكتبة الثقافة الدينية ،مرجع سابق ،ص ص42-45 ،وأبن عذاري المراكشي . مصدر سابق ،ص 232، وأبن خلكان . وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان . تح إحسان عباس، ج4، دار صادر، دت، ص 368.، وأبن خلكان، المصدر نفسه، ج3، ص 373.، وابن خلكان، المصدر نفسه، ص 227، السيد عبد العزيز سالم ،محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية . مرجع سابق ،ص ص377-382، وعدنان رفائلفيثاوي. حكايتا في الأندلس . المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، 1982م ،ص 156،و محمد عبد الله عنان ،سفارة المانية الي بلاط قرطبة في عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله. مجلة الرسالة ،عدد 37 القاهرة ،يناير 1938م ،ص 86،واحسان عباس . الخليفة العالم الحكم المستنصر بالله. مجلة المجلة. عدد 22. القاهرة 1958م، ص81، وخولياتريبيرا. التربية الإسلامية . مرجع سابق، ص ص111-112، وأحمد شلبي . تاريخ التربية الإسلامية ،مكتبة النهضة العربية بيروت 1978م، ص 95 ،و ماكس فانتاجو، المعجزة العربية تر رمضان لاوند، ط2، دار العلم للملايين بيرت 1981 ،ص 92، زيغريدهنكة، شمس العرب تسطع علي الغرب ،تر فاروق بيضون كمال الدسوقي.ط2. بيروت1979م، ص 500، وأحمد المقري التلمساني ،نفح الطيب، ج1 ،مصدر سابق ،ص 540.

2 أبن عذاري ،البيان المغرب . ج2، مصدر سابق ،ص257.

محمد الاعرج واسحاق بن إبراهيم بن مسرة، وهؤلاء جميعا لهم شهرة كبيرة وقد قاموا بالتدريس في المساجد الجامعة، وكان يتحلق عليهم كثير من الناس ليسمعوا منهم رواياتهم، وكانوا مشهورين بالآداب والتاريخ القديم والنحو واللغة والفقه والحديث، ولذلك نجد للمساجد دوراً كبيراً ومهماً في أداء رسالة العلم، وبها انتشرت الثقافة وازدهرت في قرطبة خاصة في باقي أرجاء بلاد الأندلس عامة وأصبح أهل الاندلس ينهلون من هذه الثقافة في مختلف ضروب العلم.[1]

2- المكتبات:

عملت المكتبات على نشر الثقافة والعلم في الأندلس، وأصبحت مثلها مثل المساجد تؤدي دورها في التعليم، وكانت المكتبات في قرطبة في القرن الهجري الرابع / العاشر الميلادي من عوامل ازدهار الثقافة والعلم، وانتشرت المكتبات العامة والخاصة بها، حيث إن أهلها أنشأوا في كل حي داراً للكتب وزودوها بمئات الآلاف من الكتب التي جعلوها في متناول الجميع، وكان وراء هذه ثمرة الجهود التي بدلها الخلفاء الأمويون في قرطبة، وبذلك لم يشتهر إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية بما فيه من مكتبات خاصة بقدر ما اشتهرت به الأندلس التي أسرف أهلها في اقتناء الكتب وتجليدها وزخرفتها حتى وصفت قرطبة بأنها أكثر بلاد الأندلس كتباً وأشد الناس اعتناء بخزائن الكتب، وعمل خلفاء بني أمية على أن يكون لهم دور كبير وبارز في إنشاء المكتبات، فنجد الأمير عبد الله بن عبد الرحمن الناصر كانت له مكتبة في القصر بها عدد من أصناف الكتب المتنوعة، وأسس الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله مكتبة في القصر بقرطبة، وجلب إليها الكتب من أرض الإسلام وبلاد النصارى، فبعث في شرائها رجالاً من التجار ومعهم الأموال، وحرضهم على البذل في سبيلها وأجتمع له من الكتب ما لم يسبق له مثيل في الإسلام فجعلوها في قاعات من قصر قرطبة، وأقاموا عليها مديراً، للعناية بشؤونها.[2]

وبالإضافة إلى الأمراء والخلفاء، نجد أهل قرطبة أيضاً كانوا يميلون للعلم وإنشاء

---

1 - ينظر ابن الفرضي. تاريخ علماء الأندلس . ج1، مصدر سابق، ص ص52-53-54-115-257-276-138-139-143-145، المصدر نفسه ، ج2، ص ص416-417، والزبيدي ،طبقات النحويين واللغويين. دار المعارف، القاهرة1965م، ص ص287-310-311 ،وأحمد المقري التلمساني . نفح الطيب، ج2، مصدر سابق ،ص 48،وأحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والأندلس ،مرجع سابق ،ص 226.

2 ينظر ابن حيان. المقتبس في ولاة الأندلس. تح علي الحجي مصدر سابق ،ص 115 .، وابن حزم الأندلسي ،جمهرة انساب العرب . مصدر سابق ،ص 100 ،والحميدي. مصدر سابق ،ص 13، وابن سعيد . مصدر سابق ،ص 186، و عبد الرحمن ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ،ج4، مصدر سابق ،ص 227، وجرجي زيدان ،تاريخ التمدن الإسلامي ،مرجع سابق ،ص 227 ،وأنور الرفاعي ،الإسلام في حضارته ونظمه ،مرجع سابق ،ص 547، وصلاح خالص. أسبيلة في القرن الخامس الهجري ،دار الثقافة بيروت 1981،ص 20 ،و ماكسن فانناجو. المعجزة العربية ،تر رمضان لاوند ،مرجع سابق ،ص 92

المكتبات، وعملوا على اقتناء الكتب النادرة وشرائها بباهظ الأثمان، ولهذا اقتدي بالحكم رجال دولته، فأنشأوا المكتبات في قرطبة وفي سائر أنحاء الأندلس، حيث لعبت دوراً كبيراً في نشر الثقافة والمعرفة، وكانت هذه المكتبات تفتح أبوابها لعامة الناس الفقراء والأغنياء لاقتناء الكتب والدراسة في قرطبة، وتعد من أهم الإنشاءات التعليمية فيها، وأصبح اقتناء الكتب بقرطبة من إشارات الوجاهة والرئاسة عندهم، وقد يكون منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانه كتب وينتخب فيها، لإجل ذلك كثرت المكتبات الخاصة وانتشرت انتشاراً كبيراً بها، وعلى سبيل المثال من بين المكتبات الخاصة التي تم أنشاؤها في قرطبة وكانت نموذجاً يعتد به أصحاب المكتبات من حيث كثرة الكتب وتنوعها، حيث تحتوي على معظم التخصصات العلمية والأدبية واللغوية والدينية والتطبيقية مكتبة القاضي أبو المطرف بن فطيس(ت 402هـ/1011م)، قاضي الجماعة بقرطبة، وقد جمع من أصناف الكتب المختلفة ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بقرطبة، وكان إذا علم بكتاب حسن عند أحد من الناس طلبه ليشتريه منه ويبالغ في ثمنه، وكان لا يعير كتاباً من أصول المكتبة، وإذا سأله أحد ذلك أعطاه للناسخ ينسخه ويدفعه إلى المستعير ويحكى أن أهل قرطبة بعد وفاته اجتمعوا لبيع كتبه عاماً كاملاً في مسجده، واجتمع من ثمنها أربعون ألف دينار، ويتضح من هذا اهتمام أهل الأندلس والعاملين على انتشار الثقافة بإنشاء المكتبات وإقبالهم على تكوينها، وأصبحت المكتبات نواة للجامعات الإسلامية المبكرة لما كان لها من أهمية كبيرة في نشر الثقافة والعلم، وأصبحت تلك المكتبات العامة والخاصة تمتلئ بالقراء الذين جأوا من قريب وبعيد، لينهلوا من معين العلوم المختلفة وخاصة العلوم الدينية من فقه وتفسير وأحاديث نبوية وأدب ولغات وغيرها.[1]

3- الكتاتيب:

لما كان للمساجد حرمتها وجبت حمايتها من عبث الصبيان وعدم تمكينهم من التعليم فيها، وعلى هذا الأساس قام الخلفاء بإنشاء الكتاتيب حيث تلحق بالمساجد حتى يتعلم فيها الصبيان، وكان معلم الكتاتيب يسمى مؤدباً، وكان يأخذ أجراً على تعليمه، ولم يكن تعليمه لهم يقتصر على تحفيظهم القران الكريم وبعض نصوص الحديث النبوي بل يتسع ليشمل مبادئ العلوم الأساسية مثل القراءة والكتابة واللغة والنحو والخط مع

1 ينظر. ابن بشكوال.كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس ،ج1 ،مجريط 1988 ،ص ص298 299- ،وأحمد المقري التلمساني. نفح الطيب ،ج1 ،مصدر سابق ،ص 302، وعبد الستار الحلوجي. لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات ،ط3 ،دار الثقافة القاهرة 1982م ،ص ص40-41، وأحمد عبد الرازق أحمد . الحضارة الإسلامية في العصور الوسطي ،العلوم العقلية ،مرجع سابق ،ص ص227-228

تحفيظهم بعض النصوص من الأشعار والرسائل البارعة وما إليها، وكان هؤلاء المؤدبون من ذوي الإتقان والحفظ والضبط بهذه العلوم وكانت لهم رحلات إلى المشرق للتزود بالعلم، وعادة ما يتحصل المؤدبون على أجرتهم من أولياء الأمور، ونذكر منهم أبو محمد عبدالله بن حرب بن إبراهيم بن عبدالملك بن يحي بن إدريس الكلابي المعروف بجنين ومحمد بن سليمان الأنصاري المكفوف المعروف بالجري وغيرهم، وبذلك كثرت هذه الكتاتيب، واكتظت بها قرطبة، وأصبح الصبيان ياتون إليها لتلقي الدروس فيها واتخاذها مكاناً للعلم بدل المساجد، وبذلك خففت هذه الكتاتيب الضغط المستمر على المساجد، وتم فصل حديثي السن عن غيرهم من طلاب العلم حتى يستطيع كل منهم الحصول على ما يناسبه من العلوم، وخاصة أن المؤدبين على دراية بمن يقومون بتدريسهم وتعليمهم،لأنه يختلف تدريس الأطفال عن الكبار وخاصة في طريقة التدريس والفهم والدروس التي تلقى عليهم.[1]

4- المدارس:

بدأت فكرة المدارس بعد ازدحام المساجد بالحلقات وإقبال الناس على العلم، وهي عبارة عن مبانٍ خاصة معدة لغرض الدراسة، وتدرس فيها جميع التخصصات العلمية، وتختلف المدارس عن المساجد بكونها صممت خصيصاً لتدريس الصبيان، وتحتوي على كثير من الحجرات وفي بعض المدارس على أجنحة خاصة لمبيت الطلبة، وأنشئت المدارس بسبب تغيير طريقة التعليم وانتشار طرق أخرى للتدريس والتحصيل العلمي، وكذلك من أهم الأسباب في ذلك أن المساجد لم يكن يستحسن جعلها أماكن متخصصة للتدريس بما يتبعه من مناظرة، وجدل قد يخرج بأصحابها أحياناً عن الأدب والاحترام الذي يجب مراعاته في المسجد، وبذلك بدأت المدارس في قرطبة تقوم بدورها إلى جانب المساجد، وانتشرت في معظم أنحائها وذلك ليتعلم فيها الصبيان مبادئ الدروس الأولية في العلوم اللغوية والدينية، وكذلك مبادئ الحساب، وصارت المدارس معدة لهذا الغرض العلمي، واكتظت بالطلاب وبذلك تحصل الناس على أماكن أخرى للدراسة والتعليم إلى جانب المساجد، وقد افتتح الحكم الثاني حوالي سبع وعشرين مدرسة بمدينة قرطبة وضواحيها ليدرس فيها أبناء الفقراء ليستطيعوا التمكن من الدراسة والانخراط في سلك التعليم، وخاصة أن هذه المدارس مجانية بدون مقابل، وأضيفت هذه المدارس إلى المدارس السابقة

1 ينظر. ابن عذاري ا مصدر سابق ،ص 240 ,وأحمد أمين ،ضحى. الإسلام ،ج2، مرجع سابق ،ص 240 ,ولويس يونغ ،العرب وأوروبا ،مرجع سابق ،ص 42 ,وشوقي ضيف. عصر الدول والأمارات. دار المعارف القاهرة، د ت، ص ص61,62، وشوقي أبو خليل. الحضارة العربية الإسلامية. كلية الدعوة الإسلامية طرابلس1993م، ص259.

التي أنشأها الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، وبذلك شجع خلفاء بني أمية على إنشاء المدارس العامة والخاصة في قرطبة، وأصبحت هذه المدارس إلى جانب الكتاتيب من الأماكن العلمية التي خففت الضغط على المساجد لكونها كانت المكان الوحيد للتعليم وخاصة من ناحية الأطفال والصبيان، وعلى الرغم من ذلك بقيت المساجد في استمرارها كأماكن للتدريس والتحصيل العلمي ولم تنقص أهميتها باستحداث المدارس. [1]

لم تذكر المصادر أسماء محددة للمدارس، وإنما يسمونها مدارس قرطبة بصفة عامة، وقد قام عدد من المؤدبين بالتدريس في هذه المدارس نذكر منهم محمد بن أحمد بن مفرج، ومحمد بن يحي بن عبد العزيز المعروف بابن الجزار، وأبا غالب تمام بن غالب بن عمر يعرف بابن التياني اللغوي، ومحمد بن عاصم اللغوي، ومحمد بن مفرج بن عبد الله بن مفرج المعافري، [2]

5. قصور الخلفاء:

كانت قصور الخلفاء من أماكن الدراسة والتدريس، ولكنها كانت خاصة بالأمراء الذين اقتضت الحاجة أن يأخذوا دروسهم فيها بعيداً عن العامة من الطلبة، فقد كانوا يختلفون عن أبناء العامة من حيث إن لهم مستقبلاً ينتظرهم، وبذلك كان لزاماً على الأمراء أن ينالوا قسطاً وفيراً من التعليم، على يد مؤدبين خاصين يختارهم الخلفاء بأنفسهم وبإشرافهم من خيرة المؤدبين في جميع فروع العلم، ويأتي أكثرمن مؤدب في اليوم لتأديبهم لأن كل واحد منهم متخصص في نوع من ضروب العلم، لأنه يتحتم على الأمراء أن تكون لهم معرفة ودراية بجميع أنواع العلم المختلفة، ومثال على ذلك فالخليفة عبد الرحمن الناصر قد تلقى دروساً في قصر قرطبة من قبل أن يتولى الخلافة، وحرص هو نفسه على أن يحضر أمهر المؤدبين لقصر الخلافة لتأديب أبنائه وتعليمهم كل أنواع العلم بعد ما أصبح خليفة، وعمل الحكم المستنصر بالله على تنشئة ابنه هشام المؤيد تنشئة علمية حسنة، فخصص له مكاناً في القصر واستدعى له خيرة المؤدبين عنده في قرطبة في ذلك الزمان، ومنهم العالم اللغوي محمد بن حسن الزبيدي حيث قام بتأديبه في علم النحو وحفظ اللغة، واستدعى له الشيخ الجليل الفقيه الراوية يحي بن عبد الله بن يحي بن

---

1 ينظر الزبيدي ،طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص ص287.285، وابن عذاري المراكشي، مصدر سابق ،ص 240،وابن بشكوال ، كتاب الصلة ،ج1 مكتبة الثقافة الدينية ،مصدر ساق ،ص42،و ادم متز، مرجع سابق ،ص 241 ،وشوقي أبو خليل، مرجع سابق ص260، وعبد الرحمن علي الحجي ،التاريخ الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة ،مرجع سابق، ص286، وعبد الله انيس الطباع ، القطوف اليانعة من ثمارجنة الأندلسالإسلاميالدانية ،دار ابن زيدون بيروت 1986م ،ص 146، وزيغريدهونكة، مرجع سابق ،ص391، Rein hart dozy Spanish Islam. Opcit.p455

2 - ينظر ابن الفرضي،ج1 ، مصدر سابق ص156، المصر نفسه،ج2، ص750، الحميدي، مصدر سابق، ص183، وابن بشكوال، ج2 ،مصدر سابق، ص ص122ـ147 .

الليثي أرفع مسندي الحديث في وقته ليسمع منه ويأخذ عنه علم الحديث، والفقيه أحمد بن يوسف الملقب بالقسطلي وأحسن وصاته به، ورسم له في تعليمه وتدريسه رسوماً أفاد منها والعالم الفقيه أحمد بن محمد بن يوسف المعافري لتأديبه في الفقه، وأحمدبن نصر بن خالد ويكني أبا عمر ليسمع منه موطأ مطرف بن محمد بن عمر بن لبابة، ونهج الحاجب محمد بن أبي عامر نهج سلفه حيث استدعي لقصر الخلافة لتأديب أبنائه الأديب النحوي والشاعر حسين بن وليد بن نصر وغيره من المؤدبين.[1]

6- مجالس المناظرة :

تُعد هذه المجالس من أهم أماكن الدراسة والتحصيل العلمي، ويقوم بها عادة أولو الأمر من الأمراء والخلفاء والوزراء، وكانت تقوم في القصور والدور الخاصة بهم، وبعض الأحيان في المساجد الجامعة مثل جامع قرطبة والزهراء والزاهرة. وتقوم هذه المناظرات بين العلماء في جميع التخصصات العلمية وخاصة الآداب والشعر والنحو والصرف واللغة، وفي المسائل الفقهية والأمور الدينية الأخرى، ويُعد عصر الخلفاء في دولة بني أمية عصر ازدهار الثقافة والتطور الفكري، حيث كانت قرطبة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي من أكثر المدن الإسلامية ثقافة وحضارة بحيث نهضت فيها الثقافة والحضارة نهضة شاملة وقد كان من المألوف أن يشارك الخلفاء في المناظرات العلمية وإثرائها بآرائهم وبتأييد آراء البعض، ودحض الآراء الأخرى، وكان استعداد العلماء والشعراء والأدباء للمناظرات نابعاً من داخل وجدانهم حيث كانوا يتربصون لها رغبة في الشهرة والحظوة وخاصة شعراء المديح، حيث كانوا يتنافسون على أفضل شاعر يمدح الخليفة، وكذلك الفقهاء عادة ما تكون بينهم مشادة في مسألة فقهية، وكل منهم يريد أن يكون هو على حق ولهذا فإن لمجالس المناظرة رونقها الخاص، وعادة كانت تمتد إلى وقت متأخر من الليل نظراً لما تمتاز به من إفرازات علمية جديدة، وبذلك يتحصل الحاضرون وخاصة العلماء على معلومات ومفاهيم أخرى جديدة يضيفونها إلى معلوماتهم السابقة، وكانت هذه المجالس دافعاً إلى تحفيز العلماء على البحث والتبحر في العلم، وكانت تطرح في هذه المجالس كثير من الآراء والقضايا والمسائل على البساط للمناقشة والتحليل، وكانوا يتقبلون الردود من العلماء بصدور رحبة وبدون أي تكبر، ويحترمون هذه المجالس بكل احترام وتقدير لأنها مجالس ثقافة، وكان لهذا النوع من أماكن الدراسة أثر كبير في

---

1 • 284 ، وابن ا لفرضي ،ج1 ، مصدر سابق ،ص ص208-209-284 ، وابن الفرضي،المصدر نفسه ،ج2،ص ص 613،768،وابن حيان المقتبس في اخبار أهل الأندلس ،تح علي الحجي ،مصدر سابق ،ص ص76-77-133-216-217.

الرفع من المستوى العلمي والثقافي والحضاري بين الأوساط الثقافية، وعادة ما يحضر هذه المجالس مجموعة محدودة العدد من العلماء؛ ومن لهم شهرة كبيرة بينهم وخاصة الشعراء والأدباء المتميزون على غيرهم مثل أبي علي القالي، وصاعد البغدادي والعريفي، والزبيدي وابن القوطية، والخشني، والجزيري وغيرهم من العلماء والشعراء حيث كل منهم له ضرب من ضروب العلم متميز فيه، ونجد هؤلاء العلماء والشعراء لهم احتكاك وصحبة بالخلفاء والأمراء، ولهذا كان وجودهم باستمرار في هذه المجالس العلمية الثقافية، وكان أكثرهم حضوراً لهذه المجالس العلمية من الخلفاء الحكم المستنصر بالله لدرايته وشغفه بالعلم والعلماء على السواء، وأن هذه المجالس تدل على الازدهار الثقافي والحضاري الذي وصلت إليه قرطبة، والشغف العلمي والثقافي للخلفاء والأمراء والعلماء على السواء ورغبتهم في النهوض بمستوي بلادهم العلمي بين الدول والمناطق الإسلامية الأخرى.[1]

ومثال على ذلك أمر الحكم المستنصر بالله مجموعة من العلماء في جلسة علمية تتكون من محمد بن أبي الحسين العالم باللغة والأدب، وأبي علي إسماعيل ابن القاسم البغدادي وابن سيد في دار الملك التي بقصر قرطبة، وذلك لمقابلة كتاب (العين) للخليل بن أحمد، وتم إحضار نسخ كثيرة منه، ومن ضمنها نسخة القاضي منذر بن سعيد التي رواها بمصر، واستمرت المناظرة لعدة أيام، ومر عليهم يوم من الأيام الحكم المستنصر بالله وسألهم عن النسخ، فقالوا له إن نسخة القاضي منذر بن سعيد التي كتبها بيده أشد النسخ تصحيفاً وخطأً وتبديلاً، وبينوا له مكان الأخطاء في الشعر والألفاظ واللغة، وقاموا بعد ذلك بإصلاحها جميعاً، مما يدل على أن للمجالس العلمية دوراً كبيراً في إثراء الحركة العلمية، وتصليح الأخطاء بالكتب المنقولة حتى ولو كانت هذه الكتب لرجال الدولة [2].

ومثال آخر لهذه المجالس، المجلس الذي كان الحاجب المنصور بن أبي عامر جالساً فيه في يوم مطير في قصره مع جماعة من الوزراء والأدباء والشعراء يتناقشون ويتجادلون في شتي من أمور الحياة ومنها الأدب والشعر، ودخل عليهم صاعد البغدادي وعليه ثياب وخف جدد، فمشي على حاشية الصهريج لازدحام من حضر فزلق وسقط في الماء، فضحك المنصور وأمر بإخراجه، وكاد البرد يأتي عليه، فلما نظرإليه أمر بخلع ثياب له وأدنى مجلسه، ثم قال له هل قلت في سقطتك شيئاً؟ فأطرق ثم قال :

---

1 ينظر الزبيدي ،طبقات النحويين واللغويين ،مصدر سابق ،ص 310،وابن حيان ،المقتبس في أخبار اهل الأندلس ،تح علي الحجي ،مصدر سابق ،ص ص31-54-56-60-133-134 ،والحميدي – ،مصدر سابق ،ص ص51-78 ،وابن عذاري ،مصدر سابق ،ص 55،وول دايريل ديورانت،قصة الحضارة ،ج14 ،13 ، دار الجيل، بيروت ، د ت، ،ص 306.
2 الحميدي، مصدر سابق ،ص 51-52

شيئان كان في الزمان غريبةٌ ضرطُ ابن هيتم وزلقةُ صاعد

وكان من بين الحاضرين الكاتب والشاعر أبومروان الجزيري قال له: أبا العلاء هلا قلت

سُـــروري بـغُـرتَّـك المُـشْـرِقَـةْ وَديمــــةِ رَاحَـــتِـــكَ المُـغـدِقَـةْ

ثـنـائـيَ نـشـوانَ حـتَّـى هَـويـتُ في لُجّــــةِ الـبِـرْكَـةِ المُـطـبـقَـةْ

لـئـن ظـلَّ عـبـدُك فيـهـا الـغَـريـقَ فـجُــوُدكَ مـن قـبـل ذا أغْــرَقَـهْ.

وهذا يدل على أن هذه المجالس العلمية تنمي في العلماء سرعة البديهة والارتجال في طلب التقرب والشهرة، وكذلك نجد أن العلماء بصفة عامة والشعراء بصفة خاصة في هذه المجالس يتدفق منهم الشعر على البديهة. [1]

2- عوامل داخلية:

2-1- ثراء اللغة العربية ومرونة أنظمتها:

اكتسبت اللغة العربية بفضل القرآن الكريم قدراً من المناعة استطاعت من خلاله أن تحافظ على وجودها حتى في أشد عصور الضعف والظلام التي مرت بها الأمة العربية، وقد وصف سبحانه وتعالى في طائفة من الآيات القرآنية بأنه عربي، فهي اللغة التي يفسر بها كتابةُ المبين، وتستنبط بها أحكامه، وهى أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش، وهى ذات أهمية عظيمه لكونها اللغة العربية للمسلمين، وبدونها يكون الفهم للإسلام ناقصاً، وهي الأداة الأصلية لكل العلوم الدينية في الإسلام، ولغة الثقافة الإسلامية التي في جوهرها ثقافة القرآن والحضارة الإسلامية، وكذلك الرابطة العظمي التي تربط بين العرب في شتي أقطارهم وأمصارهم [2]

وقد وردت عدة آيات من القرآن الكريم تؤكد على نزول القرآن بلسان عربي مبين مما زاد من فخر الأمة العربية والرفع من شأنها وشرفها بنزوله بهذه اللغة وهي:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3]

---

1 - ابن بسام الشنتريني ،ق4، مج1مصدر سابق،ص ص35-36.

2 ينظر- حكمت عبدا لكريم فريحات، إبراهيم ياسين الخطيب ،مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ،دار الشرق عمان 1989م ،ص27،و إبراهيم أرفيدة القرآن الكريم واللغة العربية،، مجلة الدعوة الإسلامية عدد14، كلية الدعوة الإسلامية طرابلس 1997م،ص72، والجيلاني جبريل،اللغة العربية أهميتها وكيفية تدريبها،مجلة الدعوة الإسلامية،عدد 4،جمعية الدعوة الإسلامية،طرابلس 1987 ص342-343-345.

3 سورة يوسف الآية 2.

وقال تعالي:﴿ نَزَل بِه الرُّوحُ الأَمِينُ.عَلَى قَلْبِك لِتَكُون مِن المُنذِرِينَ.بِلِسَان عَرَبِيٍّ مُّبِين﴾[1]

وقال تعالي:﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاه قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيد لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أو يُحْدِث لَهم ذِكْرًا﴾[2]

ثم إن اللغة العربية غنية بالألفاظ، دقيقة التعبير فيها لكل معنى لفظي خاص،وفيها ألفاظ لتأدية فروع المعاني وأجزائها، ومثال على ذلك نجد في المعاني كلمات تعبر عن السرور والسعادة واللهو والمرح والبؤس والخوف والفقر، وكل ذلك إنما يعبر عن أحوال العرب وحياتهم، وكذلك نجدها غنية بقواعد نحوها وصرفها واشتقاقها، ولعلها أغني اللغات في الألفاظ التي تعبر عن المعاني المجردة والعواطف والانفعالات، وقد أصبحت بعد ظهور الإسلام لغة الدين والفكر والمعرفة والثقافة في العالم خلال عصور طويلة، وامتازت بصفات كثيرة، فهي كثيرة المرونة، لطيفة المخارج، سهلة التعبير سامية في البلاغة، ساحرة البيان، وفضلاً عن ذلك فهي تتميز في صروفها التي تعني بالمخارج والإعراب المحدودة، والكلمات السهلة النطق، والجمل التي تشترط في تركيبها حالة محدودة، وتُعد أيضا اللغة الرسمية للفاتحين،وهم العنصر الأول والأساس الذي حمل لواء الإسلام ومهمة الجهاد في نشر الدين الجديد خارج بلاده وتوصيله لشعوب الدنيا كافة.[3]

والأندلس من المناطق التي تمّ دخول المسلمين الفاتحين إليها، وأهلها لم يكن لهم أي صلة بالعرب، ولهذا فإنهم لم يحتكوا بهذه اللغة الجديدة التي أتى بها الفاتحون من قبل وإنما يتكلمون لغتهم التي هي لغة الكنيسة وهي اللغة اللاتينية، وفي بداية الفتح الإسلامي الأندلسي لم يتمكن أهل الأندلس من تعلم اللغة العربية، لأنه خلال العصر الإسلامي الأول لم تكن الأمور قد استقرت بعد، ولم تترك مشاغل الغزو والخلافات الحزبية والانقلابات المتوالية في الرياسة مجالاً لاتجاه أهلها في التفكير في تعلم لغة الفاتحين، ولكن بعد أن تولى بنو أمية زمام الأمور في الأندلس، قضوا على الفوضى والمنازعات في قرطبة والأندلس قاطبة، بدأوا عنايتهم بتعليم اللغة العربية لأنها هي مفتاح كل العلوم، فقد عمل أمراؤهم على توحيد التعليم وتعميم دراسة اللغة العربية في ربوع البلاد المنطوية تحت إمرتهم، وفتح مكتبات عامة لجميع الناس لتعليم جميع الناس دون استثناء سواء أكانوا المسلمين أم أصحاب الديانات الأخرى، وبذلك أصبح أفراد الشعب الأندلسي يتوافدون على هذه المدارس لتفهم أصول اللغة العربية والأدب العربي.[4]

---

1 - سورة الشعراء. الآيات رقم، 193،194،195.

2 - سورة طه . الآية رقم، 113.

3 - ينظر. إبراهيم سلمان الكردي- المرجع السابق،ص 247-248 - وعبد الحسين مهدي الرحيم - تاريخ الحضارة العربية الإسلامية - طرابلس 1995م، ص 110 ومحمد عبد الله عنان دولة الإسلام ،ج2،مرجع سابق ،ص 691.

4 □-170و محمد عبد المنعم خفاجي - الأدب الأندلس دار الجيل بيروت -1992 ص 263 .

إن اهتمام الحكام الأمويين بلغتهم من العوامل التي كانت وراء انتشارها، فقد كانوا في المغرب مثلهم في المشرق يعنون بمفاخر آبائهم، ويلتمسون ذلك في لغتهم وتراثها الأدبي الخالد، فيعقدون للأدب مجالس هم مديرو حوارها ورواة أخبارها في فصاحة ولسن وطبع، لا تكلف معه، والناس يتبعون ملوكهم وكذلك هم عاشقون لهذه اللغة في ذاتها يحنون إليها حنين الطيور إلى أوكارها، ولقد تم إقدام أهل قرطبة على التوافد لتعلم اللغة العربية من جميع أفراد أهلها وخاصة أصحاب الديانات غير الإسلامية لحاجتهم إلى الاتصال بالحاكم، واستدرار خيره من مقتضيات الملك، حيث إنه عادة نجد الحاكم بحاجة إلى من يدير دفة الأمور في القصر والدواوين والإدارة بصفة عامة، فهو بحاجة لمن يقوم بالكتابة والحسبة والحراسات والجندية وغيرها من الوظائف التي تحتاج إلى مؤهلات وقدرات يشترط في من يتقدم لها يتوافر عليها، ومن بينها إتقان اللغة العربية، وبهذا تسابق أصحاب الديانات غير الإسلامية لتعلم اللغة العربية وإتقانها حتى يتحصلوا على إحدى هذه الوظائف في الدولة، كما كان الدين الإسلامي وعروبة القابضين على زمام الأمور في البلاد وحرصهم على لغتهم العامل الأول في انتشار اللغة العربية الكريمة، وقد حظر حكام بني أمية على النصارى أن يتكلموا بغير العربية، وأصبحت هي لغة الكنيسة، فترجموا إليها الكتاب المقدس ونصوص الصلوات، وأصبحت هي اللغة الرسمية في التدريس بمعاهد النصارى واليهود، وكان لهذا القرار أثر كبير وعميق في التقريب بين المسلمين والنصارى، وتم اعتناق كثير من النصارى الدين الإسلامي بعد أن وقفوا على أصوله وتفاصيله، وأخذوا كثيراً من هذه اللغة لسهولتها وعذوبتها وسرعة تعلمها، وبذلك زاد استحسانهم لشعائر الإسلام وتلاوة كتابة الذي يعد الأساس في اعتناق الدين الإسلامي، ودفعوا أبناءهم إلى هذا، فاستعرب عدد كبير من أهل الأندلس استعراباً كاملاً دينا ولغة، وقد كان ذلك من أكبر العوامل التي أسرعت بتعريب أهل قرطبة والأندلس جميعاً، وتحويل هذا البلد إلى مركز للثقافة العربية الإسلامية، وفي هذا دلالة واضحة على حب هؤلاء الأمراء والخلفاء للغتهم، وينبغي أن يسجل جهدهم المميز في الدفع باللغة العربية لتكون اللغة الرسمية في جميع المعاملات بين الناس وخاصة في الدوائر الرسمية الخاصة بإدارة الحكم والأماكن العامة شئ من الاعتزاز والتقدير، وبذلك قربت اللغة العربية مسافة

الخلاف بين أهل البلاد الأصليين والفاتحين.[1]

ومما يؤكد ثراء اللغة العربية وازدهارها في الأندلس انكباب مجموعات من نصارى الأندلس اصطلح على تسميتهم بالمستعربين(*)على تعلمها وتفوقهم في أدائها حتى على العرب أنفسهم لدرجة أغاظ كبار رجال دينهم وعلى رأسهم البارو القرطبي(AlvarodeCordoba) الذي قال في ذلك: "إن إخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم، ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلاسفة المسلمين، ليردوا عليها وينقدونها، وإنما لكي يكتسبوا من ذلك أسلوباً عربياً صحيحاً، ولا يوجد من بينهم واحد من غير رجال الدين يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت على الأناجيل المقدسة؟ ومن سوى رجال الدين يعكف على دراسة كتابات الحواريين وآثار الأنبياء والرسل، يا للحسرة إن الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلاّ لغة العرب وآدابها، ويؤمنون بها ويقبلون عليها، وهم ينفقون أموالاً طائلة في جمع كتبها ويصرحون في كل مكان بهذه الآداب، حقيقة بالإعجاب، فإذا حدثتهم عن الكتب النصرانية أجابوك في ازد راء بأنها غير مجدية ولا يصرفوا إليها انتباههم، أيا للألم لقد نسى النصارى حتى لغتهم فلا تكاد تجد بين الآلف منهم واحداً يستطع أن يكتب إلى صاحب له كتاباً سليماً من الخطأ، فأما عن الكتابة في لغة العرب فإنك تجد عدداً ضخماً يجيدونها في أسلوب منمق بل هم ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم فناً وجمالاً».[2]

ومن حب المستعربين للغة العربية وتعلقهم بها قول أحد الكهنة بقرطبة: «إنا نحب أن نقرأ الشعر والقصص وندرس الدين والفلسفة في اللغة العربية، فتعلم لغة عذبة الألفاظ، بليغة الأداء، جميلة الإنشاء، ولا تكاد تجد فينا من يقرأ الكتب المقدسة باللغة اللاتينية، وشبابنا الأذكياء جميعاً لا يعرفون غير لغة العرب وآدابهم، وكلما قرأوا أو كتبوا أو درسوا آدابها عجبوا بها، فإذا حدثتهم عن كتاب من الكتب اللاتينية سخروا منه، وقالوا إن الفائدة منه لا تساوي التعب في قراءته، وهكذا نسي المسيحيون لغتهم، وجهلوا كتابتها وبلاغتها وحذقوا اللسان العربي حتى أصبحوا يكتبونه نثراً ونظماً بأسلوب أنيق وتصوير دقيق».[3]

لذلك أصحبت اللغة العربية هي لغة الوثائق الرسمية ولغة التعليم والأدب والشعر التي

---

1 ينظر. محمد عبد المنعم خفاجي – الأدب الأندلس – مرجع سابق –ص ص-262 263، وحسين مؤنس ،معالم تاريخ المغرب والأندلس –ط-2دار الرشاد القاهرة 1999م – ص -310ومحمد عنان–دولة الإسلام –ج-1مرجع سابق–ص229.

*- والمستعربون هم النصارى الذين عاشوا مع العرب، واستعربوا ثقافة ولسانا وأسلوباً في الحياة، واحتفظوا بدينهم مستفيدين في ذلك من نظام المعاهدة عند المسلمين الذي يكفل لهم حرية التدين نظير دفع الجزية، وظهر هذا اللفظ ابتداء من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي في كتابات نصارى الأندلس وميز به ملوك النصارى.(حسين مؤنس ،فجر الأندلس ،ط3،مرجع سابق ،ص ص342-343).

2 انخل جن ثالث بالنثيا. تاريخ الفكر الأندلسي، تر حسين مؤنس . مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ' دت- ص485-486.

3 عبد المنعم خفاجي– الأدب الأندلس- مرجع سابق- ص262

حاول الفقهاء والأدباء وغيرهم التمسك بها، فهي من أقوى الروابط التي تربطهم بالأمة العربية لذلك حاولوا أن ينشئوا بها أدباً ويؤلفوا كتباً وكأنهم يقدمون الدليل على تمسكهم الشديد بعروبتهم ولغتهم بصورة تضاهي ما فعله أهل المشرق رغم بعد إقليمهم، وإذا كانت اللغات من أهم الأمور التي تميز الحضارات فمما لا ريب فيه أن اللغة العربية من أقوى وسائل الترابط بين العرب والمسلمين الذين يتحدثون بها في البلاد الإسلامية، وهي أساس العلاقات الحضارية والثقافية والاجتماعية بينهم، ولذلك استطاعت أن تجمع تحت رايتها أمماً وأنساباً وأعراقاً ودماءً شتى وألوانا مختلفة ممن يدين للإسلام وينسب للعروبة.[1]

يتضح مما سبق أن اللغة العربية باعتبارها هي اللغة الرسمية في الدولة الأموية بالأندلس من الأسباب الوجيهة والفعالة في إرساء دعائم وازدهار الثقافة والعلم فيها وكذلك فهي اللغة التي يتحدث بها كل أهل الأندلس ولغة التخاطب بين كل الأجناس البشرية التي تسكن فيها، بالإضافة إلى أنها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهي التي تدرس في الكتاتيب والمدارس والأساس الأول لها، وهي لغة الدين الإسلامي الذي من أجله تم دخول المجاهدين لنشرة في ربوع هذه الأرض، وتم فرض تعلم اللغة العربية على كل عجم الأندلس وخاصة الذين دخلوا في الدين الإسلامي، حيث أصبحوا يتخاطبون بها مع المجاهدين وذلك من اجل إتقان تعليم وتعلم الدين الإسلامي.

2- 2- ثراء البيئة الأندلسية وتنوعها:

نظرا لما تتمتع به الأندلس من مناظر طبيعية كان لها أثر كبير في ازدهار الثقافة فيها، حيث إن الأدباء والشعراء والعلماء بصفة عامة كانت لهم مواهب فنية يذكيها طبع مرهف واستعداد فطري وذكاء نافذ، ومثل هذه المواهب لا تقف جامدة أمام الطبيعة ومفاتنها، بل لابد أن يستجيب إلى مؤثراتها، وأن تستشف مظاهر الخير والشر فيها، وقد تقف المواهب عند هذا الحد، وقد تنمو فلا يعرض العالم الطبيعة كما هي، بل يتحد معها اتحاداً قوياً فيتأثر بها ويخلع من أحاسيسه ووجدانه حتى يصبح هو والصورة التي يرسمها أو الطبيعة التي يتأملها شيئاً واحداً، واحتوت الأندلس على بيئة طبيعية جميلة جذابة تأثر بها الأدباء والشعراء والعلماء كل في مجاله، فالأندلس شبه جزيرة يكاد الماء يحيط بها من جميع جهاتها، ولولا جبال البرانس لامتزج ماء المحيط بماء البحر الشمالي المتوسط الذي يحدها من الجهة الشرقية، كما امتزجا في الجنوب حيث مضيق جبل

1 ينظر، ناجي معروف ،اصالة الحضارة العربية ،دار الثقافة بيروت 1975م ،ص 244،وشوقي ضيف ،عصر الدول والأمارات الاندلس ،دار المعارف القاهرة 1989،ص 128

طارق، وبذلك تصبح الأندلس جزيرة يحيط بها الماء من كل جهة وانقطعت عن البر، ونجد أن هذه البحار والمحيطات التي تحيط بها من كل جانب عدا شمالها زادت من جمالها وتأثر العلماء والشعراء والأدباء بسحرها وجمالها، إلى جانب ذلك فإنه يقع بعضها في الإقليم الرابع وبعضها في الإقليم الخامس، وأكسبها هذا الموقع تنوعاً في المناخ، فالمناطق التي تقع في الغرب تتأثر بمناخ المحيط الأطلسي والمناطق التي في الشرق والجنوب والوسط تتأثر بمناخ البحر المتوسط حيث الجو المعتدل، وبذلك يذكر بعض المؤرخين أن الأندلس أندلسان في اختلاف هبوب رياحها ومواقع أمطارها وجريان أنهارها، أندلس غربي وشرقي فالجهة الشرقية تمطر بهبوب الرياح الشرقية والجهة الغربية تمطر بهبوب الرياح الغربية، وهي بذلك معتدلة الهواء والجو كالنسيم ربيعه وخريفه وشتائه وصيفه على قدر من الاعتدال.[1]

والأندلس جزيرة كبيرة متنوعة المناخ، وهذا التنوع أكسبها غطاءً أخضرا جميلاً وكثرت بها البساتين والحدائق، وتنوعت بها الأشجار من كل الأصناف، أضف إلى ذلك أنها زينت بأنواع كثيرة من الزهور والورود تمت زراعتها إلى جانب الأشجار المثمرة التي زادت من جمالها وأناقتها وخاصة أن هذه الزهور والورود لها رائحة زكية وعطرة تزيد من تعلق الإنسان واستمتاعه بالطبيعة واستمتاعه بالهواء النقي الذي يستنشقه، وكذلك نظرا للرقعة الواسعة التي تمتلكها، فقد امتازت بكثرة السهول والهضاب التي تشغل مساحة كبيرة من أراضي شديدة الخصوبة وكثيرة الخيرات، ومما زاد من جمال الطبيعة والبيئة الأندلسية كثرة الأنهار الغزيرة والعيون التي تخرج منها المياه العذبة حيث يشقها أربعون نهرا شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً لا يوجد لها مثيل في بقاع الأرض، وأهم الأنهار بها نهر آبرة ذو المياه الغزيرة الصافية والذي يمر بسرقسطه مدينة بني هود في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة، ونهر الوادي الأبيض ويمر بمرسيه (Murcia) ويروي أرضها ونهر شقر الذي جعل من المناطق المحيطة به جناناً خضراء وزهوراً ووروداً تزهي بها العيون والأنفس لمناظرها الجميلة، ونهر شقورة الذي يمر بمدينة بلنسيه (Valencia) ويغمر بمياه أجزاء كبيرة من شرق الأندلس وهو نهر صالح للملاحة، وينتفع منه وتجري فيه السفن والمراكب البحرية، ونهر الوادي الكبير وهو نهر يعد من أحسن الأنهار وأجملها،

---

1 ينظر- أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطرخلي المعروف بالكرخي. مسالك الممالك مطابع بريل لندن 1967م ص 37 والإدريسي . مصدر سابق ص ص-535 526-726 وأبو عبد الله الزهري مصدر سابق ص ص79-80 وياقوت الحموي معجم البلدان ج1، مصدر سابق ص ص311-312. والمقري التلمساني. نفح الطيب ج1، مصدر سابق ص 129 و بطرس البستاني دائرة المعارف ج3، دار المعرفة بيروت ص 324.

وهو يضاهي نهر دجلة والفرات، ونهر النيل بمصر في الحسن والجمال، وتوجد علي ضفافه الجنان والبساتين والرياض، ومن الأنهار المشهورة أيضا نهر وادي يائه وتقع عليه مدينة بطليوس (Badajoz) والنهر المسمى بوادي لكته (Guadalete)، ويقع شرقي مدينة قادس(Cadez)، وكانت علية قنطرة من ثلاثين قوساً، وتكثر بالأندلس الجبال التي تكسو أرضها النباتات الخضراء وتكثر بها الغابات وخاصة التي تسقط عليها الأمطار الغزيرة، ومما زاد من جمال بعض الجبال أنها تكتسي وتتزين بالثلوج البيضاء في فصل الشتاء كجبل شلير(Cierra Nevada) الذي يخرج منه خمسة وعشرون نهراً يصب بعضها في البحر الرومي أي الأبيض المتوسط، وبعضها في الوادي الكبير، ولقد احتوت هذه الوديان والسهول والهضاب والجبال لخصوبتها وكثرة المياه والنباتات والأشجار والغابات الكثيفة بها علي كثير من أنواع الحيوانات الوحشية والبرية التي هي أيضا ذات مناظر طبيعية جذابة تسر الناظرين إليها بألوانها الزاهية المختلفة، ومنها الغزال وحمار الوحش وبقر الوحش والبغال ألفارهه والخيول الضخمة وتكثر بها أيضا الطيور والجوارح.[1]

وتوجد بالأندلس كثير من الجزر وهي ذات مناظر طبيعية جميلة، وتتنوع هذه الجزر من ناحية الحجم والمحتويات التي بداخلها، ومن هذه الجزر جزيرة قادس وجزيرة طريف (Tarifa) وجزيرة شلطيش، والجزيرة الخضراء (Algeciras) وهي علي مشارف جبل طارق(Gibraltar) جنوب الأندلس، وهي جزيرة جميلة المناظر جامعه لخير البر والبحر، وأرضها طبيعية معطاة ذات خصوبة صالحة للزراعة وبها مرسى هام من أحسن المراسي.[2]

وكذلك شرع المسلمون في الأندلس في بناء قصورهم في عصر بني أمية، وهو العصر الذي نبتت فيه بذور الفن الإسلامي الأندلسي، ففي هذا العصر حرص الأمراء والخلفاء على إحاطة دولتهم بكل مظاهر الفخامة والترف وأبهة الخلفاء وعظمة الملوك، فاتجهوا إلى تشجيع البناء، وعملوا على تعمير المدن، وعندئذ نهض البناء والعمارة في البلاد، ونشطت حركة التشييد والعمران، وقد تشجع المسلمون على تشييد القصور وإنشاء الحدائق، وقد استوى الفن المعماري فبلغ غاية من الجمال، فيما أبدع المهندسون المسلمون فن الرسوم والنقوش والتصاوير على الأحواض والصهاريج المصنوعة من المرمر المنقوش، أو من النحاس والذهب والإبريز أو الفضة الخالصة، ومن حول هذه القصور كانت الحدائق

---

1 ينظر، ابن حوقل. مصدر سابق ص157 ،وزكريا بن محمود القزويني. . مصدر سابق ص252، وابن خرذادابه. المسالك والممالك. مصدر سابق ص95، وأبو عبدالله الزهري.مصدر سابق ص ص79-99، والأدريسي. مصدر سابق ص ص540-574 ،وأحمد المقري التلمساني. نفح الطيب. ج1 مصدر سابق ص ص124-130 ، وبطرس البستاني. دائرة المعارف. ج4. مصدر سابق ص477.

2 ينظر، ابن سعيد .مصدر سابق .ص320 ،و الإدريسي، مصدر سابق، ص 542.

الواسعة التي بها كثير من الفواكه والزهور والورود، وعلى امتداد الأنهار قامت المتنزهات التي كان ينسقها الأندلسيون فيتمتعون بآيات الجمال فيها، ويتأملونها في تأن، ويستجلون ما بها من إبداع وروعة، ومن بين القصور التي كان لها إعمار من قبل أهل الأندلس منية الرصافة (LaRuzafa)التي أنشأها الأمير عبد الرحمن الداخل إلى الشمال الغربي من قرطبة لنزهته ومقامه، وهي عبارة عن جنان واسعة نقل إليها غرائب المغروسات وأكارم الشجر ومنها الرمان السفري الذي تم جلبة من الشام ولا يزال هذا النوع من الرمان في اسبانيا مشهورا لحلاوته وصغر حجمه ويسمي بنفس الاسم، وأقام الأمير في هذه المنية قصراً أبدع في تشييده، وتأنق في زخرفته وسماه قصر الدمشقي، وكان يعرف أيضا بقصر الرصافه (laRuzafa) وقد شيده بني أمية بالصفاح والعمد وجروا في إتقانه إلى الغاية والأمر، وأبدع بناؤه ونمقت ساحته وفناؤه واتخذوه ميدان مراحهم، أضف إلى ذلك قصر الحير، وهو حير الزجالي الواقع خارج باب صحيحة اليهود بقرطبة، وهو صافي البياض، وقد قريصت جدرانه وأسقفه بالذهب واللازورد، ويطل القصر من الناحية الجنوبية على الحقول التي تفصل بينه وبين قرطبة ومن الشمال يطل على فحص أرض واسعة سميت بفحص السرادق.[1]

أضف إلى ذلك قصور مدينة الزهراء التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر حيث أبدع في بنائها وخاصة القصور التي أقامها فيها، فلقد زينها بالصخور والرخام وبحوض منقوش بالذهب وبالتماثيل الجميلة المصنوعة من الذهب الأحمر والمرصعة بالدر النفيس مما جعلها تحفة تحير الناظر إليها وتجعله يظن نفسه كأنه في خيال لا حقيقة لما يراه أمامه وخاصة عند ما ينظر إلى القراميد المغشاة ذهباً وفضة حيث قرمد سقفها ببياض ناصع يستلب الأبصار، وكذلك مدينة الزاهرة وما بها من قصور التي بناها الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر.[2]

وبذلك عملت هذه المميزات لطبيعة الأندلس الساحرة على تنمية القدرات الفكرية لأهل قرطبة خاصة، والأندلس بصفة عامة، وجعلتهم يبدعون في مختلف مجالات الفكر الإنساني، وازدهرت عندهم الثقافة والحضارة بصورة لافته للنظر، وتميزوا في معظم العلوم سواء أكانت إنسانية أم تطبيقية وخاصة في الشعر والأدب وفي مقدمة هؤلاء خلفاء

---

1 ينظر، أحمد المقرئ التلمساني .نفح الطيب ج2 مصدر سابق ص ص17-161-190 وأحمد مختار العبادي. في التاريخ العباسي والأندلسي. مرجع سابق ص312.

2 نظر، أبن الخطيب السلماني. كتاب أعمال الأعلام .مصدر سابق ص ص38-62 – وابن بسام الشنتريني– ق4 مج1، مصدر سابق ص 72.

بني أمية وأمراؤهم فإنهم يقرضون الشعر، ولهم شهرة كبيرة فيه وخاصة الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله وأبنه الحكم المستنصر بالله.

3-2- التسامح الديني الذي تمتع به أهل الذمة في قرطبة:

التسامح الديني الذي حمله المسلمون معهم إلى الأندلس من الأسباب المهمة التي أسهمت في انخراط واندماج الشعب مع الفاتحين المسلمين، وبذلك عملوا معا في ازدهار الثقافة، وإشعاع الحضارة العربية الإسلامية في ربوع الأندلس مما جعلها من الدول التي تشع منها الحضارة على العالم في العصور الوسطي، وهذا التسامح الذي امتاز به المسلمون بالأندلس ينبغي أن نذكر أنه لم يحدث في تاريخ المسلمين أن قاموا بإكراه الأهالي على الدخول في الدين الإسلامي، فقد كانت الحرية الدينية مكفولة لأصحاب الديانات الأخرى إلى أقصي حد وأتبع المسلمون هذا امتثالا للآيات الكريمة التالية حيث قال الله تعالى في كتابة المبين

﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .[1]

﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ .[2]

وقد دخل المسلمون إلى الأندلس حاملين إلى أهلها تعاليم دينهم السمح في المعاملة بين مختلف الملل والنحل وذلك بمنتهي الرفق، حيث كفل لهم جميع الحريات الدينية في عباداتهم وما يتخذون لها من كنائس وبيوت وشعائر دون أي تدخل، ورفع عنهم ثقل الضرائب الفادحة التي فرضها عليهم القوط، وهذه المعاملة الإسلامية الكريمة هي التي حررت أهل الأندلس وملأتها بالعدل، وكانت سببا قوياً في أن يعتنق كثير من أهل الذمة الدين الإسلامي الحنيف، فالمسلمون لم يدخلوا الأندلس كما دخلها القوط الغربيون سادة وحكاماً واضعين حواجز بينهم وبين عامة الناس،بل دخلوها أثناء حركة الامتداد الديني الفكري البشري التي بعثها الدين الإسلامي مبشرين ودعاة هممهم الأكبر أن يوصلوا رسالتهم للعامة والخاصة، ولم تكن الفتوحات الإسلامية حركة فتوح أو غزوات أو إنشاء إمبراطوريات سياسية يحكمها ويسيطر عليها جنس بعينه، وإنما هي حركة استيقاظ تمتد من شعب لشعب، فلا يكاد المسلمون يدخلون بلداً حتى يستيقظ أهلهُ مما كانوا فيه

1 سورة البقرة ،الآية 256.

2 سورة العنكبوت. الآية 46.

من عبودية وشرك، ويهبون ليحموا راية الدين الإسلامي بأيديهم، ونجد أن فتح المسلمين للأندلس من المظاهر الحضارية التي شاعت عليهم نور الإسلام والعدالة الاجتماعية، وتعاليم الدين السمح والحضارة والثقافة الإسلامية، حيث جاء هؤلاء الفاتحون بأشياء جديدة لم يعهدها الإسبان من قبل، فأتوا بنظام اجتماعي أرقي كثيراً من النظام السائد عندهم، وظهروا بمظهر المحررين وذلك بتخليص عبيد الأرض من الطبقة العليا في الدولة من أمراء وإقطاعيين، ولم يقم المسلمون بالاستيلاء على الأرض فالقرآن الكريم والدين الإسلامي يحرم ذلك مكتفين بالخراج، وفي الوقت الذي كانت فيه أوربا غارقة في فوضى الإقطاع والجهل كان المسلمون يبنون حضارة راقية متقدمة في إسبانيا يسودها الأمن والأمان والاطمئنان والسلام والعدالة.[1]

ونرى أن هم المسلمين هو نشر العدل بين الرعية في الدولة المفتوحة، ولهذا عاملوا أهل الأندلس الذميين من رعاياهم معاملة كريمة تسودها المحبة والتسامح، فاليهود مثلاً رحبوا بقدوم المسلمين إلى الأندلس لأنهم يرون الفرج على أيديهم حيث كانوا مضطهدين من قبل الحكام القوط، وعليهم ضغوط كبيرة، ويعاملون معاملة سيئة للغاية من تشريد وقتل وفرض ضرائب كثيرة تصل إلى أكثر مما يقومون بإنتاجه، وعندما قام المسلمون بفتح المدن وجدوا فيها اليهود لوحدهم، لأن القوط قد هجروها وتوجهوا إلى الأماكن الآمنة، فأحسن المسلمون معاملة اليهود، وبذلك عّد اليهود أن الفترة الذهبية من تاريخهم في الأندلس هي معيشتهم جنباً إلى جنب مع المسلمين بقرطبة والأندلس قاطبة، حيث حظوا بحرية لم يعهدوها من قبل، ومن جانب المسلمين، فإنهم وثقوا في اليهود عند افتتاحهم للمدن في إسبانيا نظراً لما قام به هؤلاء من مساعدة للمسلمين حيث دلوهم على عورات القوط وأعانوهم في استكمال افتتاح المناطق الأخرى في إسبانيا وتنظيم إدارتها، وكفل المسلمون لليهود حرية العقيدة والتنظيم الداخلي للجماعة اليهودية وأداء شعائرهم الدينية في أديرتهم بكل حرية، مقابل الالتزام بدفع الجزية.[2]

ولقد وثق خلفاء بني أمية في اليهود حيث وصل عدد منهم إلى مناصب عليا في الدولة، ومنهم أبويوسف حسداي بن إسحاق بن عزرا بن شبروط الوزير المعروف لعبد الرحمن الناصر لدين الله، وكان مقرباً إليه ثقة، وعندما كسب حسداي ود الخليفة واستوثق من

---

1 ينظر. شوقي ضيف. عصر الدول والإمارات الأندلس مرجع سابق، ص128 و حسين مؤنس، فجر الإسلام .ط3 مرجع سابق ص20 و روجيه غاروري. من أجل حوار بين الحضارات تر دوقان قرقوط دار النفائس بيروت 1990 ص8.

2 □22-23 وابن عذاري مصدر سابق ص12 وأبو نصر الفتح بن خاقان – مصدر سابق ص-12 واحسان عباس. تاريخ الأدب الأندلس عصر سيادة قرطبة –ط8. دار الثقافة بيروت 1996م ص13 و أمين الطيبي، المسلمون في الأندلس وصقلية، مجلة الدعوة الإسلامية عدد2 كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس 1985م-ص187

سماحة الدين الإسلامي عمل على بعث وإحياء الدراسات التلمودية في قرطبة، ونشطت نتيجة لذلك الحركة الأدبية العبرية في الأندلس، وظهر كثير من اليهود كمناحيم بن سروق الطرطوشي، وناش بن لبراط في الأدب، وحسداي بن شبروط نفسه في الطب حيث أصبح طبيباً لعبد الرحمن الثالث ولابنه الحكم وأسرته من بعده. ونال عند الحكم نهاية الحظوة والثقة، ويُعد حسداي بن إسحاق متقدماً في شريعة اليهود، وهو أول من فتح ليهود الأندلس الباب لمعرفة تاريخهم وفقه دينهم اعتماداً على أنفسهم، لأنهم كانوا من قبل يحصلون على فقه دينهم وسنن تاريخهم ومواقيت أعيادهم من يهود بغداد، فلما اتصل حسداي بالحكم ووثق به، استغل هذه العلاقة وجلب ما شاء من مؤلفات اليهود من المشرق، فعلم حينئذ يهود الأندلس ماكانوا من قبل يجهلونه من أمور دينهم وحياتهم واستغنوا عن غيرهم في ذلك، وهذا يدل على مدي الحرية والثقة التي اكتسبها اليهود في ظل حماية الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر بالله لهم، وبذلك كان لليهود دور كبير في مصاحبة الخلفاء واستمالتهم وتقديم أفضل الخدمات لهم.[1]

وفي الوقت نفسه، عامل المسلمون النصارى معاملة حسنه حسب تعاليم الدين الإسلامي، ولم تكن عليهم أي ضغوطات من قبلهم، وإنما أبقوا لهم كنائسهم يمارسون فيها شعائرهم الدينية وطقوسهم بكل حرية، وللنصارى رئيس يعرف بالقومس وهو قاضي النصارى، وأبقي المسلمون في قرطبة على أساقفة الروم ومطارنتهم بحمايتهم، فنال هؤلاء مالم يعرفوه سابقاً من الدعة والطمأنينة، ولقد أدرك حكام قرطبة أن النظم والأديان ليست مما يفرض قسراً. وبذلك عاملوا كافة الشعب بلطف تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم، غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة في مقابل حمايتهم لهم وحفظ الأمن بينهم.[2]

ولحكام بني أمية دور كبير في المعاملة الحسنه التي قدموها للنصارى التي يسودها التسامح والتفاهم والثقة، ولقد استقبلوا أعداداً هائلة من الطلبة المسيحيين من مختلف الدول المسيحية المجاورة لهم وسمحوا لهم بالدراسة في قرطبة ووزعوا على جميع المعاهد لدراسة مختلف العلوم الإنسانية والتطبيقية، وكذلك تعلموا صناعة النسيج والنقش والتطريز والتمريض وصناعة الأسلحة والزجاج والورق وبناء السفن والقلاع، ووصل عدد من النصارى إلى مناصب عليا في الدولة، وكان لهم صيت كبير في الطب، حيث اتخذ

---

1 ينظر. صاعد الأندلسي .طبقات الأمم. مصدر سابق ص203، وابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج3 ط4 دار الثقافة بيروت 1987م ص76، وانجل جنثالت بالنتيا، تاريخ الفكر الأندلس، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 1955م ص ص488.489.

2 ينظر. ابن عذاري .البيان المغرب ج2 .مصدر سابق ص-229 وناجي معروف .أصالة الحضارة العربية دار الثقافة بيروت 1975م، ص 128.

الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله الطبيب النصراني يحي بن إسحق وهو بصير بالعلاج في زمانه طبيباً خاصاً به وبأسرته وزيراً، وولاه أمر الولايات والعملات وكان قائد بطليوس زماناً، وله من أمير المؤمنين محل تقدير كبير، ينزله منزلة الثقة، وأصبح يدور في القصر، ويطلع على الكرائم وكأنه واحد من الأمراء، ولكنه بعد ما رأى سماحة الإسلام والمنزلة التي حظي بها عند الخليفة الناصر لدين الله دخل الدين الإسلامي، وبلغ التسامح الديني مع النصارى درجة جعلت الخليفة عبدالرحمن الناصر لدين الله يرسل مناديه لأديرة النصارى آملا أن يجد فيها من العلماء من توجد عنده وصفة تبرئه من ألم الأذن الذي ألم به. وقد تحقق له ذلك، ومن علماء النصارى أيضاً في زمن الناصر لدين الله ريكموند الذي يسميه مؤلفو العرب ربيع بن زيد الأسقف الذي كان في خدمة الناصر لدين الله، وقد ألف كتاباً باللاتينية عنوانه (كتاب تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان) وهو تقويم فلكي مناخي زراعي وفية ذكر منازل القمر وهو سفير للخليفة لدى الإمبراطور الألماني هوتو Hotto.[1]

ونظراً لما للدين الإسلامي الحنيف من تسامح وعدل ومساواة وعدم تفرقة بينه وبين الديانات الأخرى التي سبقته، فلقد أشاد بعض الكتاب من الذين يدينون بغير الإسلام، ومنهم الكاتب الفرنسي(كوتيه) بالدين الإسلامي والمسلمين وعاداتهم وتسامحهم مع الشعوب التي انضوت تحت لواء الإسلام، وما نالوه من الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية حيث كتب: «لقد ثبت أن الفاتحين من العرب المسلمين قد بلغوا درجة عظيمة من التسامح لم تكن متوقعة من أناس كانوا يحملون عقيدة جديدة، وأن المسلم لم يفكر قط وهو في أوج تحمسه لدينه الجديد أن يطفئ بالدم ديناً منافياً لدينه». وكذلك قال الكاتب(لينبول) حيث كتب: «أن المسيحية لا تعلم دعاتها أن يطرحوا بحياتهم هدراً لمحض التمتع بالتعذيب والقتل على أن نصارى الأندلس لم يضطهدوا، ولم يحال بينهم وبين شعائرهم الدينية أي حائل، ولم يكن المسلمون يجهلون المسيحية أو يحتاجون إلى من يلقنهم تعاليمها، فقد كانوا يعرفون من الكتاب المقدس أكثر من نصارى الأندلس أنفسهم، ولا يذكرون اسم عيسى من غير أن يتبعوه بالصلاة والتسليم، لأن قدسية المسيح وإحاطة اسمه بالإجلال والتبجيل من أظهر مبادئ الإسلام». [2]

---

1 ينظر. صاعد الأندلسي– مصدر سابق ص187 .الحميدي، . مصدر سابق ص374، ابن أبي أصيبعة . مصدر سابق ص68-82 انجل جنثالث بالنشيا .تاريخ الفكر الأندلسي، مرجع سابق ،ص487، سليم طه التكريتي .أوربا ترسل بعثاتها إلي الأندلس لتلقي العلوم في جامعتها مجلة الوعي الإسلامي عدد37 الكويت 1968م- ص ص91 92.

2 – حكمت عبدالكريم فريحات وإبراهيم ياسين الخطيب. مرجع سابق ص 154.

وبذلك نري أن الطوائف الدينية في قرطبة الذين لم يدخلوا الدين الإسلامي وبقوا على دياناتهم القديمة لم تتم مضايقتهم من قبل المسلمين، وإنما أقاموا في ظل المسلمين، وتأثروا بالثقافات العربية واستعربوا استعراباً أنساهم لغتهم اللاتينية، وتمتعوا في عصر بني أمية بحرية العقيدة والتسامح التام، ولقد أبقت لهم الحكومة الأموية على كنائسهم وأديرتهم بل منحتهم الحق في بناء كنائس جديدة وفي أماكن متعددة واهتم هؤلاء المستعربون بدراسة التراث العربي من شعر وأدب وفلسفة، وشارك كثير منهم في الحياة السياسية والأدبية، وبذلك قامت الطوائف الدينية بالعمل معاً مع المسلمين في ازدهار الثقافة في قرطبة، وقاموا بترجمة بعض الكتب اللاتينية إلى اللغة العربية بعد تمكنهم منها، وبذلك ازدهرت الثقافة ازدهارا كبيرا في قرطبة وأصبحت من الحواضر التي تزخر بالعلم في جميع فروعه في العصور الوسطى.

3- الرحلات المتبادلة بين المشرق والمغرب:

الرحلة وهي الانتقال من مكان إلى مكان آخر لغرض الزيارة أو التجارة أوطلب العلم أو غير ذلك، وقد رحل كثير من الناس إلى الأندلس، وكان من بينهم علماء وأدباء وشعراء يتميزون عن غيرهم بالإفاضة العلمية، وسنتناول رحلة العلماء المشارقة إلى الأندلس، ورحلة أهل الأندلس إلى المشرق .

أولاً: رحلة العلماء من المشرق إلى الأندلس :

من الأسباب المهمة التي أدت إلى ازدهار الثقافة في قرطبة، هو الاختلاف والامتزاج الذي طرأ، وأحدثه دخول الثقافة المشرقية عن طريق العلماء المشارقة الذين رحلوا من الحواضر الإسلامية، كبغداد والحجاز ودمشق وغيرها إلى بلاد الأندلس، وكذلك فإن الثقافة في قرطبة لم تنشأ فجأة، بل مرت بأطوار مختلفة، وخضعت لمؤثرات حضارية مشرقية ربطتها بالوطن الأم، على أن العرب والمسلمين الذين قاموا بفتح الأندلس أصلاً كانوا من المشرق، ومن أصول عربية مشرقية، وقد أحدث دخولهم إلى الأندلس تطوراً كبيراً على أهلها فهم رسل الثقافة فيها، حيث إنهم على درجة عالية من الثقافة بما لهم من مكانة دينية وإحاطة علمية بمختلف ضروب المعرفة العلمية التي كانت في ذلك العصر، فمنهم من اتخذ الأندلس وطناً فاستقر فيها إلى أن وافته المنية، ومنهم من عاد إلى المشرق بعد أن تحصل على ما يريد في الأندلس، ولقد رحب أهل الأندلس بهم، وتوجد عدة أسباب كانت وراء رحلة هؤلاء العلماء المشارقة للأندلس منها: الصراعات السياسية بين الأمويين خلفاء الدولة الإسلامية في المشرق، والعباسيين الذين انتقلت الخلافة والسلطة إليهم،

وأصبح الأمر إليهم، ومنها الرغبة الشخصية في اختيار الحياه بالإقليم الإسلامي الغربي الذي اشتهر بين المسلمين بكثرة الخيرات والهواء المعتدل وكثرة المياه والفواكه، واشتهرت حاضرته قرطبة وخاصة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بأنها محط طلاب العلم ورواد الثقافة، لما تحويه من مدارس ومكتبات وجامعات اشتهرت في تلك الفترة، وإلى جانب ذلك تشجيع خلفائها للعلم والعلماء على السواء مادياً ومعنوياً، ولسهولة التنقل بين مناطق العالم الإسلامي حيث لا توجد حدود سياسية بينها فيستطيع المسافر أن يمر في هذه المناطق بسهولة، وفي الوقت نفسه إن سكان هذه المناطق كلهم يتكلمون اللغة العربية ودينهم واحد، وبذلك فإن المسافر بإمكانه إن يتحصل على الزاد والمأوي أثناء رحلته لكثرة المساجد في أرجاء المعمورة الإسلامية، زد علي ذلك أن العرب اشتهروا بالكرم منذ قديم الزمن، وبذلك يجد المسافر شريعة واحدة وعادات وتقاليد متقاربة جداً تكاد تكون واحدة، ويكون المسافر آمناً على حريته الشخصية بحيث لايستطيع أحد أن يسرقه أو يعتدي عليه إلا نادراً، وفي خلال رحلته هذه يستطيع أن يفيد ويستفيد ويتعلم ويعلم، فعلى سبيل المثال فإن الرحلة من بغداد أو دمشق للأندلس لابد أن يمر فيها المسافر بمصر والقيروان وطرابلس والجزائر وفاس وغيرها من الحواضر الإسلامية، وكل هذه الحواضر تتوافر على مراكز علمية متقدمة في معظم الجوانب الثقافية والعلمية، ومنها الوضعية الاقتصادية حيث إن بعض العلماء والأدباء والشعراء لديهم طموحات في حياة أفضل ولكن الظروف الاقتصادية والسياسية لم تمكنهم من تحقيق طموحاتهم في أماكنهم، ولذلك شدوا الرحال إلى الأماكن التي اشتهر ولاتها وخلفاؤها بإجزال العطاء للأدباء والعلماء، وكانت الأندلس من أبرزها وهنالك تحققت طموحاتهم، وأصبحوا من ذوي الجاه والغناء، وامتلكوا الأرض، وأجريت لهم الرواتب وعاشوا في رفاهية وهناء.[1]

وكان للتجار المشارقة دور كبير في نشر الثقافة في قرطبة حيث وفد إليها عدد من التجار، فبجانب نقلهم للسلع والبضائع، فإنهم نقلوا معهم كثيراً من الكتب التي تحتوي على مختلف ضروب المعرفة والثقافة وخاصة الكتب والمؤلفات الدينية ككتب القراءات والأحاديث النبوية والتفاسير والفقه إلى جانب كتب السير والمغازي والمؤلفات الأدبية ودواوين الشعر وكتب اللغة، خاصة وأن بلدان المشرق كالشام والعراق استقطبت كثيراً من

---

1 ينظر. ابن الفرضي. ج1 ،مصدر سابق ،ص 361وابن الفرضي.ج2، المصدرنفسه ،ص509، وأخبار مجموعة. . مصدر سابق، ص ص 49ـ50، و محمد بن أحمد الأندلسي ،مصدر سابق ،ص ص26-94-104، ،وعبد الواحد المراكشي . ،مصدر سابق ،ص ص50-51 ،وابن خلكان ،وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان ،تح إحسان عباس ج2 ،دار صادر بيروت 1967م ،ص ص488-489.

الشعراء والعلماء، وأصبحت مراكز ثقافية تتفاعل فيها الأفكار الجديدة مع ما احتوته هذه الحواضر من تراث حضاري، حيث بدأت فيها تباشير الاتجاهات الفكرية التي تمخضت عن أطروحات بعض الفرق الإسلامية، وبدأت العلوم الإسلامية تأخذ مواقعها متكئة على العقل والمنطق، أضف إلى ذلك أن هذه البلدان ظهر فيها كثير من الأدباء والشعراء المتميزين واللغوين والنحويين وبذلك فإن هؤلاء التجار قد نقلوا أشعارهم وادابهم إلى قرطبة على هيئة كتب وباعوها لأهل الأندلس. وإلى جانب ذلك فإن بعض هؤلاء التجار كانوا يمتلكون ثقافة عالية ولهم دراية بالعلوم، وبهذا نشروا هذه الثقافة بين رواد العلم والثقافة بقرطبة، وقد استقر المقام ببعضهم فيها وقاموا بالتأليف وخاصة في التاريخ والآداب واللغويات والشعر، واتصفت درايتهم بالمنهجية والتحليل وغزارة المعلومات حيث نجد منهم من كتب في تاريخ الأندلس وكيف تم افتتاحها، ودخول قبائل العرب إليها، والخطة الحربية التي أدت إلى افتتاح الأندلس، وسير الأمراء والخلفاء بها، ووصف المدن وما تحتويه من مبان وقصور وأسواق وحمامات ومساجد ودراسة مواردها الاقتصادية .[1]

وقد رحل كثير من الأدباء والشعراء المشارقة للأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي عندما سمعوا عن أهمية قرطبة العلمية واستقبالها للضيوف والعلماء، وما سمعوه عن تشجيع حكامها للعلم والعلماء، وسنحاول تسليط الضوء على أهم الشخصيات المشرقية التي وفدت إلى قرطبة في الفترة موضع الدراسة والدور الذي لعبته هنالك وهم:

1-1-عبيدالله بن عمر بن أحمد بن محمد بن جعفر القيسي الشافعي (ت 368هـ/ 980م):

من أهل بغداد يكنى أبا القاسم، وفد على الأندلس في شهر المحرم(347 هـ/959م)، تعلم العلوم في بغداد وتفقه فيها على المذهب الشافعي وتحقق من علمه، وقام بمناظرة أبي سعيد أحمد بن محمد الأصطخري، وأبي بكر محمد بن عبد الله الصيرفي، وأبي إسحاق إبراهيم أحمد المروري وأبي عبد الله الحسين بن إسماعيل في ترسيخ مذهب الشافعي في ذهنه والتمكن منه، بالإضافة إلى أنه درس المذهب المالكي على بعض من علماء المالكية، ودرس الحديث ببغداد على يد علماء أجلاء لهم دراية كاملة بهذا العلم، بالإضافة إلى تعلمه الكتابة بخط الرقعة، وقرأ القرآن الكريم وحفظه على أصول من القراءة الصحيحة، وبعد كل هذه المجهودات العلمية والبحث العلمي في معظم فروع العلم؛ أصبح من الفقهاء

1 ينظر. ابن حوقل مصدر سابق،ص ص104-111-108،والزبيدي طبقات النحويين واللغويين ،مصدر سابق ،ص ص66-166 ولا ابن المعتز طبقات الشعراء تح عبد الستار أحمد فراج ،ط3،دار المعارف القاهرة ،1956،ص ص 143. 194، وأحمد المقري التلمساني نفح الطيب ،ج3،مصدر سابق ،ص 111،و انجل جنثالث بالنثيا تاريخ الفكر الأندلسي مرجع سابق، ص 196 .

المجيدين بالمذهب الشافعي وإماماً فيه بصيراً به، عالماً بالأصول والفروع، حسن النظر والقياس، بالإضافة إلى إتقانه وتمكنه من القرآن الكريم حيث أصبح إماماً في القراءات ضابطاً للحروف، وكثير الرواية للحديث وقد اتجه أيضاً إلى التأليف في الكتب في عدة فروع من العلم منها: الفقه والحجة والرد والقراءات والفرائض، وقد كان له أثر مباشر على أهل العلم ونشر هذه الثقافات بينهم، ويعد متنوعاً في ثقافاته في أكثرمن اتجاه علمي، وأن أهل الأندلس في أشد الحاجة إلى هذه الثقافة، وخاصة إنه متفقه في نوع من المذاهب الفقهية غير شائع بكثرة في الأندلس، وهو المذهب الشافعي حيث إنه غريب إلى حد ما في المنطقة، ولذلك نجد كثيراً من الأندلسيين تواقين إلى المعرفة والاطلاع على هذا المذهب ومحاولة معرفة وجه الاختلاف بينه وبين المذهب المالكي، ونجد بعضهم قام باتباع هذا المذهب بعد دراسته وفهمه، وبكونه إماماً في القراءات فإنه تتلمذ عليه عدد كثير من الطلبة ودرسوا طريقته فيها، وكذلك تعلم وسمع الطلبة منه روايات في الحديث، وبذلك نجد هذا العالم قام بتوطيد وازدهار الثقافة في قرطبة ونشر هذه العلوم المتنوعة بين الطلبة.[1]

1-2- محمد بن الحارث بن أسد الخشني:(ت361هـ/973م)

من أهل القيروان يكنى:أبا عبد الله، من أهل العلم والفضل، تلقي العلم في البداية بالقيروان حيث سمع من علمائها، ورحل إلى الأندلس حدثاً سنة اثنتي عشرة، وتتلمذ على علمائها وأخذ على أيديهم الفقه وعلم الحديث، وهو عالم بالفتية حافظاً للفقه حسن القياس، أضف إلى ذلك كونه شاعراً بليغاً، جمع عدة كتب وقام بتأليفها والكتب هي: (كتاب أخبار القضاة بالأندلس) وكتاب (أخبار الفقهاء والمحدثين) وكتاب (الاتفاق والاختلاف لمالك بن أنس وأصحابه) وكتاب في (رجال الأندلس) وبذلك قام الخشني بمجهود كبير في إثراء الثقافة بالأندلس وخاصة على الصعيد الديني حيث إن معظم مؤلفاته في الفقه الإسلامي، وقام بتدريس كتبه على أهل العلم والثقافة بقرطبة، وانتشرت هذه المؤلفات في عموم حواضر الأندلس.[(2)][3]

1-3- علي بن محمد بن إسماعيل بن بشر (ت377هـ/989م):

من أهل أنطاكية كثير القراءات يكنى: أبا الحسن، وفد على الأندلس في شهر ربيع الاخر سنة (352هـ/966م)، وهو عالم بالقراءات رأس فيها لا يتقدمه أحد في معرفتها

1 ابن الفرضي. ج1، مصدر سابق ،ص ص33-34-435.

2 ينظر. ابن الفرضي، ج2،مصدر سابق ،ص ص802-803،والحميدي ،مصدر سابق ،ص 53، والضبي . ،مصدر سابق ،ص 61،وياقوت الحموي ،معجم الأدباء ،ج18، دار المأمون القاهرة ،د ت ،ص 111.

3

في وقته، وهو أيضاً من المجودين للقرآن الكريم، أضف إلى ذلك له دراية برواية الأحاديث النبوية، حيث أخذ هذا العلم عن طريق الشاميين والمصريين وغيرهم، وأدخل معه إلى الأندلس علماً جماً من القراءات، بالإضافة إلى كونه على علم باللغة العربية بصيراً بها، وكذلك له دراية بعلم الحساب، وله حظ من الفقه على مذهب الشافعي، وقام بالتدريس في هذه التصنيفات من العلوم، حيث قرأ الناس عليه وكتبوا عنه وسمعوا منه، وبذلك أدخل إضافات جديدة إلى الثقافة الأندلسية، وخاصة علم القراءات وكيفية قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة على أصولها خالية من التحريف.

1-4- طاهر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن موسي بن إبراهيم المعروف بالمهند (ت390هـ-1002م):

من أهل بغداد ويكنى: أبا العباس، وصل إلى الأندلس في جماد الأولى سنة(340هـ/952م) ،وكان شاعراً بليغاً مدح الخلفاء وكسب المال بالأدب.[1]

وهو من كبار الشعراء وخاصة في عهد الخليفة المستنصر بالله حيث نشر في قرطبة شعر المدح وأنشد كثيراً من هذا النوع ومن شعره الذي أنشده في يوم عيد الفطرعام (360هـ/972م)، بحضور الخليفة وشخصيات دولته وعامة الناس وأنشد :

لولا الإمامُ المرتضي وسليلهُ ... ماساغَ تلفيقُ القريضِ لمقولِ

ملكٌ رآه الله أفضلَ خلقه ... فحباهُ مِن رُتّبِ العلا بالأفْضلِ

وأحلّه شرفاً تبيّن دونَه ... وجهُ الغزالةِ طالعاً من أسفلِ

فإذا تهلّل واستهلّ نوالُه ... فالبسطُ بسطُ العارضِ المتهللِ.()

وقد حظي بالأدب عند الحاجب المنصور محمد بن أأبي عامر، ومن شعره يستأذنه فيها في الوصول إليه حيث أنشد:

أتَيْتُ أُكحّلُ طَرْفِي ... فِي نُورِ وَجْهِكَ لَحْظَةْ

ولا أزيدك بعد ... التسْليم والشكرِ لفظَة.()

1 ابن الفرضي، تج2 مصدر سابق ص 536.

وفي اخر عمره قال في الزهد، وله رسائل عجيبة ومقالات في معاني الزهد على مذاهب المتصوفة، وبذلك قام بنشر ثقافته بين طلاب العلم بالأندلس وخاصة شعر المدح، واطلع عدد منهم على رسائله التي قام بكتابتها في الزهد حيث نشر فيها أفكاراً غريبة وعجيبة تأثر بها بعضهم، وكانت طريقته في الزهد على طريقة مذاهب المتصوفة.[1]

ومن شعره أيضاً في عيد الفطر سنة(362هـ/974م) حيث أنشد:

بَادِرْ إلى مَسلكٍ خُلقْتَ له ... فخذْ بحظِّ اللبيبِ مِنْ قِسَمِهْ

وكفِّرْ الزورَ بالحقيقةِ في ... وصفِ إمامِ الهدي وفي كرمِهْ

وحبِّرْ القولَ في عُلاه وَصُغ ... جواهرَ القولِ حَشْوَمُنْتظمه.()

1-5- صاعد البغدادي اللغوي(ت417ه/ 1029م)

وهو أبوالعلا صاعد بن الحسين بن عيس الربعي البغدادي اللغوي وأصله من بلاد الموصل، دخل بغداد، ويعد من العلماء باللغة والأدب والأخبار، سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة، درس على علماء أجلاء ببغداد لهم صيت علمي حيث روى عن القاضي أبي سعيد بن الحسن بن عبد الله السيرافي وأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي وأبي بكر بن مالك القطيعي، وأبي سليمان الخطابي وغيرهم.[2]

رحل إلى قرطبة في أيام هشام بن الحكم المستنصر بالله، ولاية الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر في حدو(380ه/992م)، ويعد من الأدباء الذين لهم دراية كبيرة بالعلوم الأدبية، ومنذ وصوله إلى قرطبة بدأ بتأليف عدة كتب تحتوي على قصص وأخبار وأشعار،معظمها من أدب العرب في عصر الجاهلية، وقام بنشرها بين العامة والخاصة في الأندلس وقام بتدريسها في الجامع العام بالزاهرة وأفاد منه أهل الأندلس وخاصة أنه لديه طريقة خاصة في التدريس، حيث إنه فكاهي يستطيع أن يلفت أنظار الناس إليه، ولهذا يجد الطلبة متعة في مجالسته والاستماع إليه بتشوق ولهفة، وعادة أن القصص والأخبار التي يقوم بإلقائها على الطلبة قصص تشبه الخيال، وبذلك سمع منه وكتب عنه كثير من الناس ومنهم من أصبح من العلماء في الأندلس، ومنهم ابن حيان حيث قرأ عليه كتاب الفصوص، والخولاني حيث أجاز له مارواه وألفه.[3]

1 - ابن الفرضي . المصدر السابق ،ص 536 .

2 - الحميدي ،مصدر سابق، ص 240.

3 - ينظر، ابن حيان . المقتبس . تح محمود علي مكي ،ج1 مصدر سابق ،ص 22 وابن بشكوال ،كتاب الصلة ،ج1، مصدر سابق ،ص 264 وابن خلكان ،وفيات الأعيان وأنباء الزمان ،ج2 ،مصدر سابق ،ص 488 ، وعبد الواحد المراكشي ،مصدر

وكانت له دراية بالشعر، وأن أشعاره كثيرة ومتنوعة، فإلي جانب شعر المدح كان مجيداً لشعر التشبيه حيث إنه في بعض المجالس التي يقيمها الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، قال أبيات شعر لم يستطع الحاضرون من الأدباء والشعراء شرحها وهي أبيات شعر للشماخ بن ضرار حيث قال :

دارُ الفتاةِ التي كُنَّا نقولُ لهَا   ياظبيةً عطْلاً حسَّانَة الجيدِ

تُدنِي الحمامةَ منها وهي لاهيةُ   مِنْ يَانِع المُرْدِ قِنْوانِ العَنَاقيدِ.

حيث قال الحاضرون في شرح هذا الشعر على أنها الحمامة تنزل على غصن الأراكة والكرم فتثقله فتتمكن الظبية منه فترعاه، فأجابهم صاعد بأن إجابتهم وشرحهم ليس صحيحاً، والمقصود أن الحمامة في هذا البيت هي المرأة، وهي اسم من أسمائها، فأراد أن هذه الجارية المشبه بالظبية إذا نظرت في المرآة أدنت المرأة منها في المنظر شعرها الذي هو كقنوان العناقيد من يانع الكرم[1].

وكذلك قام باختبارهم مرة أخرى في شرح بيت من الشعر لامرئ القيس وهو:

كأنَّ دماءَ الهاديات بنَحْرِهِ   عُصَارةُ حنَّاءٍ لِشَيْبِ مُرَجَّلِ

فأجاب الحاضرون بأن البيت سهل جداً بقولهم إنما وصف فرساً أشهب عقدت عليه الوحش فتطاير دمها إلى صدره فجاء هكذا، فرد عليهم صاعد بأن شرحهم غير صحيحٌ وقال : سبحان الله انسيتم قوله قبل هذا وصفه :

كُمَيْت يزِلّ اللِّبْد عن حالِ مَتْنِه   كَمَا زَلَّت الصَّفْواءُ بالمُتنزّلِ

فتعجب الحاضرون وكأنهم لم يقرأوا هذا البيت أبداً واضطروا لسؤاله فقال:إنما عني أحد وجهين: إما أنه تغش صدره بالعرق، وعرق الخيل أبيض فجاء مع الدم كالشيب، وإما شيئاً كانت العرب تصنعه، وهو أنها كانت تسم باللبن الحار في صدور الخيل، فيتمعط ذلك الشعر وينبت مكانه شعر أبيض.[2]

ويعد صاعد البغدادي، عالماً أديباً شاعراً له أخبار كثيرة وسير وقصص تاريخية

سابق ص ص57-58.

1 - ينظر. الحميدي، مصدر سابق، ص 243، وعبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص ص57-58

2 - ينظر: الحميدي . المصدر السابق، ص ص242، وعبد الواحد المراكشي ،المصدر السابق، ص 56-57 .

نشرها في قرطبة بين الأدباء والشعراء أفادوا منها في إضافة معلومات جديدة إلى ثقافتهم، وبذلك فإنه أسهم في نشر وإثراء الثقافة وازدهارها بين طلبة العلم.[1]

إلى جانب الذين ذكرتهم يوجد كثير من العلماء المشارقة في مختلف ضروب العلم أسهموا في ازدهار الثقافة والمعرفة في قرطبة.

نستخلص مما سبق أن الثقافة في قرطبة نمت وترعرعت على أيدي العلماء والأدباء والشعراء الذين رحلوا إليها من العراق والشام والحجاز ومصر والقيروان وغيرها من الحواضر الإسلامية، ولهم تأثير كبير لما حملوه معهم من تراث الآباء والأجداد جاء في هيئة الكتب التي أدخلوها معهم، وتوزعت بين العلماء الأجلاء الذين يحملون في صدورهم علوماً جمة، فمنهم من كان فقيهاً أو لغوياً او إخبارياً، إلى جانب من كان له علاقة بعلوم الأوائل كالطب والفلسفة والفلك والحساب، وأسهم هؤلاء في تأليف الكتب في مختلف ضروب العلم، وبعد ذلك قاموا بتلقينها وتعليمها لرواد الثقافة والعلم في المؤسسات التعليمية كالمدارس والمساجد في كل من قرطبة والزهراء وغيرها من المدن الأخرى، أضف إلى ذلك فإن هؤلاء العلماء الذين رحلوا إليها لقوا كل تشجيع وترحيب سواء على مستوى عامة الناس أو خاصتهم مما كان له أثر إيجابي في تشجيعهم على البذل والعطاء العلمي والثقافي بدون ملل أو كلل،هذا إلى جانب تمتعهم بالحرية والمساواة مع إخوانهم الأندلسيين في الحقوق والواجبات .

ثانياً: رحلة علماء الأندلس إلي المشرق:

اتجه كثير من علماء وطلاب الأندلس إلى المشرق على أنهُّ مركز للإشعاع العلمي والأدبي والثقافي، مدفوعين إلى ذلك بعوامل كثيرة منها ، شعورهم بالحاجة الماسة إلى نقل علوم المشرق الإسلامي إلى بلادهم، ونشرها بين أهليهم، واكتساب الفوائد والمصالح، ولقاء المشايخ والعلماء مباشرة، وكذلك لأن البشر يأخذون معهم معارفهم وأخلاقهم ومايننتحلون من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقيناً، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً، وهنالك بذلوا كل جهد من أجل اكتساب المعرفة ونقل كل ما هو مفيد وصالح من العلوم المختلفة إلى بلادهم، والشواهد تؤكد أنه لتواصلهم مع تراث الأجداد في المشرق وحرصهم عليه وإقبالهم على دراسته، وتحملهم مشاق السفر الطويل والخطير من أجله، إذ كانوا يسافرون على وسائل

---

1 – ينظرابن خلكان . وفيات الأعيانوأنباء ابناء الزمان ج2، مصدر سابق، ص 489 ، وأبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي – مصدر سابق، ص 207.489 ، واحمد المقري التلمساني نفح الطيب ،ج3، مصدر سابق ،ص 78.

مواصلات بدائية وبطيئة، حيث تستغرق الرحلة عدة أشهر حتى يصلوا إلى مرادهم ومقصدهم، وحفظهم واستيعابهم وجمعهم، ونقلهم لهذا التراث إلى وطنهم الأندلس أثر كبير في الإبداع الفكري والثقافي الذي شهدته الأندلس في القرن الرابع الهجري.[1]

وكان للتجار الأندلسيين دور كبير في نقل الثقافة المشرقية إلى بلادهم حيث يرحل التجار منها إلى المشرق وذلك من أجل الكسب المادي، ولكن وهم في طريقهم وأثناء إقامتهم يستمعون إلى العلماء، ويأخذون عنهم أنواعاً كثيرة من الثقافة، وعند رجوعهم يحملون معهم عدة كتب من تواليف مختلفة يقومون بنشرها في بلادهم عن طريق البيع للعلماء والمثقفين وكأمثلة على ذلك :

2-1- التاجر أحمد بن خالد بن عبد الله بن عقيل (ت 378هـ/990م):

كان له صيت علمي وثقافي في الأندلس حيث دخل العراق تاجراً، وبعد انتهائه من مهمة التجارة وبيع ما لديه اتجه إلى العلم، وسمع من كثير من العلماء في بغداد في مختلف ضروب العلم، وكذلك عند مروره بمصر سمع من علمائها وكتب عنهم، وبعد وصوله من رحلته إلى قرطبة أدخل معه كتباً كثيرة العدد ذات قيمة علمية وثقافية، إلى جانب غرابتها في البلاد لأنهم لم يألفوا مثلها من قبل، وقام بتدريسها وتعليمها لطلبة العلم، وسمعها منه الناس وخاصة أنهم كانوا مندفعين إلى الأخذ من هذه الثقافة المشرقية الجديدة في بلادهم.[2]

2-2- التاجر أحمد بن فتح بن عبد الله ،توفي قبل الأربعمائة:

رحل إلى مصر واستمع في طريقه إلى عدد من المثقفين، واستطاع الاطلاع على بعض العلوم، وبعد استكمال بيع أو استبدال ما كان معه من المواد بمواد أخرى، رجع إلى وطنه حاملاً في صدره كثيراً من الروايات وأحضر معه عدداً من الكتب ككتاب (الدار) وكتاب (مقتل عثمان بن عفان) للمؤلف عمر بن شيبة النميري في سبعة أجزاء ولقد حدث بهذه الكتب وسمع منه كثير من العلماء وأفادوا منها.[3]

ورحل كثير من العلماء إلى المشرق ينهلون ويتعلمون معظم العلوم ومنهم :

2-1-ا- أيوب بن سليمان بن حكم بن عبد الله بن بلكاش (ت329هـ/951م):

يكنى أبا سليمان كانت له رحلة إلى المشرق ودخل العراق وسمع فيها من كثير من

---

1 ينظر، الزبيدي ،طبقات النحويين واللغويين ،مصدر سابق ،ص 281-282 ،وابن بشكوال،كتاب الصلة ،ج1، تح شريف أبوالعلي العدوي، مصدر سابق ،ص 56 .

2 – ابن الفرضي، ج1، مصدر سابق،ص 117.

3 – الحميدي ، مصدر سابق ،ص141.

العلماء والفقهاء، وتفقه كثيراً على أيديهم، وأخذ منهم علماً كثيراً، وكان مائلاً في مذهبه إلى الحجة، لهجاً بالنظر لا يرى التقليد، وعندما رجع إلى قرطبة أدخل معه كثيراً من الكتب وخاصة الكتب الدينية التي تتعلق بالحديث والفقه وأقام بتدريسها ونشرها بين رواد العلم والثقافة، وأطلع عليها كثير من العلماء وبذلك نجد له دوراً كبيراً في ازدهار الثقافة بقرطبة وخاصة أن هذه الكتب تحتوي على معلومات دقيقة ذات قيمة علمية.[1]

2-2- ب - ثابت بن عبد العزيز السرقسطي وابنه قاسم:

وهما من أهل العلم بالعربية والحفظ للغة، والتفنن في ضروب العلم، ولهما فضل كبير على الأندلس ونشر الثقافة بها، حيث رحلا معاً إلى المشرق،وقاما بمجهودات كبيرة من أجل النيل والتعلم من رجال الحديث واللغة بالمشرق وقاما بجمع علم كثيراً طوال إقامتهم، وهما أول من أدخل(كتاب العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي إلى قرطبة، وقام قاسم بتأليف كتاب في شرح الحديث سماه كتاب (الدلائل) وبلغ فيه الغايتين الاتقان والتجويد حتى حسد عليه وظن به الحاسدون أنه من تأليف غيره من المشرق، ومات قبل إكماله، فأكمله أبوه ثابت بن عبدالعزيز، وقد استشهد الأديب إسماعيل بن القاسم البغدادي على أن هذا الكتاب لم يؤلف في الأندلس كتاب أكمل وأدق منه في شرح الحديث.[2]

2-4- ج - الطيب محمد بن عبدون الجبلي:

رحل إلى المشرق سنة (347هـ/969م)، ودخل إلى البصرة ومصر وديرمارستانها*، وقام بدراسة الطب ونال منه وأحكم كثيراً من أصوله، وأصبح له دراية حسنة في هذا المجال وإلى جانب ذلك قام بدراسة علم المنطق، وقام بدراسته دراسة صحيحة على يد أبي سليمان محمد بن طاهري بن بهرم السجستاني البغدادي، ورجع الى قرطبة بهذا العلم المفيد، حيث أفاد به أهله وبلاده، وقام بعلاج المرضى، وأول من أفاد من علمه الخليفة الحكم الثاني وابنه هشام المؤيد. ونظراً لرحلته وتعلمه في المشرق وإتقانه لمهنته فإنه بعد رجوعه من السفر، وقيامه بممارسة الطب أصبح من المشاهير، ولم يلحق به أحد في صناعتها، ولا يجاريه أحد في ضبطها وحسن درايته فيها، وإحكامه لغوامضها، مما يدل على أن رحلة أهل الأندلس للمشرق لها دور كبير ومفيد لتعلمهم كثيراً من العلوم ونهلهم منها.[3]

---

1 - ابن الفرضي، المصدر السابق ،ص163.

2 - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين . مصدر سابق، ص ص 284-285 .

* مكان يوجد فيه اطباء لعلاج المرضى.

3 - ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تح فؤاد سيد . القاهرة 1955م ص 115،و صاعد الأندلس، مصدرسابق، ص ص 191-192.

2-5- د- محمد بن معاوية بن عبد الرحمن:

يعرف بابن الأحمر، توفي قبل تولي الحكم الثاني الخلافة بمدة، رحل الى المشرق من أجل العلاج، وبعد علاجه بالهند من مرضه رجع إلى بلاده، وفي طريقة إليها سمع من العلماء في العراق حيث زار بغداد، وبعض المدن العراقية الأخرى، وسمع من عدة علماء وفقهاء بمصر، ووصل إلى قرطبة حاملاً معه ثقافة جديدة إلى بلاده، وبعد من العلماء الأجلاء، وهو أول من أدخل إلى الأندلس مصنف أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسوي في السنن، وعمل على نشر وإسماع هذا المصنف إلى طلبة العلم بقرطبة، وكذلك العلماء والأدباء وحمل في صدره روايات وثقافات من علماء المشرق ومصر، وكذلك من الكتب التي قام بالاطلاع عليها.[1]

2-5 هـ- أحمد بن إسحاق بن مروان بن جابر الغافقي (ت370هـ/982م):

من أهل قرطبة ويكنى أبا عمر، رحل إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، وبعد انتهائه من أداء المناسك اتجه إلى السماع من علماء المشرق، وأخذ عنهم كثيراً من العلوم والثقافة، وخاصة الفقه، وكتب كتاب(محمد بن إسماعيل البخاري في السنن) وكتاب(الأشراط) لأبي بكربن المنذر، وأخذ من غير ذلك علماً كثيراً ورجع إلى قرطبة حاملاً معه هذه العلوم وقام بنشرها بين رواد العلم بالأندلس، وتتعلق معظمها بالعلوم الدينية والفقه، وكان أكثر الرواد لقراءتها والاطلاع عليها من يقوم بأحكام القضاء، وبذلك أضاف إضافات أخرى إلى خزائن الكتب في قرطبة مما كان له دور في ازدهار الثقافة بها.[2]

2-6-و- محمد بن مفرج بن عبد الله بن مفرج المعافري(ت371هـ/983م):

من علماء الأندلس، وكانت له رحلة إلى المشرق، حيث سمع من علماء مصر، فروى بها تأليف أحمد بن محمد بن النحاس في إعراب القرآن والمعاني، والناسخ والمنسوخ، وهو أول من أدخل هذه الكتب إلى الأندلس رواية، وقام بتدريسها في الأندلس، وسجلها منه عدد كبير من رواد العلم والمهتمين بعلوم القرآن وتفسيره.[3]

2-6-ز- محمد بن أحمد بن يحي بن مفرج القاضي أبوعبدالله، وقيل أبوبكر (ت386هـ/992م):

محدث حافظ جليل، رحل إلى المشرق وسمع ونقل، وروى من كثير من العلماء الأجلاء، حيث تنقل في كثير من المدن فسمع من علماء مكة والمدينة المنورة، وباليمن سمع من علماء

---

1 - الحميدي. مصدر سابق، ص ص 88 89 .

2 - ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ج1، مصدر سابق، ص 159 .

3 - المصدر السابق، ج2، ص 756 .

* لم تذكر المصادر من هم الذين أخذ عنهم.

صنعاء، زبيد، عدن، كما سمع من علماء مصر وغزة وعسقلان وطبرية ودمشق وطرابلس وبيروت وصيدا والرملة وصور وقيسارية والإسكندرية، فبلغ عدد الشيوخ الذين أخذ عنهم فيها إلى مائتين وثلاثين شيخاً، وأخذ عنهم كثيراً من علم الحديث والفقه، ورجع إلى قرطبة محملاً بعلم جم، وقام بتدريسه ونشره بها، إضافة إلى أنه قام بتأليف عدة كتب في الحديث منها: كتاب في (فقه الحديث)، وكتاب في(فقه التابعين) ومنها(فقه الحسن البصري) في سبع مجلدات، (وفقه الزهري) في أجزاء كثيرة، وجمع مسند حديث قاسم بن أصبغ للحكم المستنصر، وقد روى على يديه كثير من علماء الأندلس نظراً لما حمله معه من المشرق سواء أكان رواية أم كتباً، وروى عنه بمصر أبو سعيد بن يونس، وبالأندلس أبو الوليد بن الفرضي، وأبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله المقري المعروف بالطلمنكي وغيرهم .[1]

2-8- س- **محمد بن أبي علاقة البواب:**

رحل إلى المشرق وأخذ عن كثير من علمائها وسمع من الأخفش كتاب (الكامل) للمبرد، وهو من الكتب ذات القيمة العلمية في الأدب العربي، وهو من ضمن الكتب التي نقلها معه عند رجوعه إلى الأندلس، وقام بتصحيحه، واستشهد الخليفة الحكم الثاني على أنه لم يقم بتصحيح كتاب (الكامل) في الأندلس إلا من قبل أبي علاقة.[2]

2-9- ص- **خلف بن قاسم بن سهل بن محمد بن يوسف بن الأسود الأزدي (ت393هـ/1005م):**

من أهل قرطبة، وهو من الذين رحلوا إلى المشرق وأقام مدة طويلة، وزار عدة أماكن، واستمع إلى علمائها، حيث روى عن العلماء في كل من مصر والشام، ومكث في عدة مدن بها ومنها الرملة، وعسقلان، وبيت القدس، ودمشق، وذهب أيضاً إلى مكة واستمع إلى عدد من علمائها، وغيرهم من العلماء الذين يأتون لزيارة الأماكن المقدسة سواء للحج أو العمرة، ويقدر عدد العلماء الذين استمع إليهم وكتب عنهم في رحلته الطويلة حسب رواية ابن الفرضي بحوالي مائتين وستة وثلاثين شيخاً، وبرواية الحميدي حوالي ثلاثمائة شيخ، وجلهم من العلماء المجيدين، وقد استمع ودرس وكتب من عدة تواليف متنوعة، فلقد عنى بدراسة القرآن الكريم، فقرأه على جماعة من أهل القراءات وجوده حيث سمع من محمد الأصبهاني المعروف بابن أشته كتابه (المخبر) في القراءات، وهو

---

1 ينظر. الحميدي . مصدر سابق، ص40، والضبي . مصدر سابق ص ص 38-39، وأحمد المقري التلمساني. نفح الطيب ج2، مصدر سابق، ص ص218-219 .

2 المقري التلمساني. المصدر السابق، ص 150 .

من أعلم الناس برجال الحديث، واستوسع في كتابته، وبذلك حفظ الكثير منه، وأصبح عالماً بطرقه منسوباً إلى فهمه، مع درايته للتواريخ والتفاسير، حيث سمع كتاب(تاريخ الطبري) من السليل بن أحمد، ونتيجة لهذه الرحلة الطويلة للمشرق وسماعة لعدد كبير من العلماء، وخاصة في ما يتعلق بأمور الدين والحديث والتاريخ، ألف بالمشرق كتباً كثيرة فيما كتبه عنهم وحفظه منهم رواية، ومن ضمن تأليفاته جمع مسند (حديث مالك بن أنس) ومسند (حديث شعبة بن الحاج) وأسماء المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين، وكتاب(الخائفين) وأقضيه شريح، وزهد بشر بن الحارث، وغير ذلك من التواليف الحسان، وحمل كل ما ألفه من تأليفات بالإضافة إلى ما أخذه مكتوباً عن العلماء إلى بلاده، وأضاف هذه المؤلفات والكتب إلى خزائن الكتب بها، وقام كثير من علماء الأندلس ورواد الثقافة بها بالاطلاع على هذه الكتب ودراستها عن طريق مؤلفها، وخاصة من لهم دراية بعلم الحديث والفقه والتاريخ، ومنهم ابن الفرضي، وأبو عمر بن عبد الله، وأبو الفتح عبد الواحد بن محمد بن مسرور اللخمي وغيرهم من العلماء الذين أسهموا في ازدهار الثقافة في قرطبة.[1]

2-10- ع - عطية بن سعيد بن عبد الله أبومحمد (ت403هـ1015م):

كانت له رحلة إلى المشرق، وتجول في كثير من مدنه حيث بلغ في سفره ما وراء النهر ثم عاد إلى نيسابور، وبغداد، ومكة، وقد حدث وروي وكتب عن كثير من علماء هذه الحواضر الإسلامية، وتحصل على علم كثير وخاصة علم الحديث، وجمع كتباً كثيرة العدد والفائدة العلمية، وقرأ بمكة كتاب (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل البخاري، والف كتاباً في تجويز السماع، وله تصانيف منها كتاب جمع فيه طرق (حديث المغفر[2](*))، وما رواه عن مالك بن انس في أجزاء كثيرة، وقد رجع عطية بن سعيد إلى بلاده محملاً بهذه الثقافة المشرقية الكثيرة العدد والفائدة والقيمة الثقافية والعلمية، وبدوره قام بنشرها بين العلماء، وأضاف عناوين جديدة من الكتب غير الموجودة في بلاده[3]

2-11 -ف- أحمد بن محمد بن عبد الله أبي عيسى بن يحي بن محمد بن قرلمان المعافري: أدى مناسك الحج في مكة، وبعد استكماله لفرائض الحج لقي كثيراً من علمائها، ثم بعد ذلك رحل إلى المدينة المنورة، واجتمع بعلمائها، وأثناء العودة إلى بلاده التقي بمصر

---

1 ينظر، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، مصدر سابق،ص ص250، 251،والحميدي ، مصدر سابق، ص ص209-210.

2 (*) بحثت عنها ولم نجد لها تفسير، وحسب رأى أنها جملة من احاديث مالك بن آنس.

3 - ينظر، ابن شكوال،كتاب الصلة، تح صلاح الدين الهواري،بيروت 2003، ص ص52-53 ،والحميدي ، مصدر سابق، ص ص319 320--321

والقيروان بعدد من العلماء، ووصل إلى الأندلس محملاً بعلم كثير وكتب كثيرة منها إعراب القرآن الكريم وطرق قراءته وأحكامه وناسخه ومنسوخه، وجمع منها كتباً حساناً كثيرة الفائدة على مذاهب أهل السنة، كذلك جمع عدداً من كتب علم الحديث، حيث اعتنى به كثيراً من حيث نقله وضبطه ومعرفة رجاله وحملته، وقام بإسماع وتلقين هذه العلوم التي جمعها من المشرق إلى رواد العلم والثقافة ببلاده، وقام بالجلوس في مسجد متعة بقرطبة، وتوافد عليه أهل العلم حيث أسمعهم علم الحديث وعلم القرآن، وبذلك أفاد بعلمه كثيراً من العلماء والطلبة، وانتشر علمه بينهم في قرطبة.[1]

يتضح مما سبق أن أهل الأندلس وخاصة العلماء والمثقفين كانوا يتسابقون في الرحلة والترحال إلى مدن المشرق نظراً لسبقها مدن المغرب في انتشار الثقافة في مختلف أنواع المعرفة فأصبحت المدن المشرقية مراكز ثقافية وعلمية، تتفاعل فيها الأفكار الجديدة، وأصبحت المعارف الدينية وخاصة الحديث والفقه والتفاسير وطرق قراءة القرآن من أهم العلوم التي اشتهرت بها هذه الحواضر الإسلامية، ولهذا نجد أن معظم الذين رحلوا من الأندلس إلى المشرق الإسلامي لأجل العلم استطاعوا الإفادة من الاطلاع على هذه العلوم والثقافة فيها، إلى جانب تعلمهم العلوم الأخرى التي اشتهر بها المشرق كاللغويات والآداب، وأن هؤلاء العلماء على مرور الزمن استطاعوا أن ينقلوا الكثير من العلوم في مختلف التخصصات إلى بلادهم، وخاصة ما استطاعوا أن ينقلوه من كتب ومؤلفات جديدة لم يكن للأندلس سابق معرفة بها، وبذلك عملوا على نشر هذه العلوم بقرطبة، وأسهمت هذه الكتب بشكل واضح في تطوير معظم جوانب الحركة العلمية بالأندلس لما لها من قيمة علمية وثقافية، وقد أتيحت الفرصة لعدد كبير من علمائها وطلابها الاطلاع عليها، فكانت النتيجة نشاط حركة التأليف على منوال هذه الكتب من قبل العلماء الأندلسيين، وبإحضار هذه الكتب وعودة العلماء من المشرق، استغني عدد كبير من الطلاب عن الرحلة إلى المشرق للتتلمذ على علمائه أو الحصول على كتبهم، وزاد عدد المثقفين بالأندلس وخاصة أنهم تواقون إلى معرفة كلما هو جديد، وأصبحت المدن مراكز علمية تعج بعدد كبير من العلماء في مختلف ضروب العلوم الدينية والأدبية واللغوية والتطبيقية كالحساب والهندسة والطب .

---

1 - ابن بشكوال، مصدر سابق ،ص ص52-53.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

دور الخلفاء في ازدهار الثقافة في قرطبة

- أولاً: الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله ودوره في ازدهار الثقافة في قرطبة.

- ثانياً: الخليفة الحكم المستنصر بالله ودوره في ازدهار الثقافة في قرطبة.

- ثالثاً: الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر ودوره في ازدهار الثقافة في قرطبة.

دور الخلفاء في ازدهار الثقافة في قرطبة:

يعد عصر خلفاء بني أمية من أزهي العصور العلمية، حيث نهضت فيه الثقافة الأندلسية نهضة كبيرة وشاملة، كانت وراء ذلك عدة ظروف منها وحدة الثقافة والاستقرار والأمن والرخاء والتحضر والرقي الذي حدث في قرطبة في القرن الرابع الهجري، وحكم في هذا القرن خليفتان، هما الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، وابنه الحكم المستنصر بالله، بالإضافة إلى الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، حيث وفروا للناس كل ما من شأنه أن ينهض بالثقافة والعلم.[1]

واهتم خلفاء بنو أمية بالأندلس بالثقافة والعلم استناداً إلى اهتمام الإسلام بالعلم والدعوة إلى تحصيله، فقد نزلت أولى آيات القرآن:﴿ إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .[2]

كما وضح هذا المعني في عدد من السور والآيات التي تشير بدورها إلى فضل العلم ومكانة العلماء مثل قوله تعالى:﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ .[3]

وقوله تعالى:﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .[4]

وقوله تعالى:﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [5]

إن هذه الآيات التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على نبيه تدل على أهمية العلم ووجوبه على المسلمين لأن بالعلم تتقدم الأمم، ويعد العلم شرطاً ضرورياً لتطور المجتمع الإنساني ورقيه، ولذلك حث الإسلام على التعلم وفضل العلماء على عامة الناس ورفع من درجاتهم . وإلى جانب القرآن الكريم فإن السنة النبوية أوضحت بدورها مدى اهتمام الدين الإسلامي بالعلم والعلماء، فقد حرص النبي منذ البداية على العلم والتعليم فقد ثبت قوله: (إن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم).[6]

---

1 ينظر. الحميدي . مصدر سابق، ص ص12-13--17 وابن سعيد .مصدر سابق،ص ص182-186-199، والأمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تاريخ الخلفاء تح محمد محي الدين عبد الحميد .ط4 .مطبعة الفجالة الجديدة القاهرة 1969م .ص 523، وأحمد هيكل. الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة .ط3.دار المعارف القاهرة ،1967م، ص 190 .

2 سورة العلق ،الآيات 1-5.

3 سورة الزمر ،الآية 9.

4 سورة أل عمران ، الآية 18 .

5 المجادلة . الآية 11.

6 الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني .ابن ماجه . مصدر سابق .ص 82.

وقوله ﷺ (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة).[1]

وقوله ﷺ (من سلك طريق يلتمس به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة).[2]

ونظراً لاطلاع خلفاء بنوأمية ودرايتهم وعلمهم بهذه التعاليم الربانية والنبوية قاموا بالتشجيع على الاشتغال بالعلوم، والبحث فيها، وعدّوا هذا الأمر حيوياً ومهماً جداً لتقدم الثقافة وازدهارها في الأندلس، فأجزلوا العطاء للعلماء والأدباء والشعراء وغيرهم مما كان له أثر كبير في إثراء وازدهار الحياه الثقافية والفكرية من خلال ما قدمه العلماء من مؤلفات وابتكارات جديدة في جميع المجالات العلمية، ونجد أن تشجيع خلفاء بني أمية لأهل العلم شكّل حافزاً قوياً لهم، وجعلهم يتنافسون على الكتابة والتأليف في عدد من فروع العلم، وكذلك كان لتشجيع حركة الترجمة والنقل من اللغات اليونانية والفارسية والهندية وغيرها إلى اللغة العربية دور كبير في وقوف العلماء على علوم وثقافات الحضارات السابقة، حيث درسوها دراسة جيدة واستوعبوها، وكانت ذات فائدة عظيمة لهم فيما قدموه بعد ذلك من إسهامات وإضافات وابتكارات جديدة، ولهذا أقام الخلفاء بتهيئة كل ما من شأنه أن يكفل تقدم ونمو العلوم والآداب والفنون، وبدلوا كل الإمكانيات لذلك لإيمانهم بأن العلم هو أهم أسس وركائز تقدم الأمم والحضارات، وكانوا يتنافسون على كسب العلماء وإغرائهم من أجل التأليف والكتابة والاشتغال بالقضايا العلمية التي كانوا يرونها ذات أهمية بالغة، وصلة وثيقة بحياة المجتمع الأندلسي، ومن أجل ذلك قاموا بإعطاء العلماء الأموال الطائلة التي تفي باحتياجاتهم المعيشية بحيث لا يحتاج العالم إلى الكد والعمل من أجل لقمة العيش، وإلى جانب الدعم المادي وفروا لهم الدعم المعنوي، وهو على قدر من الأهمية لأنه يرفع من همة العلماء، ويدفعهم إلى الاشتغال بالتأليف والابتكار والتجديد بما يتماشى وإثراء العلوم، وسد حاجة المجتمع من الاختراعات التي تعد من لوازم التحضير، وانتشار الثقافة وازدهارها بين مختلف أفراد المجتمع.[3]

اولاً: عبد الرحمن الناصر لدين الله ودوره في ازدهار الثقافة في قرطبة ت350هـ/962م):

أول الخلفاء الأمويين الذين قاموا بدور كبير في ازدهار الثقافة في قرطبة هو الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، نشأ منذ صغره في كفالة جده في قصر قرطبة وعاش حياة

1 المصدر نفسه، ص 80.

2 القسطلاني وشيخ الإسلام . صحيح البخاري ج1، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ، د ت ،ص 16.

3 ينظر، أخبار مجموعة . مصدر سابق، ص 137 .- وابن الفرضي . ج1، مصدر سابق ،ص 159. وابن حيان . المقتبس في أخبار أهل الأندلس،ج5، مصدر سابق ،ص 23.- والخشني . 0مصدر سابق ،ص1 . وابن حزم . مصدر سابق ص 76.، والحميدي 0 0مصدر سابق ،ص 13، ولسان الدين ابن الخطيب السلماني 0كتاب أعمال الأعلام ،مصدر سابق ،ص 41.

مليئة بالعز والطمأنينة ورغد العيش، وقد قدم له جده كل ما يطلبه، ووفر له سبل الحياة الأميرية، حيث أحاطه برعاية خاصة، وقام بتعليمه واستقدم له خيرة المؤدبين، ودرس مبادئ الدين الإسلامي منذ صغره، وقبل أن يبلغ السنة العاشرة من عمره درس القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه، وبرع في النحو والشعر والتاريخ، وقد أبدى عبد الرحمن الناصر لدين الله بالرغم من حداثة سنه تفوقاً في العلوم والمعارف تفوق سنة.[1]

1-1- أساتذته :

تلمذ لعدد من الأساتذة منهم الأديب والشاعر أحمد بن محمد بن عبد ربه في الأدب والشعر واللغة، والأديب محمد بن أرقم، وهو أيضاً من أهل العلم باللغة والكلام في معاني الشعر، وأبو الوليد الغافقي وهو من أهل العلم بالعروض والنحو، وقاسم بن أصبغ البياني وهو دوعلم في النحو والغريب والشعر وبصير بعلم الحديث، ويشاور في الأحكام وذو علم بالتاريخ، وقد تأدب على هؤلاء أحسن تأديب وتحصل منهم على ثقافة وعلم كثير .[2]

1-2- منزلته العلمية:

تميز بمنزلة علمية وأدبية رفيعة، وقد كان ينظم الشعر ويرتاح إليه ويسعد وينبسط إلى أهل الشعر،وكان خلال حياته يقرض الشعر في عدة مناسبات، ومن شعره حيث قام بالرد على كاتبه إسماعيل بن بدر بمناسبة الغزوة الثانية التي غزاها وافتتح معقلين بدلاً من معقل واحد من معاقل ابن حفصون قائلاً :

كَـيْـفَ وإنّــيَ لَمَـنْ يُنَـاجـي مِـنْ لَـوْعَـةِ الـشّـوقُ مـا أُنـاجـي

يَـطْـمَـعُ أنْ يَـسْـتَـرِيـحَ وقـتـاً أو يَـقْـتُـل الـرَّاحَ بـالمـزَاجِ

كُـنْـتُ كـمـا قَـدْ عـلـمـتَ الـهَـوْ إذ أنـا ممَّـا شـكـوتُ نـاجِ.()

ومن شعره أيضاً حيث قام بالرد على القاضي منذر بن سعيد البلوطي الذي كان كثيراً ما يقرعه فيما أسرف في مبانيه ويعظه حين دخل عليه وهو مكب على البنيان، فوعظه، فأنشده عبدالرحمن الناصر من شعره قائلاً:

1 ينظر- ابن الفرضي 0 ج2 . مصدر سابق ص ص613-492.، و ابن حيان المقتبس0 في أخبار أهل الأندلس ،ج2،مصدر سابق ،ص 41 .، وابن عذاري المراكشي 0مصدر سابق ،ص ص156-157-158 .

2 ينظر- الزبيدي طبقات النحويين واللغويين 0مصدر سابق ،ص 282 .، وابن الفرضي، ج2، مصدر سابق ،-613،وابن خلكان 0 وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان 0تح احسان عباس ،ج1 ،دار صادر بيروت 1994م ،ص 110 .

هِـمَـمُ المـلـوكِ إذا أرادوا ذِكْـرَهـا   مـن بَـعْـدهـم فـبـألْـسُـنِ الـبُـنْـيَـانِ

إنَّ الـبـنـاءَ إذا تـعـاظـمَ شـأنـهُ   أضْـحـى يـدلُّ عـلـى عظيـمِ الـشَّـانِ()

اما عن النثر فقد كان مجيداً له ومن الأمثلة والشواهد على ذلك الخطاب الذي أرسله إلى أحمدب ن إسحاق القرشي وهو يحارب محمد بن هاشم التجيبي بسرقسطة معاتباً وهذا نصه: «أما بعد فإنا كنا نرى الاستحماد إليك استصلاحاً لك فأي الطبع العزيزي إلا ما استحكم منه فيك، إلا أن استحوذ عليك، فالفقر يصلحك والغنى يطغيك، لم تكن عرفته ولا تعودته، أو ليس كان أبوك فارساً من فرسان ابن حجّاج، أخسسهم حالاً عنده، وأنت يومئذ نخاس الحمير بإشبيليه، فأقبلتم إلينا، فأويناكم ونصرناكم، وشرفناكم ومولناك، واستوزرنا أباك وقلدناك أعنه الخيل آجمع، وقوضنا إليك أمر ثغرنا الأعظم فتهاونت بالتنفيذ لنا وقلة المبالاة بنا، ثم مع هذا الترشح للخلافة فبأي حسب أو أي نسب وفيكم قال القائل :

أنتم خثار* الخشار* وليس خزكخيش*

أن كنتم من قريش تزوجوا في قريش

أن كنتم قبط مصر فذا التعاطي لايئيس.

أليس كانت أمك حمدونة الساحرة، وأبوك المجذوم، وجدك بواب حوثرة بن عباس، يفتل الحبال، ويخيط الحلفاء على باب داره فلعنك الله ولعن من أنشينا في الاستخدام بك، فيا ماجون ويامجذوم، ويا بن الكلب والكلبة، أقبل صاغراً».[1]

ومن نثره كتابه إلى ابن عمه سعيد بن المنذر وهو محاصر ابن حفصون حيث كتب له فيه» «مهما تحققت من غدر بني حفصون ومكرهم فزد فيه بصيرة وأثبت على تحقيقك، ومهما ظننت فصير ظنك تحقيقاً فإنهم شجرة نفاق أصلها وفروعها تسقى بماء واحد، فأهجر فيهم المنام والدعة فالعيون إليهم تنظر والأذان نحوهم تسمع فمتى انستنزلتهم من معقلهم من أغناك ذلك من مكابدة غيرهم».[2]

1-3- احترامه وتقديره للعلماء :

1 أخبار مجموعة . مصدر سابق ص ص138-139.

2 ابن سعيد 0مصدر سابق ص ص184-185.

*- لم نجد لها تفسير في القاموس.

اجتمع في دولة الناصر لدين الله خيرة الرجال في الفضل والعلم والأدأب واتساع الفهم مع المرؤة الظاهرة والسيرة الجميلة الحسنة، فقاموا بالإبداع في كل ما تناولوه، ونشروا العلم والثقافة في قرطبة بفضل ما كان لديهم من قدرة ومكانة علمية، ولهذا نالوا منه التقدير والاحترام، وقربهم إليه، وكان يجالسهم ويستمع إلى حديثهم وخاصة الشعراء حيث كان يجلهم، وينسجم معهم وينبسط إليهم، ومن بين الشعراء الذين قام بتقديرهم واحترامهم معلمةٌ وشاعرةُ أحمد بن محمد بن عبد ربه حيث يُعد من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على الأخبار ومن أهل العلم والأدب والشعر.[1]

ولصلته الوثيقة ومرافقته له أغلب الأحيان فإنه قام بمدح الخليفة عبد الرحمن الناصر بأبيات من الشعر عندما تولى الإمارة بعد وفاة جده حيث قال :

بَـــدَا الـــهـــلالُ جــديــداً   والمُـــلـــكُ غـــضٌّ جـــديـــدُ

يـــانِـــعـــمـــةَ اللهِ زِيـــدْي   إنْ كـــان فـيـكِ مــزيـــدُ.()

وقال في مديح الناصر لدين الله وقد خرج متصيداً أول ركوب له في خلافته إلى منية الجنة بشرقي قرطبة حيث قال :

شَمْسُ بَدَتْ مِنْ حِجَابِ المُلكِ أمْ قمرُ   أم برق مُدَجَّنةٍ يَعْشى لَهُ البَصَرُ.[2]

وقد مدح ابن عبد ربه الخليفة عبد الرحمن الناصر في أول غزوة له بعد توليه الإمارة وهي غزوة المنتلون* حيث قال :

فَصَلْت وَالنَّصرُ والتأييدُ جُنْدَ اكا   وَالعِزُّ أولاكَ والتمكينُ أُخْراكا

ورحمةُ اللهِ في الآفاق قد نُشِرتْ   والأرضُ تُبدي تباشيراً لمبد اكا

قد اكتستْ حُللاً من وَشْي زَهْرتها   كأنَّ زُخرفَها في الحُسنِ حا كاكا.().

ونظراً لما يمتاز به ابن عبد ربه من تميز في قرض الشعر وأداء وشهرة في الأدب، فقد أصبح من خاصية الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله ومن يحضرون جلساته باستمرار، ويرافقه في بعض غزواته، وخاصة أنه من الشعراء الذين يمتازون بشعر المديح

---

1 انظر، أخبار مجموعة 0مصدرسابق ،ص 137 ،وابن حيان0ج5، مصدر سابق ،ص 41، والحميدي. ،مصدر سابق ،ص 101، .

2 ابن حيان المقتبس في أخبار أهل الأندلس ،ج5، مصدر سابق ،ص 41.

*- اول غزوات الناصر لدين الله التي استرد فيها حصن المنتلون من سعيد ابن هديل.

حيث إنه مدح من قبله الأمراء محمد[1] والمنذر[2] وعبد الله[3].

ومن الشعراء الذين كانوا يمدحون الخليفة عبد الرحمن الناصر الشاعر أبي عثمان عبيد الله بن يحي بن إدريس حيث إن الخليفة غزا الروم في شهر رمضان وأدركه الفطر في بلاد العدو فلم يتودع وصمد إلى لقائهم وقد اجتمعوا فقال الشاعر يهني الخلافة:

يَهْنَي الخلافةَ سَعْيُ خَيْر إمام ... للهِ مَسْعاهُ وللإسلامِ

مَلْكٍ تَمكَّنَ في المكَارمِ والعُلي ... كتمكُّن الأروَاحِ في الأجْسَامِ().

وله في مديحة وقد ذهب معه يوماً في بعض نزهاته قائلاً :

دَعَانِي وأدْنَانِي إليهِ مُواكِباً ... كَمَا واكبَ البدرَ المُنيرَ سُهَاهُ

وخَاطَبني مِنْه أعزُّ مُخَاطبٍ ... وأعظمُ من يَسْمُو به شُرَفَاهُ

فأغْضَيت طَرْفِي عَنْ سَنَاهُ مهَابةً ... وأكبرَ طَرْفِي أنْ يَشيم سَنَاهُ.()

ومن الشعراء الذين مدحوا الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله الشاعر إسماعيل بن بدر حيث مدحه في أحد غزواته لحصون ابن حفصون في شعر له طويل حيث قال:

لَقَدْ عُقِدَتْ بالنَّصْرِ ألويَةُ بِهَا ... رأيْنَا نُشُورَ الخَلْقِ كَيْفَ يكونُ

يَسيرُ بِهَا جيشٌ إذا جاشَ أو جَفَتْ ... من الأرضِ أهضامُ لها وحُزُونُ

به يُونسُ القفرَ الذي كان موحشاً ... ويُوحشُ منه مُؤنسُ وقَطينُ* .()

وله مديح آخر للناصر لدين الله في غزواته إلى الجزيرة الخضراء وتنظيمه للجزيرة والنظر في مصالحها وتنظيم سواحلها حيث كانت فيه عدة من المراكب لابن حفصون فأخذها منه واستولى عليها وفيها يقول الشاعر إسماعيل:

1 الأمير محمد بن عبد الرحمن ،يكني ابا عبد الله تولي ،الإمارة بعد موت ابيه عبد الرحمن الأوسط سنة 230هـ/832م ،واستمر في الولاية الي شهر صفر 273هـ/875 ،الحميدي جذوة المقتبس ،ص ص 10-11.

2 الاميرالمندربن محمد ،يكني ابا الحكم تولي الإمارة بعد ابيه سنة 273هـ/875م وأستمر في الولاية سنتين ،وتوفي وهو محاصر لإبنحفصون (الحميدي جذوة المقتبس ،ص 11)

3 الأمير عبد الله بن محمد ،يكني أبا محمد ،تولي الإمارة بعد أخيه المنذر بن محمد عام 275هـ/877م واستمر فبالولاية الي سنة 300هـ 912م (الحميدي الجذوة ،ص 12)..

يَطْوِي المَراحِلَ إدلاجاً وتهجيرا　　مُشمّراً في رِضَى الرَّحمنِ تَشْميرا

بَدْرَ المُلوكِ الذي إشراقُ سُنّتهِ　　يَجْلو عن الدّينِ والدّنْيَا الدَّياجيرا

وَمَنْ قَضَى اللّهُ في ماضي شَبِيبَتِهِ　　ألاّ يَزالَ على الأعداءِ مَنصُورَا.[1]

ومن الشعراء الذين مدحوا الناصر لدين الله الشاعر ابن الجرز وهو عمر بن عثمان بن محمد ابن عمر بن حبيب بن عمر كان من أهل البلاغة والشعر وهو القائل في أمير المؤمنين

يا ابن الخَلائِفَ أنتَ الغيثُ منسكباً　　والليثُ في ملتظى الحَربِ المُزبَري

والثامنُ المُرتجى للمَشرِقَينِ معاً　　يُدينُ حَبكَ شَرَقِي وغَربِي

ويَرْتَجِيك شَامِي يَزِيدي　　ويَتّقيك عِراقي حُسَيْنِي.[1]

ومن الشعراء الذين عاصروا الخليفة عبد الرحمن الناصر وكانوا يمدحونه بأشعارهم ابن الأصفر وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله المكفوف القرشي وهو مؤدبُ بالقرآن والشعر والحديث والنحو، وله في أمير المؤمنين قصيدة والشاعر الأخر هو الحنيطي، وهو أبو حفص عمر بن يوسف شاعرٌ ومطبوعٌ ومجود، وأمتدح أمير المؤمنين بجملة قصائد، وكلهم لقوا حظوة عنده وتقديرأواحتراما.[1]

ومن مظاهرة تقديره للعلماء ومعرفة قدرهم عنده أنه قام باستدعاء العالم اللغوي الكبير الأديب أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي المعروف بالقالي لماله من صيت كبير في علوم اللغة والحامل لعدد كبير من الثقافات المختلفة، وقام باستقباله أحسن استقبال حيث كلف ولي عهده ابنه الحكم الثاني بذلك، وعند وصوله سنة (330هـ 942م)، أكرم الخليفة عبد الرحمن الناصر مورده، وبالغ في استقباله وأكرم مثواه، وأوسع عليه في الإنزال والإقطاع، حيث قدم له كل ما يريد من دعم مادي ومعنوي، وأصبح من جلساء الخليفة وخاصة عند استقباله لضيوفه وإقامة الاحتفالات الدينية في قصر الخلافة، فعادة ما كان أبو علي القالي ممن يقومون بإلقاء الخطب والكلمات في مثل هذه المناسبات،

---

1 – المصدر السابق ص ص303-305.

وبذلك صارت له منزلة كبيرة ومرموقة عنده، وبدأ يكلفه، ويخصه بعده مهمات وخاصة فيما يتعلق بالآداب والعلم حيث كلفه بتأديب أبنائه، وتقديم أفضل العلوم إليهم وخاصة ولي عهده وابنه الحكم الثاني.[1]

وكذلك نجد أن القاضي محمد بن عبد الله بن أبي عيسى لقي حظوة وتقديراً واحتراما من الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله لما امتاز به من العدل والصرامة في تنفيذ الحقوق، وإقامة الحدود والكشف عن الشهود، وله نصيب وافر من الآداب، وله دراية كاملة بالبلاغة، ونظراً لهذه الصفات المحمودة التي وجدها فيه ثم تقليده بعدة مهام غير مهمة القضاء في قرطبة إذ قام بإرساله في سفرات إلى كبار الأمراء، وحملة أمانات إلى الثغور والأطراف، بالإضافة إلى إدخال الجيوش إلى المناطق التي تجري عليها المعارك، وزاد تقدير ومحبة الخليفة له عندما قام بهذه الأشياء على أكمل وجه، ووجده خالصاً له وناصحا.[2]

وممن كان لهم تقدير واحترام كبير لديه القاضي أحمد بن بقي بن مخلد بن يزيد الفقيه لما تميز به من علم كبير وخاصة في الفقه بين قرنائه، مع رجاحة العقل ولأخلاق الكريمة والآداب اللطيفة مع بلاغة في اللسان، وهو أنيس في المجالس وكثير الحكايات وكان الخليفة يصفه بالصدق والتواضع ويمنحه ثقته ومعترف بحقه، وثم تقليده تصريف الصدقات والصلاة إلى جانب قضاء الجماعة بقرطبة حيث لم يقم بعزله منذ تولاه إلى أن توفى رحمة الله عليه.[3]

ومنهم منذر بن سعيد البلوطي قاضي قرطبة، يعد من المقربين لدى الخليفة الناصر لدين الله وممن يحضرون مجالسه وقد قام بتقديره والاعتزاز به عندما احتفل الناصر لدين الله بقدوم رسل صاحب القسطنطينية سنة(336هـ/948م)، حيث قام القاضي بإلقاء خطبته المشهورة التي بهرت القلوب حيث قال: «أما بعد حمداً لله والثناء عليه والتعداد لآلائه، والشكر لنعمائه، والصلاة على محمد صفية وخاتم أنبيائه، فإن لكل حادثة مقاماً، ولكل مقام مقالاً، وليس بعد الحق إلاالضلال، وأني قد قمت في مقام كريم بين يدي ملك عظيم فأصغوا إلى معشر الملأ بأسماعكم وأيقنوا عني بأفئدتكم إن من الحق أن يقال للحق صدقت، وللمبطل كذبت، وأن الجليل تعالى في أسمائه، وتقدس

1 – ينظر، الزبيدي ،طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص188، وابن الفرضي، ج1 ،مصدر سابق، ص 139م،والحميدي، مصدر سابق ص 165 ،والضبي ،مصدر سابق ،ص 217، وابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج1، مصدر سابق ،ص 227.

2 – ينظر، الخشني، ،مصدر سابق ،ص ص118–119 ،والشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي، تاريخ قضاه الأندلس ،مصدر سابق ،ص ص59–60.

3 – ينظر، الخشني ،مصدر سابق ،ص ص111–112 ،وابن الفرضي ،ج1، مصدر سابق ،ص 80 ،وأبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي، تاريخ قضاة الأندلس، بيروت، د ت، ،ص ص63–65.

بصفاته وأسمائه، مر كليمه موسى عليه الصلاة والسلام وعلى جميع أنبيائه أن يذكر قومه بأيام الله عندهم وفيه وفي محمد رسول الله ﷺ إسوة حسنة، وأني أذكرهم بأيام الله عندكم وتلاقيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي لمت شعثكم بعد أن كنتم قليلاً، فكثرتكم ومستضعفين فقواكم ومستدلين فنصركم".[1]

من ذلك الوقت بدأ في نظره من العلماء الكبار الذين يمتازون بعلم كثير، وأصبح من خاصيته، ورفع من ذكره، واستخلصه لنفسه وولاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء، ثم ولاه قضاء الجماعة بقرطبة، ويتصف بإقامة العدل والحق وإزهاق الجور والباطل، آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، ومن تقدير واحترام الناصر لدين الله له أنه لم يفعل به شيئاً ولم يقم بمعاقبته علي الرغم من أنه قادر آن يقتله، أو على أقل تقدير آن يفصله من منصبه ويسجنه، ولكن لم يفعل شيئاً من هذا، وإنما أبقاه كما هو عليه وذلك عندما خطب، وقال في خطبته إنكم تقومون ببناء أشياء ذات مقام عالٍ وآيةً من آيات الجمال، أنكم تتفاخرون بها وتعبثون بها فتحرك الناس لذلك وعلم الناصر أنه عّرض به.[2]

وقال القاضي المنذر بن سعيد آيةً من آيات الكتاب المبين للتدليل على ما قاله، قال تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾[3].

وفي موقف آخر معه حيث صار حديث ومناقشة بين الخليفة عبد الرحمن الناصر والقاضي منذر بن سعيد حول إنكاره عليه الإسراف في البناء، حيث قال له إن الشيطان تمكن منك وأنزلك منازل الكافرين، ولقد انفعل الخليفة من هذا الكلام وقال له: انظر ما تقول وكيف أنزلتني منزلتهم؟ فبرر له ذلك بآيات من القرآن الكريم، وأيضا لم يقم بقتله أو سجنه أو إقصائه عن منصبه، وإنما قال له جزاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيراً، وعن الدين والمسلمين أجمل جزائه، ولهذا نجد أنه قدره واحترمه لعلمه وتفقهه في الدين[4].

والى جانب تقديره واحترامه للعلماء المسلمين، فإنه أيضاً قام باحترام العلماء من الملل الأخرى، وفي نظره كلهم سواسية، ولهذا نجده قام بتقدير العالم يحي بن إسحاق الذي يدين بالنصرانية وقربه إليه، وكان إسحاق ذكياً عالماً بصيراً بالعلاج صانعاً بيده

1 - أبو الحسن النباهي ،المصدر السابق ،ص ص66-67.

2 - ينظر، الخشني . ،مصدر سابق ،ص 120 ،وابن الفرضي،،ج2،مصدر سابق ،ص 845، وعبد الواحد المراكشي، ،مصدر سابق ،ص ص55-56 ،وابن سعيد ،، مصدر سابق ،ص 183 ،وشهاب الدين أحمد محمد المقري التلمساني ،ازدهار الرياض في اخبار عياض ،تح مصطفي السقا وأخرين ،القاهرة 1940م ،ص277

3 - سورة الشعراء، الآية 128.

4 - أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ،،مصدر سابق ،ص ص3-4-5.

ووصل إلى مرتبة عليا في دولته وهي مرتبة وزير، وهي من المراتب الجليلة في الدولة، ونال عنده حظوة وشهرة كبيرة، وكان يثق فيه كثيراً ويخصه بخصوصيات، وينزله منزلة كبيرة، حتى كان يطلع على الكرائم والحرم، وولاه الولايات والعمالات وكان قائد بطليوس زماناً، وأصبح من المستشارين له، وواعتنق الدين الإسلامي في عهده على الرغم من أن أباه نصرانيُ، وكذلك كان للطبيب الإسرائيلي حسداي بن إسحاق حظوة لدى الخليفة وكان ممن يحضرون مجلسه الخاص حيث خدمه بالطب هو وأفراد أسرته.[1]

وكان ممن يحضرون مجالسه الطبيب عمران بن أبي عمر حيث كان الخليفة يصله ويمن عليه ويغدقه بالأموال والهدايا، وكذلك الطبيب محمد بن تمليح فإن له حظوة وتقدير كبير من جانب الخليفة، حيث خدمه بالطب، ولتقديره له ولاه خطة الرد وقضاء شذونة، وإنه مؤتمنُ على تفريق الصدقات.[2]

ونظراً لما لقيه هؤلاء العلماء في جميع التخصصات العلمية من تقدير واحترام ودعم مادي ومعنوي من طرف الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، فإنهم لم يتقاعسوا عن أداء مهامهم، وإنما عملوا كلما في وسعهم من أجل النهوض بالثقافة والعلم في عصره، والثناء عليه في كل المجالس العلمية والأدبية، وفي المناسبات الكثيرة التي يقيمها احتفالاً باستقبال الوفود التي تأتي إليه من كل صوب من أجل كسب وده، وفي سبيل المهادنة والسلم والعمل على فعل ما يرضيه، وكذلك في المناسبات الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى، وكذلك عندما يأتي من غزوة منتصراً فيها على الأعداء، ولهذا يقوم فحول الشعراء وأمراء الكلام بمدحه، وذلك استثارة لجوده وتدرعاً إلى تكريمه، وتوسعوا في ذكر عدالته وسيرته الحسنة وسماحة كفه وشجاعة قلبه وجزالة رأيه وثقوب فهمه ونفوذ عزمه وبصره في تدبير حروبه، وتكريم الأفعال التي يقوم بها وتفخير شؤونه وتعظيم اثارة، وبذلك كان خير راع وكانوا خير رعية.[3]

وللخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله دور كبير وفعال في انتشار الثقافة والعلم في قرطبة في فترة حكمه، وتنوعت الثقافات وانتشرت العلوم في مختلف الضروب والاتجاهات.

---

1 - ينظر، ابن جلجل ،مصدر سابق ،ص ص98،100،108 ،وصاعد الأندلس ،مصدر سابق ،ص 187-203 ،وأبو الوليد إسماعيل الحميري الأشبيلي - البديع في وصف الربيع ،تح عبد الله عبد الرحيم عسلان ،دار المدني المدينة المنورة 1987م ،ص 36-100.

2 - ابن جلجل، مصدر سابق، ص ص98،108.

3 - ينظر أخبار مجموعة، مصدر سابق ،ص 142، وابن حيان ،ج2، مصدر سابق ،ص 40، ومحمد علي بن احمد الأندلس ،مصدر سابق ،ص 100 ،والحميدي ،مصدر سابق ،ص ص12-13، والضبي . مصدر سابق ،ص 17، وابن عذاري المراكشي، مصدر سابق، ص 172 ،وعبد الرحمن ابن خلدون تاريخ العلامة ابن خلدون ،ج4،مصدرسابق ،ص 299.

1-4- تشجيعه للعلم :

بعد أن استطاع الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله بسط الطمأنينة والأمن، وأصبح الناس يعيشون في أمان، وحصلوا على النماء والسعادة، حيث أصبحت الدولة في عملية توسع في الخيرات والازدهار الاقتصادي والعدل فبدأ بالتطلع إلى العلم ونشر الثقافة بعد أن عرف فضله، واطلاعه على بعض العلوم وخاصة العلوم الدينية واللغوية بعد أن درسها على مؤدبين أجلاء لهم دراية بالعلوم، ولهذا حرص كل الحرص على أن يجعل من حاضرته حاضرة من الحواضر الإسلامية، لا تقل أهمية عن سائر الحواضر الإسلامية كبغداد ودمشق والقاهرة وفاس والقيروان، وبذلك أصبحت قرطبة في عهده محط رحال طلاب العلم ورواد الثقافة والعلماء في مختلف العلوم من فقه وحديث وتفسير وآداب ولغويات وطب وحساب وفلك وفلسفة، وشجع على ازدهارها بكل ما يملك من وسائل الترغيب سواء بالتشجيع المادي أو المعنوي، وتهيئة أماكن للدراسة كالمدارس والكتاتيب والمكتبات، وبذلك تتابعت الخيرات في أيامه ودخلت الكتب من كل حواضر الدولة الإسلامية، وفاقت الهمم وظهر الناس ممن كان في صدر دولته من الأطباء والأدباء والشعراء المشهورين.[1]

ومن بوادر تشجيعه للثقافة والعلم، فإنه لما ورد عليه في قرطبة رسل ملك القسطنطينية سنة (337هـ/949م)، قاموا بإعطائه هدية مرسلة إليه من ملكهم، وهي هدية لها قدر وشأن عظيم تتألف من كتابين أحدهما كتاب (ديسقوريدس) فيه صور لعدد كبير من انواع النبات التي تتكون منها أسماء العقاقير الطبية، وهو مكتوب باللغة الإغريقية، والكتاب الآخر هو كتاب (هورشيس) صاحب القصص، وهو كتاب عجيب لتاريخ الروم، فيه أخبار العصور القديمة وقصص الملوك، ومن ضمن ما كتبه الملك للناصر لدين الله في كتابه إن هذا الكتاب لا تجتني فائدته إلا برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني، ويعرف شرح تلك الأدوية التي يحتويها، ولكن في تلك الفترة لا يوجد في قرطبة من يحسن ذلك، وبقي الكتاب في خزانته ونظراً لحبه للعلم وتشجيعه له فإنه لم يصبرعلى بقاء هذا الكتاب دون جني فائدته والإفادة منه، فبعث برسالة إلى ملك الروم وطلب منه أن يبعث لهم من يقوم بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية، ولبى الملك رغبة الخليفة فبعث إليه براهب يسمي (نقولا) فوصل إلى قرطبة سنة (340هـ/952م)، وقام باستخراج ما جهل من أسماء عقاقير كتاب(ديسقوريدس) من اليوناني إلى اللغة العربية، ولتعم الفائدة من معرفة المجهول من هذا الكتاب، وأن أكثرهم وأحرصهم على ذلك من وجهة التقرب إلى الخليفة عبد الرحمن

---

1 ينظر، الخشني ،مصدر سابق ،ص 1 ، وابن جلجل ،مصدر سابق ،ص 98، وابن حيان ،ج5،مصدر سابق ،ص 23.

الناصر لدين الله الطبيب حسداي بن سبروط الإسرائيلي وكان (نقولاً) الراهب عنده أحظى الناس وأخصهم به، وفسر من أسماء عقاقير هذا الكتاب ما كان مجهولاً منه، وإلى جانب الطبيب حسداي الإسرائيلي التف حوله كثيرٌ من الأطباء بقرطبة المتعطشين إلى معرفة ما به من أسماء العقاقير الطبية، وهم الطبيب محمد المعروف بالشجار ورجل كان يعرف بالبسباسي وأبو عثمان الجزار ومحمد بن سعيد وعبد الرحمن بن إسحاق بن هيثم، وأبو عبد الله الصقلبي الذي له دراية باللغة اليونانية ويعرف أنواع الأدوية، وبذلك تمت الفائدة بمعرفة الكثير من المعلومات الطبية التي كانت مجهولة، وإن دل هذ اعلى شيء إنما يدل على إصرار وتشجيع الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله للعلم والثقافة.[1]

ولتشجيعه للعلم والثقافة فإنه انتشر في عهده علوم الأوائل مثل الحساب وعلم النجوم والمنطق والهندسة، وبرع علماء أجلاء في هذه العلوم، ولم يقم بمحاربتهم وإنما أعطاهم حرية الفكر والبحث في هذه العلوم، أضف إلى ذلك فإنه لم يكن متشبثاً ومتمسكاً بالمذهب المالكي على الرغم من أنه يتبع هذا المذهب هو والغالبية العظمى من سكان قرطبة، وإنما أعطى وشجع على البحث في المذاهب الأخرى، حيث اتبع كثير من الناس المذاهب وتركوا التقليد والميل بالقول بالظاهر، ويقوم بعضهم بالفتية في الأحكام على المذهب الشافعي، والميل إلى النظر والحجة وبعضهم انتهج التصوف أي الزهد في الحياة، وبذلك اختلفت المذاهب في قرطبة وأصبحت تضم علماء وفقهاء أجلاء فيها اتبعوا هذه المذاهب من دون أن يطالبهم بأي سوء وإنما شجع الناصر الحرية الدينية في البلاد، وبذلك كان عبد الرحمن الناصر لدين الله عوناً ونصيراً لعلماء الأندلس في تشجيعهم للعلم، وازدهار الثقافة وتنوعها وبذلك عم العلم معظم ضواحي قرطبة، وأصبح أبناؤها ينهلون العلم وصارت الثقافة لها طعم خاص بها، وعمل أصحابها في حرية كاملة ولقوا وتحصلوا على كلما يحتاجونه لنشر الثقافة والعلم.[2]

ثانيا: الحكم المستنصر بالله ودوره في ازدهار الثقافة في قرطبة:

الحكم الثاني: هو الخليفة الثاني في الدولة الأموية بالأندلس، تولى الخلافة في دولة ذات حكومة هادئة مطمئنة منظمة أقام دعائمها والده فجرى على نفس النظام في تسييره

---

1 ينظر. ابن الفرضي،.ج1 ،مصدر سابق ،ص 89،المصدر نفسه ،ج2، ص 913، وصاعد الأندلس ،مصدر سابق ،ص 203، ابن أبي أصيبعة . طبقات الأطباء ج3،ط4، دار الثقافة بيروت 1987م ،ص ص75-76-77.

295 وابن الفرضي،.ج1 مصدر سابق ،ص ص44-80-

للخلافة، أضف إلى ذلك أنه ورث عن والده ثروة هائلة من الأموال كانت من أسباب ازدهار الثقافة والعلوم في قرطبة، ويتميز بعدة أشياء منها حسن السيرة والسلوك، كثير الصدقات رفيق بالرعية، صافي السريرة، فاضل عادل متسامح، وعظيم الصيت رفيع القدر محب للعلم، وكونه عالماً فقيهاً في المذاهب وعالماً بالأنساب والتواريخ، استحكمت بصيرته وسدده الله في حفظ الثقافة والعلوم ومطالعة الأخبار وتقييد الآثار والإشارة بفضائل السلف والتقليد لمناقب الخلف والتذكير بالأخبار المنسية من الأنباء، والإشارة إلى الساكن من القصص وبخاصة ما كان منه قديمة وحديثة، مما جعل الله ذلك سبباً قوياً لحياة القلوب، وعلة ظاهرة لنباهة النفوس، فتحرك أهل العلم بما حركهم إليه الخليفة، فقاموا باستحفاظ ما أضاعوا من غزارة الأخبار وسجلوا ما أهملوا من عيون المعارف[1]

2-1- أساتذته:

يختلف الخلفاء عن عامة الناس في تلقين وتعليم أبنائهم في مختلف ضروب العلم، فكانوا يأتون بالمؤدبين إلى قصورهم بدلاً من ذهابهم إلى الجهات العامة للتعلم فيها وبهذا ينالون أفضل تعليم من أفضل العلماء، وبذلك يقوم الخلفاء بوضع العلماء في غرف خاصة يعلمون فيها أبناء الخلفاء، أما المواد الدراسية التي تدرس للأمراء فعادة ما يحرص الخليفة على أن ينال أبناؤه كل ضروب العلم والمعرفة سواء في مجال العلوم الإنسانية بمختلف فروعها الدينية واللغوية والتاريخ والجغرافيا، أم في العلوم التطبيقية، ويسلك الخلفاء عادة هذا السلوك لتمييز أبنائهم عن أبناء العامة في تدريبهم وتحصيلهم العلمي نظراً لرغبتهم في إعدادهم إعداداً خاصاً يتناسب مع الأهداف والمسؤوليات التي سوف تلقى على عاتقهم في حياتهم المستقبلية، فعادة هم مرشحون لأن يخلف أحدهم أباه في إدارة دفة الحكم في البلاد، وتولي منصب الخلافة فلابد له من الاطلاع على بعض العلوم التي يجهلها الآخرون من عامة الناس وفهمها في أقصر مدة ممكنة، وتوجد بعض المواد منع الخلفاء عامة الشعب دراستها والنظر فيها لا من قريب ولا من بعيد وحرصوا على تدريسها لأبنائهم في القصور مثل علوم الفلسفة والتنجيم والفلك.[2]

انطلاقا من هذا الفهم لطريقة تدريس أبناء الخلفاء نستطيع القول إن الحكم المستنصر

---

1 - ينظر، الخشني، مصدر ساق، ص 107 ،وابن عذاري المراكشي، مصدر سابق ص 233. وابن حوقل ، ،مصدر سابق، 107، وابن عذاري المراكشي، ،مصدر سابق، ص233، وابن الآبار ،،مصدر سابق، ص 200، والضبي، مصدر سابق ، ص 190 لسان الدين الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج1 ،مصدر سابق، ص 478 ،وأبو الفلاح عبد الحي عماد الحنبلي، مصدر سابق ص 32 ،

2 - ينظر– الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين مصدر سابق، ص255، وابن الفرضي، ج1 . مصدر سابق، ص345، وابن حيان، المقتبس، تح علي الحجي، مصدر سابق، ص133 .

بالله قد درس على يد نخبة من العلماء الأندلسيين والمشارقة منهم من أحضرهم الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله لتأديبه، ومنهم من قام بإحضاره بنفسه إلى قصر الخلافة وأفاد منهم في مختلف ضروب العلم والمعرفة، وبذلك فإنه أخذ العلم على يد كثير من العلماء في أحد قاعات قصر الخلافة، وكانوا من النخبة الممتازة في التدريس منهم قاسم بن أصبغ، الذي كان بصيراً بالحديث والرجال، نبيلاً في النحو والغريب والشعر، ومحمد بن إسماعيل النحوي المعروف بالحكيم، وهو من أهل قرطبة ويكنى أبا عبد الله، كان عالماً بالنحو والحساب دقيق النظر مثيراً للمعاني ومحمد بن يحي بن عبد السلام الأزدي النحوي المعروف بالرباحي، وكان الغالب على علمه العربية وفقيها إماماً موثوقاً جيد النظر دقيق الاستنباط حاذقا بالقياس، وهشام بن الوليد بن محمد بن عبد الجبار بن هشام الغافقي، وهو عروضي ونحويٌ وأحمد بن دحيم ومحمد بن عبد السلام الخشني، وعثمان بن نصر المصحفي وزكريا بن خطاب الذي أكثر الأخذ عنه، كما أجاز له ثابت بن قاسم، والى جانب هؤلاء تثقف على أبي علي القالي البغدادي عندما وفد إلى قرطبة وأفاد منه كثيراً، ويعد أستاذه الذي ثقف عقله بالعلوم والمعارف وبث في نفسه حب العلم،

وأخذ وتلمذ على يد كثير من العلماء الآخرين إلى جانب هؤلاء العلماء الذين ذكرتهم، وأيضا اعتمد الحكم كثيراً على تثقيف نفسه إذ أصبح كثير القراءة والاطلاع على المصنفات من أمهات الكتب التي أصبحت مكتبته تزخر بها، وصار ذا غرام بها حتى أثرت عليه تأثيراً كبيراً وأصبح بعد فترة من الزمن ملماً بشتى المعارف والعلوم دقيق النظر في أصولها وفروعها.[1]

2-2- منزلته العلمية:

كان الحكم المستنصر بالله منذ أن بدأ حياته وهو صغير رغبة كبيرة في التعليم وله حب شديد للعلم والثقافة، وكان واسع الاطلاع، ولم يكن في بني أمية أعظم همة ولا أجل رتبة في العلوم وغوامض الفنون منه، ومنذ أيام أبيه انتدب إلى العناية بالعلوم، واستجلب من الأقطار الإسلامية عيون التواليف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة وجمعها في حياة أبيه، ثم أيام حكمه، ورغم اشتغاله بدفة الحكم في البلاد، استطاع أن يتبوأ منزلة علمية رفيعة بين علماء الأندلس، ولقد شهد له بها من عاصره من علماء قرطبة في

1 ينظر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين ،مصدر سابق ،ص 284، وابن الفرضي، ج1، مصدر سابق ،ص 90، وابن الفرضي، ج2، مصدر سابق ، ص ص611--612 613 707--736-891-829، وابن عذاري، ،مصدر سابق، ص 254، وعبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 59 ،وأحمد المقري التلمساني ،نفح الطيب . ج1 ،مصدر سابق، ص ص385، 386 394—395 .

زمانه ومن جاء بعدهم من العلماء، وخاصة الذين اطلعوا على كتاباته وتعليقاته وذلك دون اعتبار لمنصب أو جاه وأجمعوا بالدليل القاطع والبرهان أنه كان عالماً بالرجال والأخبار والأنساب، وإلى جانب ذلك فهو ذو أمانة علمية وثقة في ما ينقله، وكان نظاراً للكتب كثير التعليق عليها، وقلما وجد كتاب في خزائنه إلا وفيه قراءته وتعليقاته عليه ويكتب فيه بخط يده أما في أوله أوفي آخره ، ونسب المؤلف ومولده ووفاته والتعريف به وتذكير أنساب الرواة له، ويأتي من ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلا عنده لكثرة مطالعته وعنايته بهذا الفن، وكان موثوقاً به مأموناً عليه حتى صار كل ما كتبه حجة عند شيوخ أهل الأندلس وأئمتهم ينقلونه عن خطه، وقد اجتمع لابن الأبار من ذلك جزء مفيد مما وجد بخطه، وكون ابن الأبار من ذلك جزء يشتمل على فوائد كثيرة من تصحيحاته وتعليقاته، وكان قد قيد كثيراً من أنساب أهل الأندلس، وكلف أهل كورها أن يلحقوا كل عربي أخمل ذكره قبل ولايته، وأن يصحح نسبهم أهل المعرفة بذلك، وأشار الحميدي في بعض ما نقل إلى آخر ما رأى بخط المستنصر بالله، وعد أن خطه حجة عند أهل العلم بقرطبة خاصة والأندلس عامة، ونرى أنه كان يجب على كل المؤرخين لعلماء الأندلس ممن عاصرو الخليفة الحكم أو جاءوا بعده أن يعتمدوا ملاحظاته وتعليقاته المتعلقة بأنساب الرجال وقبائلهم وتاريخ ولادتهم ووفاتهم، وقد أشاد ابن حيان القرطبي شيخ مؤرخي الأندلس، وقد عاش قريباً من عصر الخليفة، بصفات الحكم العلمية، وتقدمه في العلوم الشرعية، وعنايته بتحقيق الأنساب، وتأليف قبائل العرب، واستدعاء رواة الحديث من جميع الآفاق، وإيثار مجالس العلماء، ويقول في دهشة وإعجاب إنه لم يسمع في الإسلام خليفة بلغ مبلغ الحكم المستنصر في اقتناء الكتب والدواوين والاهتمام بالعلم والتنويه بأهله وترغيب الناس في طلبه.[1]

2-3- ميوله الأدبية :

الإنسان يشعر أحياناً بأشياء تجول في خاطره وتمر به لحظات تفيض فيها شاعريته بعدة أبيات من الشعر يعبر من خلالها عما يختلج في صدره من متاعب الحياة وما فيها من سرور وأحزان وشوق وغربة، وهكذا الخليفة الحكم المستنصر بالله، وعلى الرغم من أنه يملك زمام الأمور في الأندلس، وهو الآمر الناهي، وتحت تصرفه كل شئ، ويستطيع أن يحصل علي كل شئ بكل يسر، فإنه تحصل له مواقف تجعله يصبح كعامة الناس يشعر بالحزن والأسى والفرح والسرور، والفراق والشوق مما جعله في بعض المناسبات ناطقاً

1 - ينظر، صاعد الاندلس،، مصدر سابق، ص ص62-63، والضبي . مصدر سابق ،ص ص18-19 وابن الآبار. مصدر سابق ،ص ص202-203-204، والحميدي. مصدر سابق ،ص 94. وأبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، مصدر سابق ،ص 56 ،ولسان الذين ابن الخطيب ،الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج1 ،مصدر سابق ،ص 486 .

للشعر بدون إرادة ومنها قوله متشوقاً لزوجه صبح البشكنسية لما خرج لغزوته الفذة المعروفة في التاريخ بغزوة شنتاشتين (Sanestebandelmall) فأكثر من التعلق بها والوله لفراقها، وكان شديد التعلق بها لا يحب فراقها والغياب عنها وهو في قصره، فكيف يفارقها وهو ذاهب لساحة الوغى والحرب، فتأثر بذلك الموقف ونطق بأبيات شعر رقيقة صور خلالها مشاعره وأحاسيسه تجاهها حيث قال :

عَجِبْتُ وَقَدْ ودَّعْتُها كيف لم أمُتوَكَيْف انْثَنَتْ عِنْدَ الفِراقَ يَدِي مَعِي

فَيَا مُقْلتِي العَبْرَي عليها اسْكُبِيدماً ويَا كَبِدِي الَحرَّي عليها تقطَّعي

ومن شعره أيضاً في مناسبة أخرى

إلى اللهِ أشْكو من شمائل مُتْرَفٍ	عليَّ ظلومٍ لايَدِينُ بمَا دِنْتُ
نَأتْ عنه دَارِي فاستزادَ صُدُودَهُ	وإنيَ على وَجْدي القديم كَما كُنْتُ
ولو كُنْت أدري أنَّ شَوْقِي بالغُ	منَ الوجْدِ مَا بُلِّغْتُهُ لم أكُنميت.[1]

أما من ناحية نثره فعلى الرغم من أن الأمراء والخلفاء في الأندلس لهم كتابُ يتولون كتابة الرسائل إلى المناطق والمدن داخل الأندلس وخارجها حتى يتفرغوا إلى الأعمال الجسيمة المناطة بهم في مسيرة الحكم، وانشغالهم بالرعية وتوجيه السياسة الداخلية والخارجية على أكمل وجه، فإن الخليفة الحكم قام بإرسال رسالة عندما كان ولياً للعهد إلى الفقيه إبراهيم إسحاق المالكي يطلب منه فيها ذكر الأسباب التي أدت إلى تخلفه عن حفل أقامه الناصر لدين الله في قصره، وجاء في الرسالة: «بسم الله الله الرحمن الرحيم ! حفظك الله وتولاك، وسددك ورعاك، لما امتحن أمير المؤمنين مولاي وسيدي أبقاه الله الأولياء الذين يستعد بهم وجدك متقدماً في الولاية، متأخرا عن الصلة على أنه قد أنذرك أبقاه الله خصوصاً للمشاركة في السرور الذي كان عنده، لا أعدمه الله توالى المرة، ثم أنذرت من قبل إبلاغاً في التكرمة، فكان منك على ذلك كله من التخلف ما ضاقت عليك فيه المعذرة، واستبلغ أمير المؤمنين في إنكاره ومعاتبتك عليه، فأعيت عليك عنه الحجة فعرفني أكرمك الله ما العذر الذي أوجبت وقفك عن إجابة دعوته، ومشاهدة السرور الذي سر به ورغب المشاركة فيه لنعرفه – أبقاه الله بذلك فتسكن نفسه العزيزة إليه إن شاء الله تعالى).[2]

1 ينظر، ابن الآبار ،الحلة السيراء ،ج1 ،مصدر سابق ،ص 204، وعبد الواحد المراكشي ،l،مصدر سابق ،ص 43.
2 ينظر، ابن حيان ،المقتبس في أخبار بلد الأندلس ،تح علي الحجي ،مصدر سابق ،أحمد المقري التلمساني ،نفح الطيب،ج1 ،مصدر سابق ،ص 376.

4-2- تشجيع الخليفة الحكم لأبناء الأندلس على طلب العلم:

أثبتت الشواهد التاريخية على أن الحكم وخاصة في الفترة التي قضاها خليفة للدولة في قرطبة، لم يذخر جهداً من أجل تشجيع أبناء قرطبة على نيل العلم في جميع فروع المعرفة، ومن مواقفة في تشجيع العلم أنه أقام مجانية التعليم وخاصة في مرحلة الكتاتيب، حيث عمل على إنشاء مجموعة كبيرة منها حول قرطبة أشبه ما تكون بالمدارس الابتدائية في يومنا هذا وعمل على أن يكون التعليم مجاناً لأولاد الفقراء، وتعهد بالانفاق عليها وتزويدها بكل ما تحتاج إليه من نفقات كأجرة المؤدبين والطعام الذي يقدم إلى الطلبة خلال تلقيهم للدروس، وقد بلغ عدد هذه الكتاتيب التي أنشأها لتعليم أولاد الأندلس بقرطبة حوالي سبعاً وعشرين مدرسة موزعة على أنحائها، فيها ثلاثة حول المسجد الجامع، والباقية فرقها على معظم نواحي وأرباض قرطبة، وقد قام باختيار أفضل المؤدبين ليقوموا بتعليم هؤلاء الطلبة، والتزم بدفع رواتبهم كاملة وتشجيعهم على البذل والعطاء والتفاني والنصح والأمانة في تعليمهم. وكانت رواتب المدرسين يتحصلون عليها من وقف الضياع وحوانيت السراجين بسوق قرطبة التي حبسها الخليفة الحكم المستنصر بالله لهذا الغرض، وأشهد القاضي محمد بن إسحاق في هذا التحبيس يوم الجمعة سبعة من جمادي الأول(364هـ/974م).[1]

يتضح لنا من هذه الأعمال التي قام بها الخليفة الحكم المستنصر من أجل النهوض بالعلم والثقافة، أن للدولة تدخلاً مباشراً في العملية التعليمية في البلاد، والحكم هو أول حاكم أندلسي يقر بمجانية التعليم بها، حيث كان أسلافه يدرس في عهدهم الطلبة كافة العلوم بأجرة، ونظراً لهذه الأعمال الخيرية التي قام بها الحكم الثاني من أجل التعليم، بدأ الإقبال الشديد على طلب العلم بين أبناء الأندلس في قرطبة خاصة الفقراء والمحتاجين الذين لا يستطيعون دفع الأجرة للمعلمين، مما أدى إلى انتشار وانتعاش الحركة العلمية وتطورها بين الصبيان، فهذه المرحلة يكون الصبيان قد تحصلوا على تعليم متقدم، وأتقنوا القراءة والكتابة وحفظ أجزاء من القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية ومبادئ النحو مما يؤهلهم إلى مرحلة متقدمة من العلم، ونبغ كثير من هؤلاء الصبيان، وأصبح عدد كثير منهم علماء في جانب من جوانب العلم وازدهرت بهم الثقافة حتى صار لمدينتهم صيت علمي كبير بين الحواضر الإسلامية، واجتذبت إليها كثيراً من الطلبة وخاصة من المدن المجاورة، وكان

1 ينظر. ابن عذاري المراكشي. مصدر سابق ،ص ص 240--241، 249 .وأحمد المقري التلمساني ،نفح الطيب ،ج1، مصدر سابق ،ص 220، وخوليان ريبيرا ،، مرجع سابق ،ص ص13-15 .

الفضل لله أولاً ثم للخليفة الحكم المستنصر بالله الذي حمل لواء هذا العمل الخيري، وذلك بالإنفاق على هذه المدارس والكتاتيب التي يتعلم فيها الصبيان، وإلى جانب الكتاتيب عمل الحكم المستنصر بالله على نشر التعليم بين عامة الناس بالمساجد، وخاصة المسجد الجامع بقرطبة ومسجد الزهراء، حيث ثم استدعاء عدد كبير من المؤدبين المشهود لهم بالعلم بين الناس لإلقاء محاضرات ودروس للعامة بالمساجد المذكورة حتى يستفيد عدد كبير من الناس من علمهم، وخاصة في المجالات الدينية والأدبية واللغوية، ومنهم النحوي أبوبكر الزبيدي الذي كان يلقي دروساً في علم النحو، ويوجد عدد كبير من الناس في حلقته، وعلي بن معاذ بن سمعان الرعيني، حيث تم استدعاؤه من مدينة باجة (Beja)، وألقى عدة محاضرات في مسجد الزهراء إلى جانب قيامه بإعطاء دروس للحكم المستنصر بالله نفسه، وأبو علي القالي البغدادي، جلس في مسجد الزهراء ومسجد قرطبة، وألقى محاضرات على الطلاب من كتابه المشهور الأمالي في المسجد الجامع بالزهراء، والشيخ الجليل يحي بن عبد الله بن يحي الليثي أرفع مسندي الحديث بقرطبة في عصره الذي ألقى عدة محاضرات في المسجد الجامع بالزهراء، والفقيه أحمد بن يوسف الملقب بالقسطلي الذي كان عالماً بالفقه، وأبوبكر بن أبي عيسى الذي كان متقدماً في علم الهندسة والنجوم، وكان يجلس ليعلم علمه ويلقنه للطلبة الموجودين في حلقته، وأبو القاسم أحمد بن محمد أحمد العدوي. ويوجد في هذه الحلقات العلمية إلى جانب العامة من الناس من أهل قرطبة بعض صفوة الخاصة من أهلها كأبناء أصحاب المعالي وكبار القواد والشخصيات التي لها صيت في المجتمع القرطبي وأدركت تماماً مدى أهمية هذه المحاضرات وما بها من قيمة وفائدة علمية وثقافية، وما كان لهذه الحلقات أن تعقد، ولهذا الحضور الزاخر للعلماء أن يتوافر إليها، ويجد الطلبة عندهم العلوم المختلفة لولا الجهود المضنية الجبارة التي قام بها الخليفة الحكم الثاني في مجال نشر الثقافة والعلم في قرطبة، التي نهضت علمياً في شتي العلوم والميادين، وتألق فيها علماء في كل فروعها التي تمثل الثقافة في ذلك الوقت، والدليل على ذلك هو وفرة العلماء والمؤلفات في أغلب فروع المعرفة تلك الوفرة التي لم تعرفها الأندلس من قبل، والتي اتضحت من خلالها الشخصية العلمية لها واستقلالها إلى حد كبير واعتمادها على علمائها في مختلف ضروب الثقافة والعلم.[1]

---

1 ينظر، أبو علي القالي البغدادي. كتاب الأمالي ،ج1. دار الأفاق الجديدة، بيروت. د ت ،ص 3،وأبوبكر الزبيدي ،طبقات النحويين واللغويين. مصدر سابق ،ص 314، وابن الفرضي ،ج1، مصدر سابق ،ص93، وابن حيان .المقتبس في أخبار بلد الأندلس .تح علي الحجي ،مصدر سابق، ص ص76-77، وصاعد الأندلس . ،مصدر سابق ،ص ص162-166-191، وعبد الواحد المراكشي ،مصدر سابق ،ص 60،وابن الا ثير ،مصدر سابق ،677، وأحمد المقري التلمساني ،نفح الطيب ،ج3، مصدر سابق ،ص 74.

ويبدو لنا أن الأعمال والجهود المضنية الجبارة التي قام بها الحكم الثاني من أجل نشر العلم والثقافة في قرطبة ناتجاً عن أمرين، الأول هو محبته وتقديسه للثقافة والعلم، والثاني وضع حاضرته قرطبة بين الحواضر الإسلامية ثقافة وعلماً بحيث ينافس بها حكام الشرق وقد عبر عن هذه الرغبة صراحة في معرض ثنائه على خالد بن سعد قائلاً: «إذا فاخرنا أهل الشرق يحي بن معين فاخرناهم بخالد بن سعد».

2-5- مكتبة الحكم:

يمتاز عصر الحكم بإنشاء المكتبة الأموية العظيمة التي بصفاتها وتنوع محتوياتها، تعد من أعظم مكتبات العصور الوسطي، ويرجع ذلك إلى شغفة العظيم بجمع الكتب، وكان له كبير الأثر في اقتناء خزائن الأندلس نفائس الكتب من كل قطر من أقطار العالم الإسلامي، حيث استجلب من بغداد ومصر وحواضر المغرب، وغيرها من عيون التواليف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة وبدأ في جمعها منذ أيام أبيه، ويضاهي ما جمعه منها ما جمعته ملوك بني العباس في العصور الطويلة، وتهيأ له ذلك بفرط محبته للعلم وبعد همته في اكتساب الفضائل وسمو نفسه إلى التشبه بأهل الحكمة من الملوك.[1]

ويقول ابن حزم الاندلس: «وأخبرني تليد الفتى وكان على خزانه العلوم بقصر بني مروان بالأندلس، أن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربعة وأربعون فهرسة، في كل فهرسة خمسون ورقة، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط».[2]

وكون الحكم هذه المكتبة من التواليف التي قام العلماء بالأندلس بتأليفها، وكذلك من كتب علوم الأوائل من جميع أصناف العلوم المختلفة سواء أكانت في الطب أم الهندسة أم الفلك أم الفلسفة، وخاصة علوم اليونانيين، وله وراقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف، ورجال يوجههم إلى الآفاق يبحثون له عنها، ومن وراقيه في بغداد محمد بن طرخان ومن أهل المشرق والأندلس جماعة، ولقد كان لشغفه وحبه لاقتناء الكتب وجلبها أثر في ارتفاع أثمان الكتب بقرطبة، فلقد بعث إلى أبي فرج الأصبهاني القرشي المرواني ألف دينار عيناً ذهباً خالصاً وخاطبه يلتمس منه نسخة من كتابه الذي ألفه وهو كتاب (الأغاني) ما لأحد مثله من قبل، واستجاب أبو الفرج إلى طلبه وبعث إليه بنسخة من

---

1 ينظر. الخشني ،مصدر سابق ،ص 1، وصاعد الاندلس. مصدر سابق ،ص ص162-163، وابن الابار. مصدر سابق ،ص 201، وابن سعيد. مصدر ساق ،ص 186، ولسان الدين الخطيب .الإحاطة في اخبار غرناطة ،ج1، مصدر سابق، 486، ولسان الدين الخطيب ،:كتاب اعمال الأعلام ،مصدر سابق ،ص 41، وعبد الواحد المراكشي . مصدر سابق ،ص 43.

2 ابن حزم ،مصدر سابق ،ص 100.

هذا الكتاب، وكانت نسخة منقحة قبل أن يظهر هذا الكتاب في بلاد العراق، ولم يقم أحد بنسخه من قبل، وأيضاً قام بطلب من الخليفة الحكم بتأليف كتاب آخر وهو كتاب في أنساب قومه بني أمية موشحة بمناقبهم وأسماء رجالهم فأحسن فيه وخلد فيه بني أمية مجدداً، وأرسل هذا الكتاب إليه في قرطبة، وأنفذ معه قصيدة حسنة من شعره وكان محسناً بمدحه بها ويذكر مجد قومه بني أمية وفخرهم على سائر بطون قريش، فجدّد له العطاء والثناء والصلة الجزيلة، وكذلك فعل الحكم هذا الأمر مع أبي بكر الأبهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم، وجمع بداره الحذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد، وبذلك اجتمعت بقرطبة خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله وأصبحت هذه الصناعة من المهن التي يكتسبها أهل الأندلس والإجادة فيها.[1]

2-6- احترام الحكم الثاني للعلماء :

أظهر الحكم منذ أن شغف بالعلم اهتماماً كبيراً به، واحتراماً كبيراً للعلماء، ولم يكن هذا مجرد تقليد، وإنما كان حبه للعلم أضفى عليه تعلقه وحبه للعلماء، فهو كما ذكرنا آنفاً أفنى وقتاً طويلاً من حياته في قراءة الكتب والإفادة مما أنتجه العلماء سواء في الشرق أو الغرب، فقد تعرف على الجهد الذي بذله العلماء حتى وصلوا إلى هذه المرحلة من النتائج العلمية، وبذلك فإنه يقدرهم ويهتم بهم ويجلس معهم ويناظرهم في عدة مسائل علمية في مختلف ضروب العلم وخاصة ما يتعلق بأمور الدين من مسائل فقهية وأحاديث نبوية وتراث الأجداد .[2]

وللتدليل على حبه للعلماء وتقديره واحترامه لهما ورد عند المقري في كتابه نفح الطيب: «إن الفقيه أبا إبراهيم إسحاق، كان يحاضر في مسجد أبي عثمان، وكان مجلسه حافلاً بجماعة الطلبة، إذ دخل عليه (خصي) من أصحاب الرسائل، جاء من عند الحكم المستنصر بالله فسلم عليه وقال له: يا فقيه أجب أمير المؤمنين فإن الأمر خرج فيك، وهاهو قاعد ينتظرك، وقد أمرت بإعجالك، فقال له: سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين، ولا عجالة، فأرجع إليه وعرفه وفقه الله عني أنك وجدتني في بيت من بيوت الله تعالى معي طلاب العلم أسمعهم حديث ابن عمه رسول الله ﷺ فهم يقيدونه عني، وليس يمكنني ترك ما أنا فيه حتى يتم المجلس المعهود لهم في رضاء الله وطاعته، فذلك أوكد من سيري إليه الساعة، فإذا انقضى أمر من اجتمع إلي مشيت إليه وظل عالمنا يمهل الخليفة حتى أتم

1 ينظر، الضبي، . مصدر سابق ص 18، وعبد الرحمن ابن خلدون .تاريخ العلامة ابن خلدون ،ج4، مصدر سابق ،ص 137 .
2 – ينظر، الحميدي .مصدر سابق ،ص 53، وأبو الفلاح عبد الحي عماد الحنبلي، مصدر سابق ،ص55.

مبسطه على أحسن وجه، وعندما أراد الذهاب إلى قصر الخليفة استدعى الخصي وقال له أنا أضعف عن المشي إلى باب السدة، ويصعب علي ركوب دابة لشيخوختي وضعف أعصابي، وباب الصناعة أقرب وأرفق بي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بفتحه لأدخل إليه من هونٍ على المشي، فأجاب الخليفة لطلبه، وأمر بفتح الباب وقابل الحكم وقضى حاجته من لقائه ثم صرفه على ذلك الباب فأعيد اغلاقه على أثر خروجه».[1]

كما كان أبوعلي القالي محل أكرام وتقدير من الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله وموضع عنايته، كذلك بعد ما تولى الخليفة الحكم عرش الأندلس بالغ في إكرامه وإجلاله، بالإضافة إلى هؤلاء فنجد أن العلماء الذين قدموا إلى قرطبة في عهده لقوا كل تقدير واحترام، وخاصة أنهم ليسوا من أهل البلاد ولهذا فإنهم بحاجة إلى العطف والإكرام، فتحصلوا على هذه الميزة، ومنهم محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أبي بردة الشافعي البغدادي يكنى:أبا الطيب (ت 373هـ/975) وصل إلى الأندلس سنة إحدى وستين وثلاثمائة، فأكرمه أمير المؤمنين الحكم الثاني وأمر بإجراء النزل عليه، وهو من أعلم الناس بمذهب الشافعي وأحسنهم قياماً به، لم يصل إلى قرطبة أفهم منه بالمذهب، ومحمد بن العباس بن يحي بن العباس من أهل حلب ويكنى أبا الحسن (ت376هـ/978م) قدم إلى قرطبة على أمير المؤمنين، فأكرمه وأجرى عليه النزل مع الأضياف، وهو عنده إسناد الشام وروى قطعة من الأخبار عن أحمد بن سعيد القرشي، وورث شعر الصنوبري، وكان أديباً حسن الأخلاق، وعبد الملك بن محمد بن عبد الملك بن الوليد، ويعرف بالسليماني، حيث وفد على قرطبة من بيت المقدس ويكنى: أبا مروان، وتوسع له الخليفة وأجرى له العطاء، وعبيد الله بن عمر بن أحمد الشافعي، ويكنى: أبا القاسم، قدم إلى قرطبة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة، ولقي احتراماً وتقديراً لدي الخليفة، وقد أنزله منزلة حسنة عنده، وتوسع له في الجراية والرزق وله منزلة رفيعة عنده، وعباس بن عمر بن هارون الكناني الوراق، من أهل صقلية ويكنى: أبا الفضل، قدم إلى قرطبة في آخر سنة ستة وثلاثين وثلاثمائة، واتصل بولي عهد الأندلس، فتوسع له في الوراقة، وصار من جملة الوراقين، وعلي بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن بشر، من أهل أنطاكية يكنى أبا الحسن، قدم إلى قرطبة في شهر ربيع الآخر سنة اثنين وخمسين، وثلاثمائة، فنزل من الخليفة المنزلة الرفيعة وهو عالم بالقراءات رأساً فيها، لا يتقدمه أحد في معرفتها في وقته ولقد أدخل قرطبة علماً جماً من القراءات، أضف إلى ذلك أنه بصيرٌ بالعربية والحساب، وله حظ

1 أحمد المقري التلمساني ،نفح الطيب ،ج1، مصدر سابق ،ص ص377-378 .

من الفقه على مذهب الشافعي، ومحمد بن أحمد بن محمد يعرف بابن الأزرق، وصل إلى قرطبة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، فأمر المستنصر بالله بإنزاله، وتوسع له في العطاء وأثبته في ديوان قريش وهو أديب حليم، ونظراً لهذا الاحترام والتقدير منه للعلماء سواء من أهل الأندلس أو الذين أتو من خارجه ومدهم بالعون والمال حرصاً منه على تشجيعهم على نشر العلم والثقافة في ربوع الأندلس، وعمل كل ما في وسعه على تشجيع العلماء أين ما كانوا، فقد وصلت عطاياه وصلاته إلى فقهاء الأمصار النائية خارج البلاد، فوصلت منحة وعطاياه إلى أبي إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان بمصر، وأبي عمر بن يوسف بن يعقوب الكندي وغيرهما .[1]

2-7- تشجيعه على التأليف :

لم يذهب احترام الحكم للعلماء هباء، بل قوبل باحترام زائد أيضاً له من العلماء، وقد عبروا عن تقديرهم واحترامهم له بتأليفهم الكتب وإهدائها له، وفي مقدمتهم أبوعلي القالي حيث طرز كتابه المشهور (الأمالي) باسم الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله وابنه الحكم المستنصر بالله، وكتب في الإهداء يقول:«فإني لما رأيت العلم أنفس صناعة أيقنت أن طلبه أفضل تجارة، فاغتربت للرواية ولزمت العلماء للدراية، ثم أعملت نفسي في جمعة، ثم صنته بالكتمان عمن لا يعرف مقداره، ونزهته عن الإذاعة عمن يجهل مكانه، وجعلت غرضي أن أودعه من يستحقه فغير تبرهة ألتمس لنشره موضعاً، ومكثت دهراً أطلب لإذاعته مكاناً، حتى تواترت الأنباء المتفقة التي لا تخالطها الشكوك بأن مشرفة في عصره أفضل من ملك الورى، وأكرم من جاد باللهي، فياض الندى، وأمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد والمنيل قبل أن يستنال الحكم ولي عهد المسلمين وابن سيد العالمين».[2]

وبذلك يُعد الحكم الثاني في مقدمة خلفاء الأندلس الذين حازوا احترام العلماء وتقديرهم له وتقربهم إليه عن طريق إهدائهم له القيم من أعمالهم، وقد شجع الحكم المستنصر علماء الأندلس وغيرهم من الوافدين إليها على التأليف، وبذل لهم من أجل ذلك المال الوفير والمكانة الرفيعة مما كان له الأثر الإيجابي في حركة التأليف، أضف إلى ذلك قراءته لما ينتجه هؤلاء ومناقشتهم فيه، وعمله على أن يكون هذا النتاج في مستوى رفيع، إذ بذل في سبيله العلماء أشد الطاقات ومنحوه أثمن الأوقات، وكانوا في سباق مع الزمن والجهد لإخراج أفضل ماعندهم له،

1 ينظر. ابن الفرضي . ج2، مصدر سابق ،ص ص433-435-467-491-509-536-804-805-806-807-808، وأبو علي القالي .مصدر سابق، ص س .

2 أبو علي القالي .كتاب الأمالي، مصدر سابق ،ص ص1-2 ..

ولقد أسهمت هذه المؤلفات بشكل واضح في تطوير جانب من جوانب الحركة العلمية والثقافية في قرطبة، فالحكم الثاني حث أبا علي القالي على التأليف وكان يغمره بواسع العطاء ويشرح صدره بالإفراط والإكرام، فانقطع إلى العلم والأدب وعكف على التأليف وأملي مؤلفاته القيمة التي فاق بها ما تقدمه وأعجز من بعده، حيث ألف له كتاب الأمالي وعدة مؤلفات أخري سنتطرق لها في أبواب أخرى لاحقاً.[1]

ومن المؤلفين في عهد الحكم الثاني:

2-7-أ محمد بن أحمد بن يحي بن مفرج القاضي:

الذي له عدة مؤلفات منها فقه الحسن البصري في سبع مجلدات، وفقه الزهري في أجزاء كثيرة، وجمع مسند حديث قاسم بن أصبغ للحكم المستنصر بالله.[2]

2-7-ب-أحمد بن نصر بن خالد يكنى: أبا عمر(ت370هـ/982م):

ألف كتاب موطأ مطرف عن محمد بن عمر بن لبابة[3]

2-7-ج-أحمد بن إسحاق بن مروان بن جابر الغافقي (ت372هـ984م):

له عدة مؤلفات منها كتاب محمد بن إسماعيل البخاري في السنن، وكتاب الأشراط لأبي بكر بن المنذر، وكتاب في أخبار الأندلس حيث كان حافظاً ومهتما بأخبارها [4].

2-7-د- عبيد الله بن جعفر القيسي الشافعي (ت368ه\980م):

من أهل بغداد، حيث ألّف له كتباً كثيرة في الدراسات الإسلامية كالفقه والحجة والرد والقراءات والفرائض إلى أن مات.[5]

2-7-هـ- عبد الملك بن محمد بن عبد الملك (ت371هـ/983م):

ويعرف بالسليماني، الف له كتاباً في النسب.[6]

2-7-و- محمد بن حارث بن أسد الخشني(ت361هـ/973م):

ألف له عدة مؤلفات مختلفة وكثيرة في مادتها العلمية والثقافية وهي كتاب، (قضاه الأندلس) وكتاب ضخم في (رجال الأندلس) وكتاب في (أخبار الفقهاء والمحدثين) وكتاب

---

1 ينظر، أبو علي القالي ، مصدر سابق ،ص 4، وأحمد المقري التلمساني ،نفح الطيب ،ج4، مصدر سابق ،ص ص 69-72 د ت ،ص 285.

2 الضبي ، مصدر سابق ،ص ص38-39.

3 – ابن الفرضي، ج1 ،مصدر سابق ،ص ص107-108 .

4 – المصدر نفسه، ص 109.

5 – المصدر نفسه ،ج2، ص ص433،435.

6 – المصدر نفسه، ص ص 467 ،802،803، والحميدي، مصدر سابق، ص 53.

في (الاتفاق والاختلاف لمالك بن أنس وأصحابه) وكتاب في (شعراء إلبيرا) في نحو عشرة أجزاء، وأمره بجمع شعر ابن عبد ربه.[1]

2-7-ز- خالد بن سعد ويكنى: أبا القاسم:

ألف له كتاباً في (رجال الأندلس) وهو إمام في الحديث، حافظٌ له بصير بعلله، عالمٌ بطرقه، مقدمٌ على أهل وقته في ذلك الوقت.[2]

2-7س- وقام أحمد بن إسحاق بن مروان بن جابر الغافقي ويكنى أباعمر:

قام بتأليف كتاب (محمد بن إسماعيل البخاري) في السنن وكتاب (الأشراط) لأبي بكر بن المنذر[3].

2-7-ص- قاسم بن أصبغ:

قام بتقديم عدة مؤلفات ذات قيمة علمية حيث ألف كتاباً طويلاً، ثم اختصره وسماه (المجتبى)، وقدمه إلى الحكم المستنصر بالله وفيه من الحديث المسند ألفان وأربعمائة وتسعون حديثاً في سبعة أجزاء، وصنفه على أبواب الفقه، وله الفضل في نشر العلم بالأندلس على هذه الطريقة، وله مصنف جليل القدر احتوى على بيان صحيح الحديث وغريبه.[4]

2-7-ع- محمد بن يوسف الوراق:

لقدألّف كتاباً ضخماً في مسالك أفريقيا وممالكها، وألف في أخبار ملوكها وحروبهم وغيرها من الكتب.[5]

2-7-ف- أحمد بن إبان بن السيد اللغوي الأندلسي(ت382هـ/994م):

ألف كتاب(العالم في اللغة) في نحو مائة مجلد مرتب على الأجناس بدأ بالفلك وختم بالدرة، وكتاب (العالم والمعلم) وهو كتاب على المسألة والجواب، وكتاب (شرح كتاب الأخفش) وله غير ذلك من المؤلفات التي امتاز به.[6]

ولم يكن للحكم أن يدع فرصة تفوته إذا أمكنته في تشجيع التأليف، وله في هذا الباب أخبار تدل على استغراق شديد في هذا الأمر من ذلك أنه أراد الغزو عام(352هـ/964م)،

---

1 - المصدر نفسه ج2. ص ص435،433.

2 - ابن الفرضي. مصدرسابق ص 467.

3 - ابن الفرضي ج1 مصدر سابق ص 101 .

4 - ابن الآبار. . مصدر سابق. ص ص51،50.

5 - ينظر ابن حيان . المقتبس في أخبار أهل الأندلس تح على الحجي مصدر سابق ص -33 والحميدي .مصدر سابق ص 90. وابن الابار. مصدر سابق ص 366.

6 - يا قوت الحموي .معجم الأدباء ج2 .مكتبة عيسي البالي الحلبي ،القاهرة د ت ص 203.

فاعتذر عن مصاحبته في تلك الغزوة عالم اسمه ابن الصفار(ت352هـ/964م) لضعف جسمه، فأرسل إليه من يقول له: «إن ضمن أن يؤلف في أشعار خلفائنا بالمشرق والأندلس مثل كتاب الصولي في أشعار خلفاء بني العباس أعفيته من الغزاة» فاختار ابن الصفار التأليف على الخروج في الغزو، وعندئذ خيره الحكم بين أن يكتب الكتاب في بيته أو في دار الملك، فاختار أن يكتبه في دار الملك ليكفل لنفسه الانقطاع والوحدة، وينفرد دون الزائرين والمترددين إلى بيته، ولما أكمل الكتاب في مجلد واحد وحمل إلى الحكم واستقبله به وهو راجع من غزواته فتلقاه بسرور.[1]

وكثيراً ما كان الحكم يتعدى حد اقتراح الموضوع على المؤلف فيرسم له طريقة تبويبه وتقسيمه كما فعل مع النحوي أبي بكر الزبيدي في تأليفه لكتاب طبقات النحويين واللغويين في الأندلس حيث قال الزبيدي في مقدمة الكتاب: «وأن أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله لما اختصه الله به ومنحه الفضيلة فيه من العناية بضروب العلم والعلوم والإحاطة بصنوف الفنون، أمرني بتأليف كتاب يشمل على ذكر من سلف من النحويين واللغويين في صدر الإسلام، ثم من تلاهم من بعد، وأن أطبقهم على أزمانهم وبلادهم بحسب مواهبهم في العلم ومراتبهم، فألفت هذا الكتاب على الوجه الذي أمرني به، وأقمته على الشكل الذي حده، وأمرني رضى الله عنه في ذلك بعنايته وعلمه، وأوسعني من رواتبه وحفظه، إذ هو البحر الذي لا تعبر أواذيه، ولا تدرك سواحله، ولا ينزح غمره، ولاتنضب مادته».[2]

2-7-ط- أحمد بن محمد بن مفرج الجياني:

وافر الأدب كثير الشعر معدود في العلماء والشعراء، حيث قام بتأليف كتاب (الحدائق) للحكم المستنصر، وعارض فيه كتاب (الزهرة) لأبي بكر محمد بن داؤود بن علي الأصفهاني، وإن أبا بكر ذكر مائة باب في كل باب مائة بيت وأبو عمر أورد مائتي باب في كل باب مائتي بيت ليس فيها باب تكرر اسمه لأبي بكر الأصفهاني ولم يورد فيه لغير أندلسي شيئا.[3]

2-7-م-عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله الأنصاري (ت352هـ/964م):

وهو من أهل الفضل والنباهة والذكاء واليقظة والحذق والفهم والأدب البارع والشعر

1 ينظر، رسائل ابن حزم الأندلسي. تح احسان عباس .ط2،ج2 المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1987م ،ص ص221-222،والحميدي ،مصدر سابق ،ص ص252-253، وابن بشكوال ،كتاب الصلة ،تح شريف أبوالعلا العدوي ،ج1، مصدر سابق ،ص270،وأبي نصرالفتح بن خاقان ،مصدر سابق، ص 147.

2 الزبيدي ،،طبقات النحويين واللغويين ،مصدر سابق ،ص ص17-18 .

3 - الضبي ،مصدر سابق ،ص ص140-142.

الرائق والكتابة البليغة، ألف كتاب (التوابين) وكتاب (شعراء خلفاء من بني أمية)[1].

7-2-ن-العالم الفقيه أحمد بن عبد الله بن هاشم الإشبيلي المعروف بابن المكوي: ويكنى: أبا عمر، ألف كتاباً حفيلاً يحتوي على معلومات كثيرة وقيمة في رأي الإمام مالك ابن أنس سماه (كتاب الاستيعاب) من مائة جزء، وجمعه له مع أبي بكر محمد بن عبد الله القريشي المعيضي، ورفع إلى الحكم فسر بذلك، وانتفع أهل الأندلس بهذا الكتاب، ووثقوه في أمورهم ولجأوا إليه في مهماتهم.[2]

7-2-ل- عبد الله بن محمد بن نصر بن أبيض بن محبوب بن ثابت الأموي(ت399هـ/1012م) ألف كتاباً كبيراً قيماً في مادته العلمية والثقافية وعنوانه (الرد على محمد بن عبد الله بن مسرة) أكثر فيه من الحديث والشواهد التي تدل على أنه خارج عن دين أهل الملة المحمدية[3]

ولم يقتصر تشجيع الحكم للعلم والتأليف على العلماء المسلمين فقط بل تعداه إلى جميع الملل والأديان الأخرى ففي نظره كلهم سواسية في هذا المضمار حيث إن الأسقف القرطبي ابن زيد له اتصال واحتكاك كبير بالخليفة الحكم، وكان مختصاً به وألف له كتاب (تفضيل الأزمان ومصالح الأبدان)، أما الطبيب اليهودي حسداي بن إسحاق، فقد استغل حظوته عنده وتوصل من ذلك إلى استجلاب ما شاء من تأليف اليهود بالمشرق، ففتح بذلك ليهود الأندلس باب علمهم من الفقه والتاريخ وغير ذلك من مصنفات الكتب، وكانوا قبل ذلك يعتمدون في فقه دينهم وسني تاريخهم ومواقيت أعيادهم على يهود بغداد[4]

ونجد أن الحكم الثاني على الرغم من كثرة هذه التواليف التي يقوم بها العلماء وكبر حجمها وتعداد أجزائها، وتنوع تخصصاتها ومجالاتها، فقد شملت العلوم الدينية كالفقه والأحاديث النبوية الشريفة والقراءات، وكذلك العلوم الأدبية والشعر والنحو واللغويات وغيرها من التصانيف الأخرى، ومع هذا نجده كثير التهمم والتصحيح لها والمطالعة لفوائدها.

وللحكم بلاط يجتمع فيه العلماء وذلك لإثراء الثقافة والعلم في حاضرة الأندلس قرطبة، وبلاطه يحتوي على مختلف العلماء كل منهم في صنف من أصناف العلم، وأصبح هؤلاء يقومون بالمحاورة والمجادلة في ما بينهم، ويتناقشون وخاصة في النواحي الأدبية،

---

1 - ابن بشكوال ،كتاب الصلة ،ج1،مصدر سابق ،ص 206.

2 - المصدر نفسه ،ص 49

3 - المصدر نفسه ،ص 276

4 - صاعد الأندلسي، مصدر سابق ،ص 203.

ومثال على ذلك حدثت مناظرة بين النحوي الزبيدي، والوزير الكاتب الأديب والشاعر جعفر بن عثمان المصحفي في غرائب من فن النحو والشعر واللغة، فتباريا وتسابقا في ميدان الإصابة فسربها الحكم، وعادة كان الشعراء لهم دور بارز في مجلس الحكم إذ يقومون بإلقاء الشعر والمبارزة في ما بينهم، وخاصة في شعر المدح، وكل منهم يحاول أن يظهر موهبته وبراعته، ومنهم محمد بن حسين الطبني، ومحمد بن شخيص، ومحمد بن محاسن الإستجي، وطاهر بن علي البغدادي المعروف بالمهند.[1]

وكذلك نجد في الأعياد والمناسبات الدينية والاجتماعية، فعادة في عيد الفطر وعيد الأضحى يحضر كبار الدولة، وعامة الناس للتسليم على الخليفة الحكم في قصر الزهراء والتهنئة بالعيد، وبهذه المناسبة يقوم الأدباء بإلقاء شعرهم المتنوع في الغزل والمدح، وتتكرر هذه اللقاءات بين العلماء والشعراء عند حضور كبار الزوار من خارج الأندلس الإسلامي، فعند استقبالهم دائماً يقام لهم استقبال كبير ويحضره كبار رجال الدولة والعلماء والشعراء والأدباء في حضرة الخليفة.[2]

وبهذه الأعمال التي قام بها الحكم من جهود جبارة ومجدية شهد لها التاريخ على مرور الزمن، أفاد الثقافة في قرطبة وقام بتشجيعها في جميع المجالات العلمية المختلفة من أدبية ودينية وفلسفة وفي الطب والحساب والفلك، ووجه الطاقات الأندلسية الفكرية والعقلية إلى جمع التراث الأندلسي، وتألق في قرطبة علماء في كل فروع المعرفة، وهذه النهضة الثقافية التي نهضت في عهده لم تعرفها الأندلس من قبل، واستطاع أن يغرس في نفوس العلماء بقرطبة حب العلم والاطلاع على كل جديد فيه، وبذلك اتضحت الشخصية العلمية في الأندلس واستقلت استقلالاً كبيراً وأصبح الشعب الأندلسي بفضل جهود الحكم الثاني ميالاً إلى الحصول على قسط كبير من العلم وخاصة أبناء عامة الناس الفقراء الذين، أنشأ لهم المدارس المجانية للتعلم والتأدب فيها، وبذلك أصبحت قرطبة خاصة والأندلس عامة تعج بالآلاف من العلماء ذوي الخبرة والمهارة الكبيرة في تخصصاتهم، وصارت في هذه الفترة من حواضر الدولة الإسلامية لها صيت كبير في الثقافة والعلم .

ثالثاً: الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر ودوره في ازدهار الثقافة في قرطبة:

محمد بن أبي عامر أمير الأندلس في دولة هشام المؤيد، تولى الحكم منذ أن تغلب على

1 ينظر. ابن الفرضي.،ج1، .مصدر سابق .ص 119، وابن حيان المقتبس في اخبار بلد الأندلس تح علي الحجي .مصدر سابق .ص ص31-54-56-60-62-133-134، والحميدي .مصدر سابق .ص 47، وابن بشكوال .كتاب الصلة .ج 1 .مصدر سابق .ص 562، وابن سعيد .،ج1 .مصدر سابق .ص 201، وخوليان ريبيرا .مرجع سابق .ص ص12-13

2 ينظر. ابن حيان المقتبس في اخبار الأندلس تح علي حجي .مصدر سابق .ص ص21-71، وابن عذاري .، مصدر سابق .ص 235.

الصبي هشام المؤيد عام (366هـ/978م) الذي لا ينسب إليه تدبير، ولا يرجع إليه من الأمور قليل ولا كثير، وصار ابن أبي عامر صاحب التدبير، والمتغلب على الأمور، وحجب هشام المؤيد، وتلقب بالمنصور، وأقام الهيبة فدانت له أقطار الأندلس كلها وأمنت به، ولم يضطرب عليه شيء منها أيام حياته لعظيم هيبته وسياسته، وعمل تغيير سير الخلافة المروانية في جعل الأمر لنفسه ورسم أمورها على قالبه، وكان محباً للعلم، مؤثراً للأدب، مفرطاً في إكرام من ينتسب إليهما، وازدهرت الثقافة وانتشر العلم طوال فترة حكمه بنفس القوة والدفع في فترة خلافة عبد الرحمن الناصر لدين الله وابنه الحكم، وبذلك نجد أن مسيرة الثقافة والعلم لم تتوقف، وإنما استمرت وتقدمت في معظم ميادين المعرفة[1]

3-1- نشأته وطلبه للعلم:

لم يكن الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر أحد أبناء الخلفاء أو الأمراء أو علية القوم من الوزراء أو الحجاب أو المسؤولين في الدولة، وإنما كان مواطناً من عامة الناس مثله مثل سائر أبناء الأندلس البسطاء، على الرغم من أنه شريف البيت ذو حسب ونسب من بطون العرب الكبيرة المعروفة التي نزلت واستوطنت في الأندلس بعد الفتح الإسلامي، ولذلك لم يقم والده بتعيين مؤدبين خاصين له يقومون بتعليمه في مختلف ضروب العلم، لأنه لا يستطيع ذلك لقلة الإمكانيات المادية وخاصة أن هذا النوع من التعليم يحتاج إلى دفع أجرة لكل مؤدب على حدة، مما يتطلب أموالاً كثيرة، ولكن على الرغم من ذلك فإنه جاء إلى قرطبة شاباً طموحاً يتطلع إلى مستقبل مزهر وباهر، فطلب العلم والأدب، وسمع الحديث وكتب منه كثيراً، ولقى الجلة من رجاله وتميز في ذلك كثيراً على أقرانه، وقيد اللغات، وتحصل على هذه العلوم في المساجد العامة التي يدرس فيها أهل قرطبة عامة، وكانت له همة يحدث بها نفسه، بإدراك معالي الأمور، ويزيد في ذلك حيث كان يحدث بها من يختص به بما يقع له من ذلك وقد تعلم هذه العلوم والثقافة التي امتاز بها عن أقرانه على يد مؤدبين أجلاء متميزين، على قدرة عالية من التعليم، حيث قرأ الأدب وقيد اللغات على الأديب أبي علي البغدادي، وأبي بكر بن القوطية، وقرأ الحديث على المحدث الفقيه أبي بكر بن معاوية القرشي راوية النسائي وغيره من العلماء البارزين.[2]

---

1 - ينظر- صاعد الأندلسي. مصدر سابق، ص ص163،162. والحميدي، مصدر سابق. ص 78، وابن عذارى. مصدر سابق، ص272، ولسان الدين الخطيب. كتاب اعمال الأعلام. مصدر سابق. ص58.

2 ينظر. الحميدي – ،مصدر سابق ،ص 78، وابن عذاري المراكشي .،مصدر سابق ،ص ص256-257، وابن سعيد .مصدر سابق ،ص 199 ،وأبو الحسن الشنتيريني، مصدر سابق ،ص 60،ولسان الدين الخطيب .الإحاطة في أخبار غرناطة .ج2 ،مصدر سابق ،ص 103.

3-2- ثقافته وميوله الأدبية:

منذ طفولته كان طموحاً يطلب العلم ويتطلع إليه، وعاش في بيت علم حيث كان أبوه من أهل الزهد في الدنيا، وله دراية بالأحاديث النبوية، ولهذا فإن أبن أبي عامر كان حسن النشأة وظاهر النجابة، وبرع في العلم وخاصة الأدب والفقه، حتى أستطاع أن يصل إلى أعلى المراتب في دولة الخليفة الحكم المستنصر بالله وهي مرتبة القضاء، بالإضافة إلى ذلك تدرج في الوظائف حيث اتخذ دكانا صغيراً عند باب القصر ليكتب في البداية للخدم والمرافقين للخليفة، ثم أصبح كاتباً بليغاً عند صبح زوجة الحاكم المستنصر بالله، واستمر في ذلك إلى أن أصبح وكيلاً لابنها عبدالرحمن تم لابنها هشام المؤيد.[1]

ونظراً لعلمه وتثقفه في الدين ولاه الخليفة الحكم المستنصر بالله قضاء كورة رية (Reyyo) وقضاء أشبيلية (Sevilla)، واشتهر بإقراض الشعر حيث كان أديباً وشاعراً محسناً وعالماً متفنناً، فنجده عندما استقرت له الأمور وانتظمت بالأندلس وبالعدوة، وسيطر على جميع سكانها من أمويين وغيرهم من سادة الأندلس، وانتصاره في جميع غزواته ضد الأعداء الفرنجة فإنه بدا يفتخر بنفسه، ومن أشعاره في الفخر.

رَمَيْتُ بِنفسي هولَ كلِّ كريهةٍ	وخاطرتُ والحرُّ الكريمُ يُخاطِرُ
وَمَا صاحبيّ إلاّ جِنَانُ مُشَيِّعُ	وأسمرُ خطّيُ وأبيضُ باتِرُ
وأنّي لَرَجَّاء الجيوشِ إلى الوغى	أسودُ تلاقيها أسودُ خَوَادِرُ
لَسُدْتُ بِنَفْسِي أهلَ كلِّ سيادةٍ وكاثرتُ	حتى لم أجِدْ من أُكاثِرُ().

ومن شعره أيضا في الفخر:

أَلَمْ تَرَنِي بعتُ الإقامة بالسُّرى	ولين الحشايا بالخيولِ الضَّوامرِ
وبدَّلت بعد الزَّعْفران وطيبهِ	صَدَا الدِّرْعِ مِنْ مُسْتحكماتِ المَسَامِرِ
فلا تحسبوا أنيَّ شُغِلتُ بلذَّةٍ	ولكن أطعتُ الله في كلِّ كافرِ.()

يمتاز المنصر إلى جانب الشعر بالبلاغة في الكلام، وحسن التنظيم. فبينما كان يوما في

1 - عبد الرحمن ابن الحكم ولد في عام352هـ/964م من حظيته صبح التي سماها جعفر المصحفي أم ولده ،ولكنه مات طفلاً صغيراً (ابن عذاري ،.ص 235).

نزهة هو وبعض حاشيته ووزرائه في نهر قرطبة الذي تطل عليه مدينة الزاهرة، فافتتن بمنظرها وبهاء مبانيها وزخرفها وأصبح ينظر يميناً وشمالاً في قصوره المشرقة ومصانعة الموثقة فقال المنصور بن أبي عامر معجبا بذلك قال: «ويها لك يا زاهرة الحسن، لقد حسن مراءك، وعبق ثراك[1](*)، وراق منظرك، وفاق مخبرك، وطاب تربك، وعذب شربك، ويوهن ركنك[2](**) ويهدمك، ويخلي ميدانك. ويضوي قصبك وافنانك، فبوساله إذ لا يروقه حسنك، فكيف عن تغييرك ألا تسيبه بهجة منظرك فكيف عن محو أثرك"[(3)].

ومن نثره أيضاً وبلاغته في الكلام، عندما كان في غزوة من غزواته عام(390هـ/1002م)، وكاد أن ينهزم في هذه المعركة، ولاذ بالفرار كثير من جنوده من هول المعركة وشدتها، ولكن الله ثبت الحاجب المنصور بن أبي عامر بمن معه ونصرهم بنصر من عنده، وعند رجوعه إلى قرطبة عتب على كافة جنوده بما ظهر من نكوصهم، وأمر كاتبه على الرسائل عبد الملك بن إدريس، وأملى عليه كلاماً ليقرأه القواد على كافتهم وفيه: «وكثيراً مافرط من قولكم، أنكم تجهلون قتال المعال والحصون، وتشتاقون ملاقاة الرجال الفحول: فحين جاءكم شانجة بالأمنية وقاتلكم بالشريطة أنكرتم ما عرفتم، ونافرتم ما ألفتم، حتى فررتم فرار اليعافير من اساد الفيل، وأجفلتم إجفال الرئال[4](*) عن المقتنصين، ولولا رجال منكم حظوا عنكم العار وحرروا أرقابكم من الذل، لبرئت من جماعتكم، وشملت بالموجدة كافتكم، وخرجت للأمام والأمة عن عهدتكم، ونصحت المسلمين في الاستبدال بكم، ولم اعدم من الله تعالى عاجل نصر وحسن عقب فلابد ان ينصر دينه بمن يشاء"[(5)].

3-3- تشجيع المنصور بن أبي عامر للعلم:

منذ أن تولى زمام الأمور في قرطبة، وأصبح هو الحاكم الحقيقي للأندلس، بدأ يقدر ويكرم من ينتسب إلى العلم والأدب، وخاصة من له دراية كبيرة بهما، ويأتي إليه متوسلاً بهما ومن مظاهره وتشجيعه لازدهار الثقافة في قرطبة، كان له مجلس معروف في الأسبوع يجتمع فيه أهل العلوم والآداب للكلام فيه، يحضره بمدينة قرطبة كل من كان مقيماً فيها، ويحضر في هذا المجلس رجال الآداب والشعراء والإخباريون حيث ينشدون مدائحهم، وما جادت به قرائحهم، ويتذكرون الأدب وأخبار رجاله، ونجد أن اهتمام المنصور بالأدب راجع

---

1 (*) ثراك: وهو أرض ثرياءدات ندى.(الجوهري. ج6 ،مصدر سابق، ص62).

2 (**)ركناك: ركن الشئ وهو جابه الأقوى، وهو يأوي إلى ركن شديد(الجوهري. ج5 . مصدر سابق، ص556 .)

3 – ابن عذاري ،مصدر سابق ،ص 299.

4 (*) بحثت ولم اجد لها معنى، ولكن ربما يكون المعنى هو نوع من انواع الحيوانات في البرية.

5 - لسان الدين الخطيب السلماني ،كتاب اعمال الأعلام ،مصدر سابق ،ص 72.

إلى أنه يريد أن تكون له همة عالية بين رجال العلم، ويضاهي الخليفة الحكم المستنصر بالله في علمه وأدبه وتشجيعه للعلم والعلماء، وبذلك حرص كل الحرص على أن يكون كذلك، وكانت مجالس المنصور بن أبي عامر الأدبية تعقد فيها الامتحانات والمناقشات بين الأدباء والشعراء واللغويين والنحويين حيث إنه كان حريصاً على اختيار من يدخلون في خدمته ويكونون من خاصته، وذلك بتقديمهم إلى امتحان يحضره بعض العلماء المتميزين في علمهم للتأكد من كفاءتهم العلمية والأدبية، وتقدمهم في العلوم التي تخصهم، و مما يدل على ذلك فإن المنصور اجتمع بأعيان العلماء والأدباء كالعاصي وابن العريفي ومن سواهم، وقاموا بمناظرة أبي العلاء صاعد البغدادي في علمه وأدبه، وكانت هذه المناظرة بطلب خاص من الحاجب المنصور بن أبي عامر لما سمعه عنه من العلماء ووشاياتهم به، حيث قال لهم أن هذا الرجل الأديب الوافد على قرطبة من المشرق يزعم أنه متقدم في هذه الآداب التي أنتم أدرى بها، وأحب أن يمتحن بما عنده في هذا المجلس العلمي والأدبي. وقاموا بفعل ما طلب منهم، حيث قاموا بامتحانه وذلك بتقديم عدة أسئلة في النحو والأشعار والأخبار وغيرها من العلوم، وإلى جانب هذه العلوم كانت تعقد جلسات للفقه والأحاديث والقراءات لما لها من دور كبير في حياة الناس اليومية، وخاصة في المناسبات الدينية كشهر رمضان المبارك، حيث يحدث الجدل بين الأئمة والفقهاء ومن لهم دراية بالدين، وبين عامة الناس، وكثيرا ما تحصل الفائدة العلمية في هذه المجالس العلمية الثقافية.[1]

وكان لتشجيعه للعلماء واحتفائه بهم دور في وفود عدد من أدباء الشرق إليه كالأديب والعالم اللغوي صاعد البغدادي الذي حل بقرطبة عام(380هـ/992م) فاستقبله أحسن استقبال وأغدق عليه نعماً كثيرة وأصبح من ندمائه ومن يحضرون مجلسه باستمرار، وكانت للحاجب المنصور بن أبي عامر في هذا التقدير والاحترام له غاية في نفسه وهي أن يعفو ويمحو به آثار أبو على البغدادي الذي وفد على الخليفة عبدالرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر، وفي الوقت نفسه إثراء الحركة الثقافية في قرطبة، وطلب المنصور من صاعد البغدادي أن يؤلف له كتاب في محتواه وعلمه يضاهي به كتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، ولقد عمل صاعد ما في وسعه من أجل تنفيذ طلبه، واستجابة لذلك قام بجمع كتاب سماه كتاب (الفصوص) في الأدب والأشعار والأخبار وقد بدأ كتابته في ربيع الأول سنة(385هـ /997م)، وأكمله في شهر رمضان من العام نفسه، وأن دل هذا على

1 وابن بسام الشنتيريني، ق4 ،ج 1 ،مصدر سابق ،ص ص14-15 ،وأحمد المقري التلمساني ،نفح الطيب ،ج3،مصدر سابق ،ص 78-79-242 .

شيء إنما يدل على قدرته العلمية والثقافية وسرعته في الكتابة والتعبير، وتم مكافئته على هذا الكتاب بمبلغ خمسة آلاف درهم في دفعة واحدة، وأمره أن يسمعه للناس بالمسجد الجامع بالزاهرة، واحتشد لسماعه عدد كبير من أهل الآدب والعلماء الأجلاء وطلاب العلم ووجوه عامة الناس ومن لهم عناية بالثقافة، بالإضافة إلى هذا الكتاب ألف صاعد عدة مؤلفات أخرى ساهمت في ازدهار الثقافة والآداب بين أهالي قرطبة وهي كتاب سماه (الهجفجف بن عدقان بن يربي مع الخانوت بنت مخرمة بن أنيف) وألف له كتاب آخر سماه كتاب (الجواس بن قعطلال مذحجي مع ابنة عمه عفراء)، ويحتوي هذا الكتاب على فكاهة ومواقف لافته للانتباه، حتى أن المنصور بن أبي عامر أعجب بهذا الكتاب وأصبح كثير الشغف به حتى رتب له من يخرجه أمامه في كل ليلة ويقرأه عليه، وبتأليفه لهذه الكتب الأدبية أعجب به المنصور أشد الاعجاب وتمسك به وأصبح ممن يحضرون مجلسه باستمرار وأهتم به اهتماماً زائداً عن حده واغدق عليه الأموال والهدايا الكثيرة.[1]

ونظراً لحبه الشديد للشعر ورغبته في الاستماع إلى الشعراء وخاصة شعر المدح، نجده اهتم كثيراً بالشعراء وبالغ في إكرامهم والاهتمام بهم وأكثر من العطايا لهم وخصهم بالمزايا وبلغ في تكريمه للشعراء أنه كان يصفح عن هفواتهم وزلاتهم أثناء إلقائهم للشعر، وقام بإنشاء ديوانٍ لهم جمع فيه أسماء الشعراء ومناطقهم وكفاءتهم وترتيبهم، وكان يتحصل كل واحد منهم على راتب شهري بانتظام على مدار السنة، وبذلك حث الشعراء على إقراض الشعر والتنافس الشديد في ما بينهم، وعمل كل واحد على أن يحسن في إلقائه وتنظيمه لشعره، وخاصة أنهم يعلمون بأن ديوان الشعراء يحتوي عليهم حسب مراتبهم ومنزلتهم وإجادتهم وبراعتهم في نظم الشعر، وحسن إلقائهم له، وكذلك نوع الشعر ومدى تحمسهم وانفعالهم عند إلقائهم لأبيات الشعر، ومدى تقرب الشاعر من المنصور بن أبي عامر لأنه كان يخص بعضهم دون الآخرين.[2]

ونجد المقربين للمنصور بن أبي عامر من الشعراء في عهده يحضرون مجلسه باستمرار ويصطحبهم معه في غزواته حتى يكونوا عوناً له بإنشادهم شعر الحماسة، مما يؤجج في قلوب المحاربين الحماسة والإقدام في ساحة الحرب، ومثال على ذلك أنه صحب في غزوة من غزواته للفرنجة عدداً من الشعراء بصائفة (375هـ/987م) التي أكمل فيها

---

1 ينظر- الحميدي ،مصدر سابق، ص 240 وأبن بشكوال . الصلة ج1 تح شريف العدوي، مصدر سابق ، ص264. وعبد الواحد المراكشي . مصدر سابق ، ص 52،، وأبن بسام . . ق 4 ج 1 مصدر سابق ، ص 9، وأحمد المقري التلمساني – نفح الطيب . ح3 مصدر سابق ، ص.76.

2 – ينظر الحميدي . المصدر السابق ، ص ص110–111–112، وأبن بسام الشنتريني . المصدر السابق ، ص 47.

العدة واستوفى الأبهة، ومن هؤلاء الشعراء محمد بن حسين الطبني، ويوسف بن هارون الرمادي، ويحي بن هذيل القرشي، وطاهر بن محمد المعروف بالمهند، ومحمد بن مطرف بن شخيص، ووليد بن مسلمة المرادي، وأغلب بن سعيد، وعبادة بن ماء السماء، وعبد الملك بن ادريس الجزيري وغيرهم.[1]

واحتوى بلاطه على كثير من الشعراء ومنهم الأديب والشاعرصاعدالبغدادي، فإنه إلى جانب براعته في الأدب والأخبار، فإنه اشتهر أيضاً بإقراض الشعر وخاصة شعرالمدح، ولهذا قام بمدح الحاجب المنصور بن أبي عامر في عدة مناسبات نالت من إعجابه، ومن شعره وهو يمدحه في قصر العامرية بالزاهرة ويناقض فيها الشاعر العريقي قال:

يا أيُّها الحاجبُ المعتلى على كِيوانِ
وَمنْ به قَدْ تناهى فخارُ كلِّ يمانِ
العامريةُ أصبحَتْ كجنَّةِ الرَّضْوانِ
فريدةٌ لفريدٍ ما بَيْنَ أهلِ الزَّمانِ.[2]

والشاعر أحمد بن دراج القسطلي (ت421هـ/1043م) يكني: أبا عمر الكاتب المعروف بالقسطلي، ويعد من كتاب الإنشاء في زمن المنصور بن أبي عامر، وهو معدود في جملة العلماء المذكورين، ورسائله متداولة بين الناس وله صلة كبيرة بالمنصور، وهو من الشعراء الكبار، وأنه عند القرطبيين، مثل أبي الطيب المتنبي في المشرق، ومدح المنصور بن أبي عامر بعدة قصائد شعرية، ومنها قصيدة يعارض فيها أبا العلا صاعد البغدادي قائلاً فيها:

أضاء لها فجر النُّهى فَنَهاها عَن الدَّنف المضي بحرٍّ هواها
وضلَّلها صبحُ جلا ليلةَ الدُّجى وَقَدْ كانَ يَهْدِيها إلىَّ دُجاَها.[3]

ونظراً لما له من براعة وحسن تنظيم في الشعر ودراية بالبلاغة في كتابة الرسائل فإن المنصور بن أبي عامر لما انتصر في أحد غزواته على أعدائه الفرنجة وفتح شنت ياقب وغيرها من القلاع الحصينة استدعى أحمد بن دراج وأمره بإنشاء كتب الفتح إلى الحضرة وسائر الأعمال على هيئة شعر بدل من كتابتها نثراً وقد قام بالعمل على أكمل وجه، وصف الغزوة من أولها إلى أخرها ومشاهد القتال وكيفية الحال،فأحسن وأبدع، فاستحسنت

1 – ينظر. الحميدي. مصدر سابق، ص 122 . ورسائل ابن حزم، مصدر سابق، ص226 . والضبي. مصدر سابق، ص 147 .
2 – لسان الدين الخطيب ،، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج2 ، مصدر ، ص ص106 – 107 .
3 – عبد الواحد المراكشي . مصدر سابق ،ص 51.

ووقع الإعجاب بها من المنصور ومن القائمين على هذه الغزوة.[1]

ومن شعرائه عبد المالك بن إدريس الجزيري (ت394هـ/1006م) وهو أحد شعراء المنصور المجيدين، ومعدود بين كبار الشعراء في عصره وهو من اجتمع له بهذا الإقليم نوعا البلاغة في المنثور والمنظوم، ومن شعره فإنه لماعتب عليه المنصور بن أبي عامر وسجنه في سجن الزاهرة استعطفه برسائل وأشعارعدة وذلك من أجل الحصول على حريته وإطلاق سراحه من السجن، فلم يسمع منه، ولكن في نهاية المطاف قام بإطلاق سراحه وصفح عنه فكتب إليه الجزيري أبيات من الشعر فقال :

عَجِبْتُ مِنْ عفو أبي عامرٍ   لابُـــد أن تَتْبَعـــه مِنَّة

كذلك اللّه إذا ما عَفَا   عَنْ عَبْدِهِ أدخلُه الجنَّةْ.[2]

ومن شعره أيضاً كان في ليلة بين يدي المنصور بن أبي عامر يبدو فيها القمر تارة وتخفيه السراب تارة أخرى فقال على وجه السرعة :

أرى بدر السَّماء يَلُوح   حِيناً فيبدو ثُمَّ يَلْتِحف السَّحابَا

وذاك لأنهَّ لمَّا تبدَّى   وأبصرَ وَجَهَك استحيا فعاباً

مقالُ لونَمَى عنَّي إليهلراجَعْني بِتَصديقِي جوابا.[3]

ومن الشعراء في زمن المنصور بن أبي عامر الشاعر جعفربن أبي علي القالي البغدادي، وهو من الأدباء، ومن يقرضون الشعر واشتهر في قرطبة من بين فحول الشعراء المجيدين، ومن فطانته أنه دخل يوماً على المنصور بن أبي عامر، فقال من أراد أن يذكر الحاجب المنصور بوالد جعفر وعلاقته بالخلفاء السابقين: يا مولانا هذا القالي فقال جعفر:لاأعداء للحاجب أذلهم اللّه بعزه، فاستحسن ذلك المنصور.[4]

وقد مدح المنصور بأبيات شعر مليحة قال :

وكتيبةٍ للشَّيْبِ جاءت تبتغي   قَتْلَ الشَّبابِ ففر كاَلمَذْعُورِ

فكأن هذا جيشُ كل مثلث   وكأن تلك كتيبةُ المَنْصُور.[5]

وإلى جانب هؤلاء الشعراء الذين ذكرتهم يوجد كثير غيرهم من كان المنصور بن أبي

1 – الحميدي . مصدر سابق ،ص 112.
2 – المصدر السابق ، ص 280.
3 – ينظر. المصدر نفسة ص ص280 . 281، وابن بسام الشنتريني. ق4 ج1 . مصدر سابق، 470، والحميري. البديع في وصف الربيع. مصدر سابق، ص80.
4 – ابن سعيد . ،مصدر سابق ،ص 208-209.
5 – الحميدي. مصدر سابق، ص187.

عامر يخصهم بمجلسه، ويستمع إلى شعرهم ومنهم أبوعمر يوسف الرمادي، وأبوبكر عبادة بن ماء السماء، وأبو عبد الله محمد بن حسن الطبني، وأبو القاسم حسين بن الوليد المعروف بابن الوليد، وأبو الوضاح بن شهيد بن عبد الرحمن بن أحمد، وأبوبكر زيادة الله بن علي بن حسين اليمني، وعمر بن النجم البغدادي، وأبو الحسن علي بن محمد القرشي العباسي، وعبد العزيز بن الخطيب المجرود، وموسى بن أبي طالب، ويحي بن هذيل بن عبد الملك المكفوف، ومحمد بن إسماعيل الزبيدي.[1]

كان المنصور بن أبي عامر منذ أن أخذ البيعة للصبي هشام المؤيد بعد وفاة أبيه الحكم المستنصر بالله، مع وفاق بالغالبية العظمى من الفقهاء، وأن جميعهم لم يعترض أو يمتنع عن هذه البيعة، وإنما وافقوا على بيعته، ومنذ ذلك الحين بدأت العلاقات الوطيدة بينه وبينهم، وحاول أن يجذبهم إليه حتى لا يعارضوه ويقفوا في طريقه على أن لهم نفوذ كبير في نفوس العامة من الناس في قرطبة، لهذا نجده يقوم بالجلوس معهم ومخاطبتهم ومجادلتهم في أمور الدين والرعية والقضايا التي تهم أمور المسلمين في الدنيا والآخرة، ونجده يتقرب منهم ويقف إلى جانبهم.[2]

وبذلك نجد المنصور بن أبي عامر لم يرتقا إلى ما كان عليه الخليفة الحكم المستنصر بالله في حبه العمل على ازدهار العلم والثقافة في قرطبة، ولكن حاول بكل ما يستطيع وبدل مجهوداً كبيراً أيضاً في هذا المضمار، إذ حاول أن يكون نداً له ويرتقي بالعلوم والثقافة إلى مرتق جيد، وبذلك استمرت وتقدمت في معظم ميادين المعرفة .

1 - الحميدي. المصدر نفسه، الصفحه نفسها.

2 - ينظر ابن عذاري ،مصدر سابق ،ص ص-288 289 ،ولسان الدين الخطيب السلماني ،كتاب أعمال الأعلام.

الفصل الرابع

ازدهار العلوم في قرطبة في القرن الرابع الهجري.

■ اولاً: ازدهار العلوم الدينية

1-1- علوم القرآن.

1-2- علم الحديث .

1-3- الفقه .

■ ثانياً: ازدهار علوم الأدب واللغة.

2-1- الأدب.

2-2- الشعر.

2-3- النحو.

■ ثالثاً: ازدهار العلوم الانسانية والتطبيقية.

3-1- علم التاريخ.

3-2- علم الفلسفة.

3-3- علم الطب.

اولاً/ ازدهار العلوم الدينية في الأندلس في القرن الهجري الرابع:

كان الجانب الديني من الأساسيات في بناء الدولة والمجتمع، ومن المميزات الظاهرة لهذا البلد الإسلامي، وأن العنصر الديني جزء لا يتجزأ من حياه الناس ويحرص الحكام والرعية أن يبذلوا كل ما في وسعهم على أن تكون تصرفاتهم مطابقة لتعاليم الدين ومتمشية معه، ولذلك نجد خلفاء الدولة الأموية في القرن الهجري الرابع يكون تعاملهم مع الرعية مبنياً ومستندا إلى تعاليم الدين الإسلامي، فأحاطوا أنفسهم برجال الدين من الفقهاء والعلماء، وهؤلاء بدورهم قاموا بوظيفتهم في بناء الدولة الأموية في الأندلس، وأضفوا على تصرفاتها في نظر الرعية تأييداً حقيقياً كان له أبعد الأثر في تثبيت دعائم أركانها في قرطبة، وظهر في القرن الهجري الرابع عدد كبيرمن رجال الدين ومنهم الفقهاء الذين كان لهم دور كبير في الدولة وسياستها ولا يخلوا أي مجلس منهم على مستوي الدولة، ويسمون بجماعة الفقهاء المشاورين، وكان لهم رئيس منهم ورضاؤه عن الخليفة يعد تأييداً له وإضفاء لصفة الشرعية على حكمه[1].

وإلى جانب القضاء كان هنالك مجموعة من العلماء لها دراية بعلم الحديث، وقاموا بنشره في قرطبة، وبذلك ازدهر ازدهارا كبيراً، وخاصة أن بعض هؤلاء العلماء رحلوا إلى المشرق وقاموا بدراسة علم الحديث على أصوله على يد علماء أجلاء، وعند رجوعهم إلى بلادهم حملوا معهم هذا العلم .[2]

بالإضافة إلى ذلك ظهر بعض العلماء المجودين لقراءة القرآن الكريم وأحكامه وتلاوته، وتأليف الكتب في تفسيره، وضبط حروفه، وتم إدخال علم جديد من القراءات إلى قرطبة، ولهذا تطور علم القرآن بالأندلس وأصبح له علماء مجيدون يقومون بتدريس كتاب الله وتعليمه في معظم أرجاء البلاد، وأصبح من العلوم الدينية المتقدمة [3].

ونجد أن القرن الرابع الهجري يعد من أزهى العصور في ازدهار الثقافة في قرطبة وخاصة في العلوم الدينية سواء علم في الفقه أو الحديث أوالقرآن الكريم وسنتناول كل منها على حده.

---

1 – ينظر، ابن الفرضي ،ج1، مصدر سابق ،ص ص79-80-143-145. وابن حيان . المقتبس في أخبار بلد الأندلس ج5، مصدر سابق ،ص 22 ،وشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ،ازهار الرياض في أخبار عياض ،مصدر سابق ،ص ص273-279.

2 ينظر، ابن الفرضي، ج2 ،مصدر سابق، ص ص400-434-563، وابن بشكوال ،كتاب الصلة ،ق1 ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ،مصدر سابق ،ص 45.

3 – ينظر، الخشني . ،مصدر سابق ،ص -119 وابن بشكوال ،كتاب الصلة ،ج1 ،تح شريف أبوالعلا العدوي ،مصدر سابق ،ص 41.

اولاً / علوم القرآن :

القرآن الكريم هو الكتاب المنزل على سيدنا محمد ﷺ عن طريق الوحي، نزل به الروح الأمين سيدنا جبريل عليه السلام من عند الله سبحانه وتعالى حيث يقول الله تعالي:﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وهو أول مصدر مكتوب للتشريع الإسلامي في مسائل العقيدة والأخلاق والشريعة للمسلمين كافة، وهو كتاب ختم الله به الكتب السماوية وأنزله على نبيه ختم به الأنبياء بدين عام خالد ختم به الأديان، وهو دستور الخالق لإصلاح الخلق وقانون السماء لهداية الأرض، أنهى إليه منزلة كل تشريع، وناط به كل سعادة وهو حجة الرسول وآيته الكبرى، وهو دليلٌ على صدقه وأمانته، وكان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول ﷺ وصحابته، ومن سلف الأمة وخلفها جميعاً، ولقدعني المسلمون بدراسة القواعد المحكمة للقرآن الكريم على أساس من الفهم والتدبير وإدراك المقاصد، ولذلك ظهرت التفاسير المشهورة، والدراسات والعلوم المعروفة التي كانت في خدمة هذا الكتاب الجليل.[2]

وأن القرآن الكريم رواه الصحابة عن الرسول ﷺ على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيه الحروف في أدائها، وتنوقل ذلك واشتهر إلى أن استقرت عشر طرق معينة تواتر نقلها أيضاً، واختصت بالانتساب إلى من اشتهر برواياتها وأصبحت فيما بعد أصولاً للقراءة، وهي رواية (نافع المدني- قالون وورش، ابن كثير المكي- البزي وقنبل، أبو عمر البصري- الدوري والسوس، ابن عامر الدمشقي - هشام وابن ذكوان، عاصم الكوفي- شعبة وحفص، حمزة الكوفي- خلف وخلاد، الكسائي الكوفي- أبوالحارث والدوري، أبوجعفر المدني- ابن وردان وابن حماز، يعقوب الحضرمي البصري- رويس وروح، خلف البزار- إسحاق وإدريس)[3].

واشتهر كثير من العلماء في الأندلس في علوم القرآن، وأصبح علماً منفرداً، وتناقله الناس جيلاً بعد جيل، لذلك كثر القراء والمفسرون في هذا المجال، وتم تأليف كثير من الكتب في تفسير وشرح مفرداته وأحكامه وإعرابه من حيث معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول، وكذلك في تجويد القرآن الكريم وقراءته وكل ما يتعلق بهذا الكتاب المبين[4].

---

1 - سورة النمل، الآية 44.

2 - ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون تح محمد تامر مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة، 2007، ص 356.

3 - محمد أحمد مفلح . القضاة وآخرون، مقدمات في علم القرآن دار عمار، عمان 2001م ،ص ص260-261.

4 - ينظر الزبيدي .طبقات النحويين واللغويين .مصدر سابق ،ص ص260-259،وابن الفرضي ،ج1 ،مصدر سابق 33، المصدر نفسه ،ج2 ،ص 901.

وبازدهار الثقافة في قرطبة في القرن الهجري الرابع، كان للقرآن الكريم مكانة مميزة بين علماء الدين، وتعدد العلماء والشيوخ في هذا المجال ونذكر منهم .

1-1- أحمد بن بشر بن محمد بن إسماعيل التجيبي(ت326هـ/938م):

كان إلى جانب علمه بالحديث والفقه، عالماً بالقرآن الكريم، فقد أتقن كل ما قاله فيه قائل من جهة التفسير والعربية وهو كثير الرواية جيد الخط ضابطٌ للكتب، وقد روي عن علماء أجلاء بقرطبة وهم العجلي والخشني وابن الغازي وطاهر بن عبد العزيز، وقد نشر علمه بقرطبة بين المهتمين بعلوم القرآن.[1]

1-2- أحمد بن دحيم بن خليل بن عبد الجبار بن حرب (ت338ه/950م):

من أهل قرطبة يكنى: أبا عمر، كان عالماً بأحكام القرآن ومعتنياً بهذا العلم، وثقة فيما روى، وأخذ العلم ورواه في قرطبة عن كثير من العلماء نذكر منهم عبيد الله بن يحي، وسعيد بن عثمان الأعناقي، وسعيد بن خمير، وطاهر بن عبد العزيز، وأبي صالح، وجماعة آخرين، وكانت له رحلة إلى المشرق سنة (315هـ/927م)، وسمع بالعراق من عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، ويحي بن محمد بن صاعد، ومحمد ابن مخلد العطار، وسمع من إبراهيم بن حماد ابن أخي القاضي إسماعيل بن إسحاق كتب عنه كتاب عمه في أحكام القرآن، ونشر علمه وثقافته في قرطبة حيث أخذ عنه كل من عبيد الله بن الوليد المعيطي، ومحمد بن إسحاق بن السليم، وأبو عثمان سعيد بن نصر، وأبوعثمان سعيد بن عثمان النحوي، وأبا عبد الله الزبير بن أحمد.[2]

1-3-عبد الله بن مطرف بن محمد المعروف بابن أمنة:

من أهل قرطبة يكنى: أبا محمد، ويعد من العلماء الذين قاموا بتفسير كتاب الله، وألف كتاباً في هذا المجال، حذف منه الإسناد، وتلقى العلم في قرطبة حيث سمع من ابن وضاح، ورحل إلى المشرق في عام (311ه/923م)، وسمع من كثير من العلماء بالمشرق[3].

1-4- قاسم بن أصبغ البياني (ت340هـ/962م):

من علماء قرطبة المجيدين وألف كتباً كثيرة في علوم القرآن منها كتاب في أحكام القرآن على أبواب كتاب إسماعيل بن إسحاق القاضي، وكتاب في الناسخ والمنسوخ.[4]

---

1 - الزبيدي طبقات النحويين واللغويين ، مصدر سابق ،ص 282.

2 - ينظر ابن الفرضي ،ج1 ،مصدر سابق، ص ص82–83والحميدي ، ،مصدر سابق ،ص 122.

3 - ابن الفرضي ،المصدر السابق ،ص 395.

4 - الحميدي . المصدر السابق ،ص 331.

1-5- محمد بن فرج بن عبد الله بن مفرج المعافري:

من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله، سمع من كثير من العلماء في قرطبة، ورحل إلى المشرق فسمع من علمائها، فروى بمصر تأليف أحمد بن محمد بن النحاس في إعراب القرآن، وفي المعاني وفي الناسخ والمنسوخ، وهو أول من أدخل هذه الثقافة إلى الأندلس حيث عمت الفائدة على أهلها بهذه المصنفات في علوم القرآن.[1]

1-6- علي بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن بشر:

من أهل انطاكيا يكنى: أبا الحسن، من الداخلين إلى الأندلس حيث دخلها عام (352هـ /964م)، وهو كثير القراءات، عالمُ بها رأسُ فيها لا يستطيع أحد أن يجاريه أو يتقدمه في وقته، أخذ العلم عن علي بن إبراهيم بن عبد الرزاق المقري بأنطاكيا، وجود عليه السبعة، وأخذعنه علماً كثيراً رواية، وقرأ على جماعة آخرين وأدخل معه إلى الأندلس علماً كثيراً من القراءات، وأفاد منه الطلبة بالأندلس حيث قرأ عليه كثيرمنهم وكتبوا عنه وسمعوا منه القراءات.[2]

1-7- منذربن سعيد البلوطي القاضي (ت356هـ/966م):

فإلى جانب داريته بالفقه، كان ذاعلم بالقرآن الكريم، حافظاً لما قالت العلماء في تفسيره وأحكامه، ووجوهه في حلاله وحرامه، كثير التلاوة حاضر الشاهد بآياته، له فيه كتب مفيدة منها كتاب (الأحكام) وكتاب(الناسخ والمنسوخ).[3]

1-8-عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبيد الله الرعيني(ت397ه/1007م):

معروف بابن المشاط، من أهل قرطبة، يكنى: أبا المطرف، كان ممن يتلون القرآن الكريم ويجودونه نظراً لحسن صوته، مع حفظه له، وهو من أهل العلم والفهم والمعرفة واليقظة، ولقد أخذ القراءات عن أبي الحسن الأنطاكي المقري، وكان له تأليف حسن عند ما قلد نظم التاريخ حيث جمع فيه كتاب (الباهر) في التاريخ، ونظراً لتعلقه بكتاب الله وحفظه الشديد له فقد توسم فيه الحاجب المنصور بن أبي عامر خيراً حيث ولاه عنده عدة مناصب في الدولة ومنها الشورى في أيام القاضي أبي بكر بن زرب، وأحكام الشرطة، وحفظة الوثائق السلطانية وقضاه إستجة وأشبونة وقرمونة ومورور وتاكرت.[4]

---

1 – ابن الفرضي ،المصدر السابق ،ج2،ص 756 .
2 – المصدر نفسه ،ص 536.
3 – الزبيدي ،طبقات النحويين واللغويين ،مصدر سابق، ص295.
4 – ابن بشكوال ،الصلة ،ج1 ،مصدر سابق ، ص ص327\328 .

1-9- أحمد بن وليد بن هشام بن أبي المفور:

من أهل قرطبة، ويكنى أبا عمر، وأخذ القراءة عرضاً عن أبي الحسن الأنطاكي وجود عليه حرف نافع برواية ورش وقالون، وسمع منه كثيراً من كتبه، وهو من المهتمين بكتاب الله من حيث القراءة والحفظ والتلاوة[1].

1-10- أحمد بن بريل المقري(ت400هـ/1012م):

من أهل قرطبة، ويكنى: أبا عمر، كان أحد القراء المجودين الحفاظ للقرآن الكريم، وهو من أهل الحجة والفضل درس وسمع القرآن على أبي الحسن الأنطاكي المقري بقرطبة، ورحل إلى مصر وجود بها القرآن وسمع الحديث.[2]

1-11- أحمد بن قاسم بن عيسى بن فرج بن عيسى المقري الأقليشي(ت410هـ/1022م):

سكن قرطبة، ويكنى: أبا العباس، ونقلاً عن ابن بشكوال قال: حدث عنه أبوعمر ابن عبد البر والصاحبان وأبوعبدالله ابن أسلم، والخولاني وقال: كان رجلاً صالحاً فاضلاً مجوداً للقرآن، وقائماً بالروايات، وأخذ العلم بقرطبة عن عمر أحمد بن الجسور وغيره، وكانت له رحلة إلى المشرق، فدخل بغداد وسمع بها من أبي القاسم عبيد الله بن محمد بن حبابة البزاز، وأبي حفص عمر بن إبراهيم الكتاني وغيرهما، ولقي بمصر أبا الطيب ابن غلبون المقري، وأخذعنه كتبه، وألف أبوالعباس كتباً في معاني القراءات، وقام بتدريسها في مساجد قرطبة حيث أفاد منه أهل قرطبة، وأخذها عنه كثير منهم كتابة ورواية.[3]

1-12- سليمان بن هشام بن وليد بن كليب المقري المعروف بابن الغماز (ت400هـ/1012م):

يكنى أبا الربيع، نقلاً عن ابن بشكوال قال: ذكره أبو عمر بن الحداء وقال: كان أحفظ من لقيت بالقراءات وأكثرهم ملازمة للإقراء بالليل والنهار، وكان أطيب من لقيت صوتاً بالقرآن، وذا ضبط وحفظ للحروف وحسن اللفظ بالقرآن.[4]

1-13- أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربعي الباغاني (ت401هـ/1013م):

يكنى : أبا العباس، وهو من الوافدين إلى الأندلس حيث وصل إلى قرطبة عام (376هـ/988م) ،وهو من أهل العلم والحفظ والذكاء والفهم، وكان في حفظه للقرآن الكريم آية من آيات الله تعالى، وبحراً من بحور العلم لا نظير له في علم القرآن، وقراءاته،

1 - المصدر نفسه ،ص42 .
2 - المصدر نفسه ،ص64 .
3 المصدر السابق ،ص 56.
4 المصدر نفسه ،ص 222.

وإعرابه، وأحكامه، وناسخه ومنسوخه، وقام بتأليف كتاب حسن دا فائدة عظيمة لأهل قرطبة في أحكام القرآن كتب فيه معلومات كثيرة عن الأحكام، وقام بتدريس القرآن الكريم للطلبة بجامع قرطبة وأفادوا منه كثيراً.[1]

1-14- عبد الرحمن بن مروان بن عبدالرحمن الأنصاري المعروف بالقنازعي (ت413هـ/1025م):

من أهل قرطبة، يكنى: أباالمطرف، يمتاز بعدة مزايا في علوم القرآن حيث إنه من المجودين له وتعليمه، ومن المتهجدين به، عالمٌ بتفسيره، وأحكامه، وحلاله وحرامه، قام باختصار تفسير ابن سلام في القرآن الكريم، وقد أخذ وروى عن كثير من العلماء الأجلاء بقرطبة منهم أبو عيسى الليثي، والزبيدي، وابن القوطية، وأبو المغيرة خطاب بن مسلمة، وأبو بكر بن السليم القاضي، وقرأ القرآن وجوده على أبو الحسن علي بن محمد الأنطاكي المقري، وأبو عبد الله ابن النعمان، وأبو القاسم أصبغ بن ثمام الخراز، وكانت له رحلة إلى المشرق الإسلامي عام (367هـ/979م)، ونهل العلم في كل من القيروان، ومصر، وحج بمكة وأخذ من علمائها، وروي عنه أنه سمع من علماء هذه البلدان، حيث بلغ ممن سمع وروي عنهم حوالي سبعمائة محدث، وإلى جانب درايته بعلوم القرآن كان عالماً فقيهاً دؤوبا على العلم بصيراً بالحديث حافظاً للرأي، عارفاً بعقد الشروط وعللها، ورجع من المشرق عام (371هـ/983م)، محملاً بتراث علمي وثقافي، حيث أقبل عليه الدارسون المتلهفون للعلم والثقافة، ونهلوا من ثقافته كثيراً وفي آخر حياته أقبل على الزهد واقراء القرآن وتعليمه ونشر العلم بقرطبة.[2]

إلى جانب ذلك قام بتأليف كثير من الكتب في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، منها كتاب مختصر حسن في (الشروط وعللها)، وكتاب في (تفسيرالموطأ)، ضمنه ما نقله الفقيه يحي بن يحي في موطئه ويحي بن بكر في موطئه، واختصر كتاب (تفسير ابن سلام في القرآن).[3]

نلاحظ من خلال ما سبق تميز المشرق على غيره بالعلوم الدينية وخاصة علوم القرآن، ومعظم العلماء الذين رحلوا إلى قرطبة قدموا من بغداد وانطاكية، وان علماء الأندلس الذين كانت لهم دراية بهذا العلم، أما رحلوا إلى المشرق لتلقي هذه العلوم، أو تلمذوا على أساتذة من المشرق، وخاصة من أنطاكية، ولهذا اشتهرت دراساتهم في هذا الفن من العلوم الدينية في حاضرة الأندلس، وفي باقي ربوعها مما يدل على أن مدن المشرق لها أسبقية في تعلم وتعليم القرآن الكريم من جميع جوانبه سواء من ناحية قراءته أو تجويده أو تفسيره.

1 ابن بشكوال. ،كتاب الصلة ،ج1، الدار المصرية للتأليف والترجمة ،مصدر سابق ،ص 85.
2 ابن بشكوال،، كتاب الصلة ،ج1، تح أبو العلا العدوي، مصدر سابق ،ص ص 338-339.
3 المصدر نفسه ،ص 339.

ثانياً / علم الحديث :

إن الأندلس الإسلامي كان يمر خلال القرن الرابع الهجري بمرحلة انتقال ذات أهمية كبيرة في تاريخه، وهي مرحلة استقرار وإنشاء وتجديد في كل ناحية من نواحي حياته، وكان لابد أن تتجه الحركة العلمية في البلاد اتجاهاً موازياً لهذا الانتقال الثقافي الحضاري، وكانت مدرسة الحديث قد ازدهرت في ذلك القرن، وقدمت محدثين علماء من الطراز الأول، ونعني بالمحدثين أولئك الذين اتجهوا إلى دراسة الأصل الثاني من أصول العقيدة والتشريع الإسلامي وهو علم الحديث، ونجدهم الغالبية منهم من أتباع مذهب مالك، ا لذين نظروا إلى الموطأ على أنه مسند، وإلى الإمام مالك على أنه محدث، ومضوا في دراسة أحاديث مالك دراسة مستقلة عن الأحكام والآراء التي رتبها مالك، وبذلك كثر عدد المحدثين في قرطبة خاصة والأندلس عامة في هذا القرن، وذلك لما وجدوه في دار الخلافة من تشجيع، وحفظهم لدين الله واستبصارهم في حمايته، متقفين لأثار الخلفاء ابائهم والأئمة من سلفهم القائمين بالكتاب والسنة.[1]

ولذلك نجد أن علم الحديث يهتم بالأحاديث النبوية الشريفة التي جاءت على لسان نبينا محمد ﷺ ونزلت عليه تكملة لما جاء في القرآن الكريم، وكل ما نطق به ﷺ من أقوال وأفعال فهي صحيحة، ويقول الله تعالى مبيناً الثقة في الأحاديث النبوية الشريفة لقوله تعالى:﴿ وَمَايَنطِقُ عَنِ الْهَوَى۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى۞ عَلَّمَه شَدِيدُ الْقُوَى ﴾.[2]

وقال تعالى:﴿ إِنَّا نَحْن نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.[3]

وقد تجلت عناية المسلمين في صور كثيرة لحفظ السنة النبوية الشريفة، كالحرص على حفظ سنة رسول الله ﷺ عن ظهر قلب، وفي بطون الصحائف والكتب والحرص على نقلها مسلسلة من راوٍ إلى آخر، ومن جيل إلى الأجيال من بعده، وكذلك استنباط هذا العلم الجليل وتتبع الأسانيد، وفحص الرجال.

وبلاد الأندلس كغيرها من أرض الإسلام قد اهتمت بعلم الحديث وتفاعلت مع قضاياه ولذلك ظهر فيها عدد كبير من العلماء والشيوخ في علم الحديث، ولهم صيت وباع كبير، وعلى مستوى راق، وخاصة أنهم درسوا هذا العلم داخل الأندلس وخارجه على علماء أجلاء وسمعوا منهم وكتبوا عنهم وقرأوا مؤلفاتهم في هذا الجانب نذكر من هؤلاء العلماء

---

1 ينظر. ابن حيان ، المقتبس في أخبار أهل الأندلس، ج5 ،مصدر سابق ،ص 23، وأبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، مصدر سابق ص 161، وابن بشكوال ،كتاب الصلة ،ج2، تح شريف العدوي ،مصدر سابق ص 152.

2 سورة النجم ،الآيات 3-4-5.

3 سورة الحجر الآية 9.

في القرن الرابع الهجري الذين اشتهروا برواية ودراسة علم الحديث والخوض فيه من إسناد وتصحيح وتأليف وتدريب :

2-1- عبد الله بن محمد بن حسين(ت318هـ/930م):

يكنى: أبا محمد، ويعرف بابن أخي ربيع، عاش في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، كان معتنياً بعلم الحديث إماماً فيه بصيراً بعلمه حسن التأليف للكتب، ولقد درس علم الحديث على عدد من العلماء بقرطبة منهم عبيد الله بن يحي، وأبو صالح وسعيد وعثمان الأعناقي، وأسلم بن عبد العزيز، ومحمد بن عمر بن لبابة، وأحمد بن خالد، وابن أيمن، وكانت له رحلة إلى المشرق حج فيها وفي طريقه سمع من عدد من العلماء بمصر، منهم محمد بن زيان، وأبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الحافظي، وأبو إسحاق إبراهيم النسائي القاضي، وكذلك سمع من عدد من العلماء بمكة. [1]

2-2- أحمد بن محمد بن عبد البر(ت338هـ/950م:

من أهل قرطبة، من موالي بني أمية ويكنى: أبا عبد الملك، ويعد من أهل العلم متفنناً فيه، من كبار العلماء في علم الحديث، وهو فقيه ونبيل، له كتاب مؤلف في الفقهاء بقرطبة، ولقد درس العلم على شيوخ أجلاء بقرطبة، وهم محمد أحمد الزراد، وابن لبابة، وأسلم بن عبد العزيز، وقاسم بن أصبغ.[2]

2-3- قاسم بن أصبغ بن محمد يوسف بن ناصح بن عطاء(ت340هـ/962م):

مولى أمير المؤمنين الوليد عبد الملك بن مروان، من أهل قرطبة، يكنى: أبا محمد ويعرف بالبياني، يعد إماماً من أئمة الحديث، يحفظ كثيراً من الأحاديث النبوية، وجمع من العلم أضعاف ما جمع غيره، حيث إنه أفاد كثيراً من رحلته إلى المشرق والتقائه بعدة علماء تختلف اتجاهاتهم العلمية مما أكسبه علماً كثيراً ودراية بعلم الحديث، وإلى جانب علمه ودرايته في الحديث، فهو بصير بعلم النحو والغريب والشعر، وكان يشاور في الأحكام من غير أن يتولى منصباً في فترة حياته، وعند رجوعه من المشرق، رجع محملاً بعلم كثير، حيث حمل معه إلى بلاده، تاريخ أحمد بن زهير وكتب ابن قتيبة [3]*.[4]

ونظراً لغزارة علمه واطلاعه على كثيرمن الكتب، وسماعه لعدد من العلماء الأجلاء

---

1 ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ، ج1 ص ص-385 386 .

2 انظر، المصدر نفسه ص ص88-89، وابن الأبار .الحلة السيراء ،ج1، مصد سابق ص 207.

3 * من كتب ابن قتيبة (الميسر-، السياسة والامامة)

4 – انظر، ابن الفرضي،ج2. المصدر السابق، ص ص613، والحميدي ،، مصدر سابق ص 330.

فإنه قام بتأليف عدد كبير من الكتب المميزة في العلوم الدينية، في علم الحديث وعدة ضروب من العلوم الأخرى، وفيها صنف في السنن كتاباً ضخماً حسناً، وله كتاب(المجتبى) كتبه وصنفه على أبواب كتاب بن الجارود (المنتقى)، وقد قدم هذا الكتاب للحكم المستنصر بالله، وفيه من الحديث المسند ألفان وأربعمائة وتسعون حديثاً في سبعة أجزاء، وصنفه على أبواب الفقه، وله الفضل في نشر العلم بالأندلس على هذه الطريقة، وله كتاب في(فضائل قريش)، وكتاب في(غرائب حديث مالك بن أنس(مما ليس في كتاب الموطأ)، وله كتاب في (الأنساب) في غاية الحسن والجودة والإتقان[1]

سمع علمه ودرسه على علماء أجلاء بقرطبة لهم صيت وباع كبير في علم الحديث منهم بقي بن مخلد، وأبوعبد الله الخشني، ومحمد بن وضاح، ومطرف بن قيس، وأصبغ بن خليل، وإبراهيم بن قاسم بن هلال، وعبد الله بن قاسم بن هلال، وعبد الله ابن مسرة، وكانت له رحلة مفيدة إلى المشرق استقى فيها كثيراً من العلم، حيث رحل عام (274هـ/888م)، وزار كثيراً من المدن الإسلامية وهي مكة، وبغداد، والكوفة ومصر والقيروان، وسمع من عدد كبير من العلماء في هذه المدن، وخاصة القضاة الذين لهم دراية بعلم الحديث والفقه، وكثير من أئمة المسلمين، وعلى سبيل المثال سمع بمكة من محمد بن إسماعيل الصائغ، وعلي بن عبد العزيز، وفي بغداد من قاضي القضاة إسماعيل بن إسحاق والقاضي أحمد بن محمد البرتي، وسمع بالكوفة من عبد الله بن مسلم بن قتيبة، حيث سمع منه كثيراً من كتبه، ومحمد بن يزيد المبرد، وفي مصر سمع من محمد عبد الله العمري، وبالقيروان من أحمد بن يزيد المعلم وبكر بن حماد التاهرتي.[2]

كان المحدث قاسم بن أصبغ من العلماء الذين كان لهم دور بارز في ازدهار الثقافة في قرطبة، إذ بعد رجوعه من المشرق أتى محملاً بعلم كثير وثقافة متنوعة ومختلفة عن الثقافة الأندلسية، ذهب الناس إليه للسماع منه والدراسة على يديه، وخاصة المصنفات العلمية التي جاء بها، وبذلك اكتسب الثقة والجلالة من أهل الأندلس، واشتهر أمره وانتشر ذكره بين المثقفين وطالبي العلم وخاصة الثقافة الدينية بقرطبة، ولهذا روى عنه جماعة كثيرة من أهل قرطبة ونذكر منهم عبد الوارث بن سفيان وأحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد المعروف بابن الجسور وسعيد بن نصر وأحمد بن قاسم ويعيش بن سعيد بن محمد الوراق وعبد الله بن نصر الزهري وابن ابنه قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ

1 - ينظر، الحميدي، المصدر السابق، ص331، وابن الأبار ،مصدر سابق ،ص ص50-51.
2 - ابن الفرضي، ،، مصدر سابق ،ص ص611-612.

ومحمد بن زكريا الزهري ومحمد بن عبد الله بن محمد الأسدي وغيرهم.[1]

2-4- خالد بن سعد (ت352ه/964م):

من أهل قرطبة يكنى: أبا القاسم، كان إماماً في علم الحديث له دراية كبيرة به، حافظاً له، بصيراً بعلله، عالماً بطرقه، مقدماً على أهل زمانه في ذلك وهو أمثل أهل وقته، إذ لم يكن عند أكثر رجال الأندلس المتقدمين تقدم في علم الحديث، له كتاب في رجال الأندلس ألفه للخليفة الحكم المستنصر بالله، وتلقى العلوم الدينية وغيرها في قرطبة على مجموعة من العلماء الأندلسيين وهم: محمد عمر بن لبابة وأحمد بن خالد بن يزيد ومحمد بن الوليد بن محمد وعثمان بن عبد الرحمن الإلبيري ومحمد بن مسور وأسلم بن عبد العزيز وغيرهم من العلماء، ولقد حصلت به الفائدة ومن علمه حيث أنجب طلاباً مجيدين بقرطبة وذلك بإلقاء الدروس عليهم في علم الحديث والتف حوله عدد كبير من الطلبة نذكر منهم أحمد بن خليل وقاسم بن محمد بن قاسم المعروف بابن عسلون، وغيرهم وبذلك يعد من المحدثين الذين قاموا بدور كبير وبارز في ازدهار الثقافة في قرطبة.[2]

2-5- محمد بن أحمد بن محمد بن يحي بن مفرج (ت380ه/972م):

مولى الإمام عبد الرحمن بن الحكم من أهل قرطبة، يكنى: أبا عبد الله، ويعد من الحفظة والدراية الكبيرة لعلم الحديث، عالماً به، بصيراً بالرجال لعلم الحديث صحيح النقل جيد الكتابة على كثير ما جمع من علمه، ونظراً لعلمه الغزير قام بتأليف عدد من الكتب للخليفة الحكم المستنصر بالله مما جعلته من المقربين منه، وهي جلها في علم الحديث الذي اختص به، ومنها كتب في (فقه الحديث) وفي (فقه التابعين) وهو (فقه الحسن البصري) في سبع مجلدات، وفقه (الزهري) في أجزاء كثيرة وجمع مسند (حديث قاسم بن أصبغ) للحكم المستنصر بالله، وتم مكافأته من الحكم المستنصر بالله على تأليف هذه الكتب وتقدمه العلمي في علم الحديث أن قلده القضاء على أستجة* ثم ريه*، وتلقى العلوم في البداية في مدينة قرطبة على علماء أندلسيين، ثم رحل إلى المشرق عام (337هـ/949م)، وطاف عدة مدن مشرقية، واستمع وروى وكتب عن كثير من شيوخها، حيث ذهب إلى كل من مصر واليمن ومكة والمدينة وبيت المقدس وغزة وعسقلان وطبرية ودمشق وطرابلس وبيروت وصيدا وصور وقيسرية والرملة، وبلغ عدد الشيوخ الذين روى وأخذ عنهم ما يقارب من مئتين شيخ

---

1 – ينظر. ابن الفرضي .المصدر نفسه ،ص 613،والحميدي المصدر السابق، ص 331، وابن بشكوال كتاب الصلة ،ج2، تح شريف العدوي ،مصدر سابق ،ص 135.

2 ينظر. ابن الفرضي، ، مصدر سابق ،ص 240،الحميدي ،مصدر سابق ،ص 205

ورجع من رحلته عام (345هـ/957م)، واستغرقت رحلته ثماني سنوات، وعند رجوعه كان محملاً بكثير من الثقافة والعلوم الدينية وأسهم في أزدهار الثقافة بقرطبة بنشرها بين رواد العلم بها مما أسهم مساهمة فعالة في هذا المجال العلمي.[1]

2-6- يحي بن يحي الليثي:

من أهل قرطبة، يكنى أبا عيسى شيخ جليل فقيه، أرفع مسندي الحديث في وقته، ولقد تلقى الدروس على عدد كبير من علماء قرطبة، حيث سمع من عم أبيه مروان عبيد الله بن يحي عن أبيه يحي الليثي موطأ الامام مالك بن أنس وسماع ابن القاسم، وحديث الليث ابن سعد، وعشرة يحي بن يحي الليثي، وتفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وشاهد ابن هشام، وقد سمع منه كتاب (التفسير) لعبد الله بن نافع وسمع ببجانة من علي بن الحسن المربي (كتاب التفسير) ليحي بن سلام، وسمع من سعيد بن فحلون (الواضحة) وغير ذلك من كتب ابن حبيب، ولسمو درجته العلمية بين أهل زمانه وأقرانه بقرطبة، واعتلاء منزلته في الرواية سمع منه جماعة من الشيوخ والكهول وطبقات الناس، حيث عمل بالتدريس لعلم الحديث بقرطبة، وأصبح من المشهورين حيث إن مجلسه من أكبر المجالس أثناء تدريسه لكتاب الموطأ، وروى عنه كثير من العلماء الذين أصبح لهم صيت علمي وثقافي كبير في قرطبة، ومنهم أبو عمر الطلمنكي وابن الفرضي ويونس بن مغيث وأبو عبد الله بن يحي بن الحداء والحافظ أبو عبدالله بن عمر بن الفخار وخلف بن عيسى الوشقي وعثمان بن أحمد، وخلق كثير، بالإضافة إلى ذلك فإن الأمير الخليفة الحكم المستنصر بالله أمر في الإرسال إليه لاجلاسه عند الأمير أبو الوليد هشام ولده المرشح لولاية العهد للسماع منه والأخذ عنه علم الحديث وبعض العلوم الدينية الأخرى وذلك في عام(364هـ/974م)، ويعد أيضاً من العلماء الذين حملوا لواء العلم والثقافة الدينية ونشرها بين أهل العلم، وبالمساهمة في ازدهار الثقافة في قرطبة.[2]

2-7- خلف بن قاسم بن سهل بن محمد بن يونس الأسود الازدي (ت393ه/1003م):

من أهل قرطبة، يعرف بابن الدباغ، ويكنى:أبا القاسم، من العلماء النبلاء في علم

---

1 ينظر- ابن الفرضي.ج2.المصدر السابق ،ص 536، والحميدي.المصدر السابق، ص 40، و الضبي- المصدر السابق، ص 38.

ه- انظر الملحق رقم2.

2 – ينظر- ابن الفرضي، ،مصدر سابق ،ص ص919-920، ابن حيان المقتبس، تح علي الحجي، مصدر سابق ،ص 217، شمس الدين محمد بن أحمدبن عثمان الذهبي ،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام،.تح عمر عبد السلام تدمري.ج26. دار الكتاب العربي ، بيروت1989مص 338.

الحديث، حيث استوسع واستكثر في كتابة الأحاديث النبوية الشريفة ومن الحفاظ لها والعالم بطرقها، منسوباً على العلماء، وكان أيضاً ملما وله دراية وعناء بكتاب الله القرآن الكريم، حيث قراءه على جماعة من أهل القراءات وجوده، وألف بعض الكتب في الزهد، وخرج من أحاديث الأئمة حديث مالك بن أنس وشعبة بن الحاج، وكانت له رحلة إلى المشرق لزيادة الفهم والدراية بهذه العلوم حيث سمع وروى وكتب في كل من مصر، وكور الشام وهي الرملة وعسقلان وبيت المقدس ودمشق ومكة، وعدد الشيوخ الذين لقيهم وكتب عنهم حوالي مئتان وستة وثلاثون شيخاً، ونظراً لاجتماع فهمه الواسع ودرايته بعلم القرآن وعلم الحديث معاً فقد أجتمع إليه كثير من الناس، وسمعوا وقراؤو مؤلفاته في الزهد والأحاديث النبوية، ولهذا ترك آثاراً ثقافية وعلمية حسنة في قرطبة وأفاد منه الناس من علمه وثقافته، وخاصة أنه تجول في المشرق وكتب وسمع عن عدد كبير من العلماء والشيوخ من لهم باع وصيت كبير في العلوم الدينية، وخاصة القرآن الكريم والأحاديث النبوية.[1](1)

2-8- عبد الرحمن بن محمد بن عيسي بن فطيس بن أصبغ بن فطيس بن سليمان:

كان من جهابذة المحدثين، وكبار العلماء والمسندين والحافظين له ولعلله منسوباً إلى فهمه وإتقانه، عارفاً بأسماء رجاله ونقلته، بصيراً بالمعدلين منهم، وحين كان الغالب عليه الرواية والبصر بطرق الحديث، وله عناية كاملة بتقييد السنن والأحاديث المشهورة والحكاية المسندة، جامعاً لها مجتهداً في سماعها وروايتها، وكان يملي الحديث من حفظه في مسجده ومستمل بين يديه على ما يفعله كبار المحدثين بالمشرق، والناس يكتبون عنه، ونظراً لعلمه الوافر وحفظه لعلم الحديث فإنه قام بتأليف كثير من المؤلفات في علوم الدين بمختلف تخصصاته وجمع منها كتباً ذات قيمة علمية وثقافية ومن هذه المؤلفات :

2-8-أ- كتاب القصص والأسباب التي نزل من أجلها القرآن في نحو مئه جزء ونيف .

2-8-ب- كتاب المصابيح في فضائل الصحابة مائة جزءاً .

2-8-ج- فضائل التابعين لهم للصحابة بإحسان مائة وخمسون جزءاً .

2-8-د- الناسخ والمنسوخ ثلاثون جزءاً .

2-8-هـ- كتاب الأخوة من المحدثين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين أربعون جزءاً.

2-8-ز- أعلام النبوة ولألات الرسالةعشرة أسفار .

---

1 (1) أبن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج-1 المصدر السابق ، ص 250 - 251

8-2-س- كرامات الصالحين ومعجزاتهم ثلاثون جزءاً.

8-2-ص- مسند حديث محمد بن فطيس خمسون جزءاً.

8-2-ع- مسند قاسم بن أصبغ العوالي ستون جزءاً.

8-2-ل- الكلام على الإجازة والمناولة عدة أجزاء .

سمع ودرس الحديث وكتبه عن عدد من العلماء القرطبيين منهم أبوجعفر أحمد بن عون، وأبوعبدالله بن مفرج، وأبو الحسن الأنطاكي المقري، وأبو زكريا بن عائذ، وأبوعبد الله بن القاسم القلعي، وأبو أحمد البلجي، وأبو محمد الأصلي، وأبوالقاسم خلف بن القاسم، وأبو عيسى الليث، وأبو محمد بن عبد المؤمن ورشيد بن محمد، وكانت بينه اتصالات علمية مع عدد كبير من العلماء خارج الأندلس وكتبوا إليه، فكتب إليه من مكة أبو يعقوب بن الدخيل، ومن مصر أبوالحسن ابن رشيق، وأبوالقاسم الجوهري، ومن بغداد أبوالطيب أحمد بن سليمان الحريري، وأبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، وأبوبكر الأبهري، ومن القيروان أبومحمد بن أبي زيد الفقيه، وأبو أحمد بن نصر الداودي، ونظراً لما يمتاز به من نتاج علمي غزير، وغزارة أيضاً في تأليف الكتب أصبح من المؤدبين، حيث كان يدرس في مسجده، ويأتي إليه الطلبة للاستماع والكتابة منه، ودرس في مسجده كبار العلماء في قرطبة، وأخذوا عنه ومنهم أبوعمر بن عبد البر وأبو عبدالله بن عائذ والصاحبان، وابن أبيض وسراج القاضي وأبوعمر بن سميق، والطلمنكي وحاتم بن محمد وأبو عمر الحذاء والخولاني، وأبوحفص الزهراوي، وبذلك فإن قرطبة ازدهرت فيها الثقافة بهؤلاء العلماء أمثال عبد الرحمن بن فطيس الذي كرس وقته وجهده وماله من أجل نشر العلم بين أهل قرطبة حتى يصبح معظم أهلها على ثقافة عالية وخاصة في العلوم الدينية التي لها علاقة يوميه بكل الناس .[1]

نلاحظ أن معظم علماء الأندلس في علم الحديث رحلوا إلى المدن في المشرق ونهلوا علومهم فيها ومنها بغداد والكوفة ودمشق والرملة وبيت المقدس وعسقلان وبيروت وطرابلس ومكة والمدينة واليمن ومصر، لأن مدرسة الحديث في المشرق ازدهرت ازدهاراً كبيراً، وأخرجت محدثين علماء من الطراز الأول، حيث تلمذوا على عدد كبير منهم مثل محمد بن زيان أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الحافظي، وأبو إسحاق إبراهيم النسائي القاضي، وإسماعيل بن إسحاق وأحمد بن محمد البرتي وعبد الله بن مسلم بن قتيبة ومحمد بن يزيد المبرد ، وذلك لسبقهم في هذا العلم .

1 ينظر، ابن بشكوال كتاب الصلة ،ج1 ،تح شريف العدوي ،مصدر سابق ،ص ص329-230-231، وابن سعيد . ،مصدر سابق ،ص 216،وأبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ،مصدر سابق ،ص 163.

ثالثاً / الفقه:

ازدهرعلم الفقه في الأندلس، وظهر فيه علماء كثيرون تفقهوا في علوم الدين، وخاصة في المذهب المالكي، لأن الغالبية العظمى من مسلمي الأندلس يتبعون المذهب المالكي، وقد درس بعض العلماء في الأندلس، ومنهم من رحل إلى الحواضر الإسلامية الأخرى وخاصة مكة والمدينة لأداء فريضة الحج والتعلم والتفقه، وفيهم من رحل للعلم فقط، وتفقهوا ودرسوا علم الفقه فيها، وبعد عودتهم أتوا محملين بكثير من العلم، وتقلد بعضهم مناصب عليا في الدولة وخاصة في القضاء الذي يعد من المهام الصعبة، ولا يتقلدها إلا من له دراية بعلم الفقه وأصول الدين، وعلم الأحكام والشروط، ولهذا حرص كثير منهم على تعلم هذا النوع من العلوم الدينية، لأنه من الضروريات التي يجب أن يتعلمها عدد كبير من العلماء وخاصة مع تطور الحياة وتعقدها تطرأ مسائل جديدة في حياة المسلمين، ولا يوجد نص صريح في القرآن والسنة يشير إلى حلها ولا في اجتهادات العلماء السابقين، فتطلب من الفقهاء والعلماء الاجتهاد للحصول على حل مناسب لها ولا يتعارض مع روح الإسلام عن طريق القياس أو الإجماع.[1]

وسنتحدث عن بعض هؤلاء الفقهاء الذين قاموا بدراسة الفقه وتعليمه فيما يلي من صفحات على النحو التالي:

3-1- محمد بن عبدالله بن يحي الليثي (ت339هـ/951م):

من أهل قرطبة، ويعد من علماء الفقه المرموقين في قرطبة، ويمتاز برجاحة العقل والعلم الوفير، وصحه الضبط في النقل، كريم الأخلاق محمود التصرف، في إقامة الحدود وإيثار الحق على عامة الناس دون تمييز، ونظراً لعلمه بالفقه وأصول الدين أصبح من الفقهاء الذين يشاورهم قاضي الجماعة القاضي أحمد بن بقي، وتم تقليده من قبل الناصر عدة أمانات، فقام بها على أكمل وجه، وبذلك تحصل على ثقته ومحبته، ووجده من المخلصين الناصحين في عملهم، وتقلد قضاء الجماعة بقرطبة **فتولاه بسياسة محمودة من تنفيذ الحقوق أو إقامة الحدود بكل صرامة وحزم والكشف عن البيانات في السر، والصدع بالحق في الجهر، ولم يستطع استمالته أي مخادع خارج عن الطاعة ولم يخف من أي جبار**[2].

1 ينظر. الخشني ،. مصدر سابق، ص 119، وابن بشكوال. كتاب الصلة .ج1 ،تح العدوي، مصدر سابق ،ص 41.

2 - ينظر. ابن الفرضي. ج2. مصدر سابق، ص ص719.718، والخشني. مصدر سابق، ص ص119.118، وأبو الحسن بن عبد الله النباهيالمالقي الأندلسي. مصدر سابق ص60.

ص

2-3- منذر بن سعيد بن عبدالله بن عبد الرحمن بن قاسم بن عبد الله البلوطي ثم الكنزي (ت356هـ/967م):

يكنى:أبا الحكم، من أهل قرطبة، وينسب في البربر في فخذ منهم يقال له كنزة، ومنسوب إلى موضع قريب من قرطبة يقال له فحص البالوط.[1]

كان مذهبه في الفقه مذهب النظر والاحتجاج، وترك التقليد، عالماً باختلاف العلماء، يميل إلى رأى داود بن علي بن خلف العباسي يحتج له، ويؤثر مذهبه، ويجمع كتبه، وهذا الراي معروف بالقياس، وبالظاهري، ويأخذ به في نفسه وذويه، فإذا جلس للحكومة قضى بمذهب الإمام مالك وأصحابه، بالذي استقر عليه العمل في بلدهم وحمل عليه السلطان أهل مملكته، وهو ذو علم بالجدل، حاذقٌ فيه،شديد العارضة ثابت الحجة إلى جانب ذلك علمه بالقرآن الكريم، غزير العلم، كثير الأدب، وكان خطيباً بليغاً وشاعراً محسناً[2].

وله اشعار في الزهد منها:

كم تَصَابي وَقَدْ عَلَاك المَشيبُ وتَعامي عَمْداً وأنت اللبيبُ

كَيفَ تَلْهو وَقَدْ أتَاكَ نـذيرُ إنَّ يومَ الحِمامِ مَنْكَ قريب[3]

وقال:

هَذا المقالُ الذي ما عَابَه فندُ لكنَّ قائلة أزرى بِهِ البلدُ

لوكُنْتُ فيهم غريبّاً كنت مُطرّحاً لكنّني منهم فاغتالني النكدُ

لولا الخلافةُ أبقي اللهّ بَهجَتَهاما كنتُ أبقي بأرضٍ ما بها أحد.[4]

تلقي العلم في الأندلس بقرطبة في بداية حياته وسمع من عبد الله بن يحي ونظرائه، ورحل حاجاً عام(308هـ/921م)، وبقى في رحلته حوالي أربعين شهراً، لقى فيها **جماعة من علماء اللغة والفقه، وأخذ بمكة ودرس على محمد بن المنذر كتابه المؤتلف في الاختلاف المسمى كتاب (الأشراف) وأخذ عن غيره من العلماء بها وروى بمصر كتاب (العين) روايه عن أبي العباس بن ولاد، ولقى أبا جعفر أحمد بن محمد بن النحاس النحوي** بمصر وحضر مجلسه في الإملاء.[5]

---

1 - ينظر. ابن الفرضي. ج2. مصدر سابق، ص845، والحميدي. مصدر سابق، ص348.

2 - ينظر الزبيدي. طبقات النحويين واللغويين. مصدر سابق. ص295. وابن الفرضي. المصدر السابق. ص ص845،846، وأحمد المقري التلمساني. ازهار الرياض في أخبار عياض. مصدر سابق، ص294.

3 - ابي نصر بن خاقان. مصدر سابق، ص113.

4 - الزبيدي. طبقات النحويين واللغويين. مصدر سابق، ص296.

5 - ينظر. الزبيدي. طبقات النحويين واللغويين. مصدر سابق، ص 296.. الحميدي . مصدر سابق، ص349.

وللفقيه منذر بن سعيد البلوطي عدة كتب قام بتأليفها وهي كثيرة ومشهورة في القرآن والسنة والفقه والورع والرد على أهل المذاهب والأهواء والبدع أخذها الناس عنه وقراؤوها عليه، وأفاد منها أهل الأندلس، ورغبوا في دراستها والأقبال عليها وخاصة أنها تُعنى بشؤون الناس الدينية وعلاقاتهم بالخالق، والفصل في الخصومات وأحكام الدين والكتب التي ألفهاهي :

2-3-أ- كتاب الأنباء على استنباط الأحكام من كتاب الله .

2-3-ب- كتاب الإبانة عن حقائق أصول الديانة .

2-3-ج- كتاب الرد على أهل المذاهب .

2-3-د- كتاب الناسخ والمنسوخ .

وعند رجوعه من رحلته، كان محملاً بكتب لها قيمة علمية، وثقافية لها مردود علمي على أهل الأندلس ورواد العلم بها وهي كتاب الإشراف في اختلاف العلماء، وكتاب العين للخليل.[1]

ونظراً لما يمتاز به من علم وفهم ثاقب وإلمام بعلوم الدين والفقه، فإنه روى عنه عدد من الطلبة، وأخذوا عنه مؤلفاته، ونشر الثقافة الدينية في قرطبة ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الجهني وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي[2].

تقلد عدة مناصب من قبل الخليفة عبد الرحمن الناصر نظراً لتميزه عن غيره من الفقهاء مثل الصلابة والشجاعة، إلى جانب ديانته وتفقهه، حيث ولاة قضاة مدينة ماردة وما والاها مدن الجوف، ثم ولاة قضاء الثغور الشرقية، ثم قلده أعلى مرتبة في القضاء وهي قضاء الجماعة بقرطبة عام (339هـ/951م)، إلى جانب الصلاة بالمسجد الجامع بالزهراء، وظل في منصبه إلى وفاته، وطول فترة بقائه في القضاء لم يحفظ له جور في قضية، ولاهوادة بسبب غاية عادلاً في حكمه، فاضلاً مهيباً طيباً صارماً غير جبان ولا عارض.[3]

ونظراً لتصلبه وشدته وعدم خوفه فإنه كانت له مواقف مع الخليفة عبد الرحمن الناصر وفيها انكاره عليه الإسراف في البناء، حيث إن الخليفة قام باتخاذ قراميد مغشاه ذهبا وفضة لسطح القبة بقصر الزهراء، أنفق عليها مالاً كثيراً وقد مد سقفها به وأنها تستلهب الأبصار بأشعة انوارها، وجلس فيها بعد استكمال بنائها يوماً يحيطون به أهل

---

1 – الحميدي .مصدر سابق ،ص 349.

2 – المصدر نفسه، نفس الصفحة.

3 – ينظرالخشني . ،مصدر سابق، ص 120، وابن الفرضي..ج2،مصدر سابق ،ص 846، وأحمد المقري التلمساني .أزهار الرياض في اخبار عياض .ج2،مصدر سابق 292، وأبي نصر الفتح بن خاقان .،مصدر سايق ،ص 112، وعبد الواحد المراكشي. ، مصدر سابق ،ص56.

الخدمة مفتخراً بهذا العمل، وادعى بأنه لا يوجد أحد من قبله فعل مثل هذا الفعل قائلاً بذلك للحاضرين الذين بدورهم أجابوا بالنفى، وقاموا بمدحه لهذا الفعل، فابتهج بقولهم وسره ذلك، وبينما هو كذلك دخل عليهم القاضي منذر بن سعيد ناكس الرأس، فلما أخذ مجلسه، أسمعه الخليفة ما قاله للحاضرين فأقبلت دموع القاضي تنحدر على لحيته، وقال له والله يا أمير المؤمنين، ما ظننت أن الشيطان لعنه الله تعالى يبلغ منك هذا المبلغ، ولا أن تمكنه من قلبك هذا التمكين، حتى ينزلك منازل الكافرين، فانفعل الخليفة لقوله، وقال له انظر ما تقول، وكيف أنزلني منزلهم؟.[1]

ورد القاضي على الخليفة بالإيجاب وقال له اليس الله تعالى يقول ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ﴾[2]

وتأثر الخليفة بهذا القول الرَّباني، وتغير لون وجهه واطردت عيناه، وأطرق طويلاً ملئياً، ودموعه تتساقط خشية وخشوعاً لله تعالى، ثم أقبل على منذر وقال له جزاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيراً، وعن الدين والمسلمين أجمل جزائه وأكثر الله من امثالك.[3]

ولما يمتاز به من تفقه شديد ودراية بأحكام الله ونسكه وزهده، ففي آخر فترة حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله قحط الناس في قرطبة، وأصابهم الفقر في أنحائها، فأمر الناصر لدين الله الفقيه منذر بن سعيد بالبروز إلى صلاة الاستسقاء، فتأهب لذلك، وصام قبل الخطبة ثلاثة أيام تنفلاً، وأنابة ورهبة من الله سبحانه وتعالى، وحضر الناس للصلاة في مصلى الربض بقرطبة، خاشعين لله في جمع عظيم، وصعد الناصر لدين الله في أعلى مصانعه المرتفعة في القصر ليشارك الناس في الخروج إلى الله سبحانه وتعالى، والتضرع له، وأبطأ الفقيه القاضي الصلاة حتى أجتمع الناس وغصت بهم ساحة المصلى، ثم خرج عليهم ماشيا متضرعاً مخبتاً متخشعاً، وقام ليخطب، ولقد أرقت نفسه وغلبته عيناه لما رأى الناس واقفة تنتظره في استكانة وخيفة من الله وابتهالهم إليه، واستعبر لذلك وبكى ثم قام بخطبته المشهورة.[4]

واستهل خطبته بآيات من الكتاب الحكيم قال تعالى:﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن

1 – ينظر، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ،ج3، مصدر سابق ،ص 4،وأحمد المقري التلمساني ،ازدهار الرياض في اخبار عياض ،ج2،مصدر سابق ،ص ص280-281.

2 – سورة الزخرف، الآية 33.

3 – أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ،المصدر السابق ،ص 5.

4 – أحمد المقري التلمساني ،ازهار الرياض في اخبار عياض،ج2 ،مصدر سابق، ص 279.

بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [1].

وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴿ 15 ﴾إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴿ 16 ﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [2].

وبعد الخطبة والصلاة لم ينقض النهار حتى أرسل الله من السماء بماء منهمر روى الثرى وطرد المحل، وسكن الأزل، والله لطيف بعباده.[3]

وبهذه المواقف التي حصلت للفقيه، نستخلص من ذلك أنه خطيب جدل يحسن الكلام، وكان بليغاً عالماً حاذقا حاضر الجواب، ثابت الحجة، شجاع لايخاف في الحق لومة لائم.[4]

وكان للقاضي دور كبير في نشر الثقافة الدينية في قرطبة، وذلك بانتشار نتاجه العلمي من مؤلفاته وخاصة إنها تخص الأحكام وأصول الدين وما يتعلق بالقرآن الكريم، بالإضافة إلى الكتب التي أدخلها معه للأندلس بعد عودته من رحلته المشرقية ناهيك عن ماكان يحمله في صدره .

3-3- الفقيه محمد بن عبد الله بن عيسي بن محمد بن ابراهيم المري المعروف بابن أبي زمين (ت 399هـ/1011م):

فقيه من فقهاء المالكية ومن الوعاظ، وهو نزيل قرطبة وشيخها ومفتيها، وصاحب التصانيف الكثيرة في الفقه والحديث والزهد، راسخ في العلم متفنناً في الآداب، مقتفياً لأثار السلف، صاحب عبارة وأنابه وتقوى، حافظاً للمسائل والوثائق له عنها شئ كثير إلى جانب له حظ وافر من علم اللغة العربية، مع حسن هدى واستقامة طريق، وظهور ونسك وصدق لهجة، وطيب أخلاق، وترك للدنيا، وإقبال على العبادة، وعمل للآخرة ومجانبه للسلطان، وكان من الورعين البكائيين الخاشعين، وقد ألف كثير من الكتب منها: كتاب في (أصول السنة ومنتخب الأحكام) وكتاب في: (تفسير القرآن) وكتاب: (المغرب) في المدونة وشرح مشكلها وكتاب في: (حياه القلوب) وكتاب في: (النصائح المنظومة) وكتاب في: (أداب الإسلام)، وكانت نشأته في بيت علم إذ كان والده عالماً حيث أول سماعه كان من أبيه حيث قرأ عليه مختصر ابن عبد الحكم، وأحاديث يسيرة عامة رواية ابن فحلون، وسمع

1 – سورة الأنعام، الآية 54.
2 – سورة فاطر ،الآيات 15-16-17.
3 – أحمد المقري التلمساني ،المصدر السابق ،ص 280.
4 – ابن الفرضي . ج2. مصدر سابق 846 .

بقرطبة من محمد بن معاوية القرشي، وإسحاق بن إبراهيم، وأحمد بن مطرف وأحمد بن الشامة، وقد أعجب أهل قرطبة بالمؤلفات التي قام بنشرها في قرطبة وأفاد الناس من علمها، وعمت بها الفائدة والغاية وخاصة أنها تحتوي على مواعظ وعبر ومسائل فقهية، لأنَّ المجتمع في أمس الحاجة إليها والخوض في تعليمها والأخذ بالتعاليم التي تحتويها.[1]

4-3- أحمد عبد الملك بن هاشم الأشبيلي المعروف بابن المكوي (ت402هـ/1014م) :

يكنى أبا عمر كان فقيهاً معظماً، ومفتياً مقدماً على كل المفتيين في قرطبة، ،وانتهت إليه رياسة العلم بها أيام الجماعة، وبصيراً بأقوالهم واتفاقهم واختلافهم، ويتميز بعدة مزايا عن أقرانه منها الصلابة والقوة في دينه، والبعد عن هوى نفسه، ولا يجاري أو يخضع للسلطان في هواه، ولا يميل إلاّ للحق والصدق، وأنه لا يميز بين القريب والبعيد في الحق سواسية أمام القانون، وكان له نتاج علمي حيث جمع هو وأبوبكر محمد بن عبد الله القرشي المعيطي كتاباً حسناً حفيلاً في رأي مالك سماه كتاب (الاستيعاب) من مئة جزء، وقد انتفع الناس بعلمه وأصبح عندهم معظماً عالي الذكر، ولجأوا إليه في مهماتهم وخاصة أنه قدم إلى الشوري في أيام القاضي محمد بن إسحاق بن السليم.[2]

وبذلك نجد أنه ازدهرعلم الفقه في قرطبة في زمن هؤلاء الفقهاء النبلاء الذين أسهموا مساهمة كبيرة وفعالة في ازدهار علم الفقه بما قاموا به من نتاج علمي، وتدريس وشرح للمسائل الفقهية وخاصة التي ليس لها تشريع في القرآن الكريم ولا في السنة المحمدية، ونرى أن علماء الفقه مثلهم مثل علماء علوم القرآن، وعلوم الحديث، نهل بعضهم العلم من أهل المشرق، ومكثوا فترة طويلة في المدن المشرقية، وأحضروا معهم عدداً من الكتب إلى بلادهم إلى جانب ما حملوه في صدورهم، وعمت الفائدة بهم في قرطبة.

ثانياً: ازدهار علم الأدب واللغة :

اولاً : الأدب:

يعد الأدب من العلوم العربية التي ازدهرت في قرطبة في القرن الرابع الهجري، وحمل لواءها عدد كبير من الأدباء الأندلسيين والمشارقة حيث عملوا على تطويره والرفع من مستواه، ومجاراة أهل المشرق الذين سبقوهم في هذا المضمار، وقد أنجبت قرطبة كثيراً

---

1 - يتظرابن بشكوال ،كتاب الصلة ،ج2،تح أبو العلا العدوي ،مصدر سابق ،ص ص 126-127، وأبي نصر الفتح بن خافان ،مصدر سابق ،ص 128، وعبد الحي بن العماد الحنبلي ،، مصدر سابق ،ص 156.

2 - ينظر الحميدي ،مصدر سابق ،ص 132 . وعمر بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الثمري القرطبي ،بهجة المجالس وانسي المجالس وشحذ المذاهب والهاجس ،تح محمد مرسي الخولي ،الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ،د ت ،ص 20، وابن بشكوال ،،كتاب الصلة ق 1، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ،مصدر سابق ،ص ص22-23.

من الأدباء لهم صيت وباع ونذكر منهم.

1-1 - الأديب والشاعر أبوعمر أحمد بن عبد ربه ت (328هـ/940م):

كان عالماً وله بالعلم جلاله وبالأدب رياسة، حيث نشر في قرطبة ثقافة كثيرة، وخاصة أنه ذهب إلى المشرق، وتلمذ على عدد كبير من علماء المشرق، ورجع من رحلته إلى قرطبة محملاً بثقافة مشرقية، ولقد نشر هذه الثقافة بين أهالي الأندلس.[1]

قام ابن عبد ربه بتأليف كتاب كبير في الأدب، وأطلق عليه أسم، العقد الفريد، ولقد قال في تأليفه لهذا الكتاب في مقدمته: «لقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متصرفة في فنون الأخبار، ولا جامعة لجمل الآثار، فجعلت هذا الكتاب كافياً شافياً جامعاً لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة، وتدور على ألسنة الملوك والسوقة، وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها وتوافقها في مذاهبها، وقد قرنت بها غرائب من شعري، ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصيته، وبلدنا على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور، وسميته كتاب (العقد الفريد) لما فيه من مختلف جواهر الكلام، مع دقة السلك وحسن النظام وجزأته على خمسة وعشرين كتاباً، كل كتاب منها جزءان، وقد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد».[2]

2-1- أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسي من مزاحم المعروف بابن القوطية (ت 367هـ/979م):

مولى الخليفة عمر بن عبد العزيز، والقوطية نسب إلى القوط، وهم ينسبون إلى قوط بن بسام بن نوح، وكانوا بالأندلس قبل الإسلام، وهو من أعلم أهل زمانه باللغة العربية، متقدماً فيها لا يشق له غبار ولا يلحق شأوه، وهو أروى الناس للأشعار وأدركهم للآثار، وأن كتب اللغة أكثر ما تقرأ عليه وتؤخذ عنه، وله علم كثير بالعلوم الأخرى، فإنه من حفظة الأحاديث النبوية، وله عناية بالفقه والخبر النادر مطلعاً بأخبار الأندلس، مليئاً برواية سير أمرائها وأحوال الفقهاء بها وشعرائها يملى ذلك عن ظهر قلب، ولكونه من أدباء قرطبة، فإنه لما دخل أبو علي القالي البغدادي إلى قرطبة اجتمع به، وكان يبالغ في تعظيمه حتى قال له الخليفة الحكم المستنصر بالله من أنبل من رأيته ببلدنا هذا في اللغة ؟ فأجابه القالي قائلاً: محمد بن القوطية، وقد ألف كتب في الأدب واللغة ذات قيمة علمية

1 ياقوت الحموي . معجم الأدباء ،ج4، مصدر سابق ،ص ص213، 214- 215 ،101.

2 أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ،العقد الفريد ،تح مفيد محمد قميحة ،ج1 ،ط3 ،دار الكتب العالمية بيروت 1987م ،ص ص6-7.

في هذا المجال وهو كتاب (تصاريف الأفعال) وكتاب (المقصور والممدود) الذي جمع فيه ما لا يحد ولا يوصف، وقد قام بشرح رسالة أدب الكتاب .[1]

1-3- أحمد بن إبان بن سيد اللغوي(ت382هـ/992م):

كان عالماً حاذقا معتنياً بالأدب واللغات وروايتهما، متقدماً في معرفتها واتقانهما، ولقد ألف عدة كتب في الأدب واللغة، منها كتاب العالم في اللغة في حوالي مائة مجلد مرتب على الأجناس، وكتاب (المعلم) مرتب على السؤال والجواب، وكتاب شرح فيه كتاب (الأخفش)، وقد حدث بكتاب (الكامل) عن سعيد بن جابر، وعنه أخذ أبو القاسم بن (الأفليلي) وأخذ عن أبي علي القالي كتاب (النوادر) ولقد أسهم بنتاجه الأدبي في ازدهار الثقافة الأدبية في قرطبة وذلك بالاطلاع على الكتب التي قام بتأليفها حيث توجد فيها معلومات وفيرة وذات قيمة أدبية .[2]

1-4- أبوعمرأحمد بن عبد العزيز بن فرج المعروف بابن أبي الحباب القرطبي(ت 400هـ/1012م):

وهو من أهل قرطبة، من جلة الشيوخ للأدب بها، مع علمه باللغة، ويتصف بصحيح الرواية جيد الضبط، ويعد من العلماء أكثر نشاطاً في نشر مادة الثقافة المشرقية الهائلة التي نهلها عن العالم أبي علي البغدادي.[3]

ولقد أسهم الأدباء المشارقة الذين رحلوا إلى قرطبة مساهمة كبيرة في ازدهار وانتشار الأدب والثقافة المشرقية فيها حيث كانوا على دراية كبيرة بالأدب ولهم الفضل الكبير في تعليمهم وتثقيف أبناء البلاد ونذكر منهم :

1-1-أ- أبو علي القالي :

هو إسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان، مولى الخليفة عبد الملك بن مروان، المعروف بالقالي، من أهالي قالي قلا[4](*) ولد بمنازجرد[5](**)

---

1 ينظر- ابن الفرضي. ج2، مصدر سابق ص ص747-748، وابن خلكان ،وفيات الأعيان وأنباء الزمان ،مصدر سابق ،ص ص368-369، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ،بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنجاة ،تح محمد ابو الفضل ابراهيم ،ج1 المكتبة العصرية ،صيد – بيروت ،د ت ،ص 7.

2 ينظر- الحميدي ،مصدر سابق ،ص 118 .، وابن بشكوال،الصله،ج1 ،مصدر سابق، ص 35.، وياقوت الحموي . معجم الأدباء. ج2 ،مصدر سانق، ص203-202..

3 – ابن حيان. المقتبس. تح علي مكي. مصدر سابق، ص ص2120.

4 (*) – قالي قلا: بأرمينية العظمى من نواحي خلاط من نواحي منازجرد (ياقوت الحموي. معجم البلدان. ج4 ،ص 249 .

5 (**)منازجرد: واهله يتولون منازكرد بالكاف ،بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم ، يعد في أرمينية (ياقوت الحموي . معجم البلدان. ج5. ص 299)

من ديار بكر سنة (280هـ/886م)، ووجه النحوي أبو بكر الزبيدي سؤالاً إلى أبي علي: لما قيل له القالي؟ فقال لما انحدرنا إلى بغداد كنا في رفقة فيها أهل قالي قلا، فكانوا يحافظون لمكانهم من الثغر، فلما دخلت معهم انتسبت إلى قالي قلا، وهي قرية من منازجرد، ورجوت أن أنتفع بذلك عند العلماء فمضى علي القالي.[1]

1-1-أ-1- رحلته :

انتقل أبي علي القالي من قريته التي ولد بها طلباً للعلم فذهب إلى العراق سنة (303هـ/908م)، فأقام أولاً في الموصل حيث بقى فيها فترة من الزمن حوالي سنتين، وبدأ في التحصيل العلمي والثقافي فيها عن طريق علمائها وخاصة أنها كانت تحتوي على مساجد كثيرة بناها المسلمون لتكون بيوت عبادة ومنابر علم، وسرعان ما ترك أبي علي القالي البصرة متوجهاً إلى بغداد، ودخلها سنة (305هـ/910م)، وهي أذ ذاك منبر العلوم والآداب، ومنتدى الأفكار ومجمع العلماء، مكث فيها حوالي خمسة وعشرين سنة، حيث تلمذ على يد طبقة من كبار المحدثين بالحفظ والضبط والإتقان، والاعتماد على الأصول الصحيحة، ونهل من هؤلاء العلوم الدينية كالحديث والقراءات وتفسير القرآن، والعلوم العربية، ومنها الأدب واللغة والدواوين الشعرية المسموعة والمقروءة، والنحو إلى جانب الأخبار، وبذلك اكتسب ثقافة عالية ارتقي فيها إلى مصاف العلماء الكبار وتحصل على شهرةو صيت عاليين.[2]

1-1-أ-2- شيوخه:

سمع وكتب في الموصل عن أبي يعلي أحمد بن علي بن المثني الموصلي الحديث، وفي بغداد تلقى تعليمه عن طريق عدة شيوخ، فقد كتب الحديث عن أفضل العلماء في بغداد وهم: أبوبكر عبد الله بن أبي داود السجتاني، وأبو يحي بن محمد بن صاعد بن محمد بن عبد العزيز البغوي المعروف بابن بنت منيع، وإبراهيم بن عبد الصمد بن موسى الهاشمي بن ولد الإمام، وأحمد بن اسحاق بن البهلول القاضي، وأبو عبد الله الحسين القاضي، وأبو إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن الضبي المعروف بابن المحاملي، وأبوبكر محمد بن يوسف بن يعقوب بن بهلول الأزرق الكاتب، وابن قطن الإسكافي وأبو سعيد الحربي علي بن زكريا بن يحي العدوي، وسمع الأخبار واللغة من أبي بكر

---

1 - ينظر، الزبيدي ،طبقات النحويين واللغويين ،مصدر سابق ،ص ص186-188، وابن الفرضي ،،ج1 ،مصدر سابق ،ص 138، والحميدي ،،مصدر سابق ،ص 164، وابن خلكان ، وفيات الاعيان ،ج1، مصدر سابق ،ص 266، وعبد الواحد المراكشي، امصدر سابق ،ص 59 ،وياقوت الحموي، المصدر السابق، ج7، ص 25.

2 ينظر، الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ،مصدر سابق ،ص 186، والحميدي ،مصدر سابق، ص 164 ،و أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي مصدر سابق ،ص 8، وشمس الدين محمد أحمد بن عثمان الذهبي، ،مصدر سابق ،ص 138.

محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري، وأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري، وأبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطوية، ومن أبي بكر محمد بن السري السراج النحوي، ومن أبي بكر محمد بن شقيري النحوي، وأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج النحوي، وأبي الحسن على سليمان بن الفضل الأخفش، وأبي بكر محمد بن أبي الأزهر وأبي أحمد حيث أخذ منه كتاب سيبوبة عن المبرد، وأبي محمد عبد الله ابن جعفر درستوية، وأحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أخذ منه كتاب أبيه وأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد المقري، قرأ عليه القرآن بحرف أبي عمر بن العلاء غير مرة، وأخذ كتابه في القراءات السبع وغير ذلك، وأبي عمر محمد بن عبد الواحدالمطرز غلام ثعلب، وأبي بكرمحمد بن عبد الملك التاريخي، وأحمد بن يحي المنجم النديم، وأخذ منه كتب أبيه، والطوسي أبي علي الحسن بن علي بن نصر اخذ منه كتاب الزبير بن بكار في النسب والدمشقي أحمد بن سعيد.[1]

1-1-أ-3- رحلته إلى الأندلس:

كانت رحلته الثانية عكس رحلته الأولى حيث إنها باتجاه المغرب الإسلامي وبالتحديد إلى قرطبة عاصمة الدولة الأموية بالأندلس لنشر ثقافته الأدبية المشرقية التي نهلها من علماء المشرق، وأن بلاد الأندلس في هذه الفترة يقودها الخليفة عبد الرحمن الثالث وولي عهده ابنه الحكم الثاني، وبعد الاستقرار السياسي والاقتصادي الذي ساد البلاد طمح في أن يقوي دار الخلافة وعاصمتها قرطبة ويضاهي بها دولة العباسيين في المشرق وخاصة بغداد، ولما رأي أن أسباب تقدمها هو النهضة العلمية الشاملة في مختلف ضروب العلم، ولما سمع بالأديب أبي علي القالي وشهرته العلمية وداع صيته في بغداد، وأصبح من العلماء المشهورين الذين لديهم ثقافة علمية، وفي نفس الوقت علم أن جده كان مولى للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وله حنين إلى الدولة الأموية بالأندلس، قام باستدعائه لنشر علمه بالأندلس ولبى أبو علي القالي الدعوة.[2]

وبناء على الدعوة التي وجهت إليه خرج من العراق قاصداً الأندلس عام (328هـ/933م)، واستغرقت رحلته حتى وصوله الأندلس عام (330هـ/935م) سنتين وبعض الأشهر وأمر الخليفة عبد الرحمن الثالث ابنه وولي عهده الحكم الثاني أن يستقبل أبا علي القالي استقبالاً يليق بمقامه ومكانته العلمية، ولذلك أمرعاملهم ابن رماحس قائد

---

1 - ينظر الزبيدي المصدر السابق ،ص 187 ،وابن الفرضي ،ج1 ،مصدر سابق ،ص 138 ،والحميدي،المصدر السابق ،ص164 ،وجلال الدين السيوطي. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،ج1 ،مصدر سابق ،ص453.

2 - ينظر الزبيدي. طبقات النحويين واللغويين ،مصدر سابق ،ص 186، و ابن الفرضي . ،مصدر سابق ،ص 138، وابن حيان المقتبس ،ج5 ،مصدر سابق ،ص 479، والضبي .مصدر سابق ص217، وابن عذاري . مصدر سابق ،ص 198 ،وابن خلكان . وفيات الاعيان ،ج1 ،مصدر سابق ،ص 226 .

البحر العظيم عامل بجانه (Pezaina) والمرية (Almeria) أكبر قواد الخليفة أن يرافق أبا علي القالي إلى قرطبة في رحلته إليها مع وفد من وجوه أهل الكورة يتخيرهم بنفسه، وبذلك تشكل موكب القالي الفخم من قائد البحر عبد الرحمن ابن رماحس، ومن وجوه الرعية المتميزة من أهل المنطقة ومن كاتب الحكم ووزيره هارون بن موسى وهو يومئذ ببجانة لبعض (أموره)، ومن جماعة جليلة من الأدباء والعلماء فيهم العالم ابن رفاعة الإلبيري، بالإضافة إلى من أنضم إليهم من عمال المدن التي كانوا يمرون بها*.[1]

سار هذا الموكب وهو يخوض في مناقشات وحوارات أدبية بين القالي ومرافقيه، وخلال ذلك تعرض القالي لأول حادثة أثرت فيه وصدمته في طريقة إلى قرطبة وكان اختباراً صعباً أوقعه فيه أهل الأندلس المرافقين له، ويصف المقري هذا الاختبار في نص طويل فيقول: «فكانوا يتذاكرون الأدب في طريقهم ويتناشدون الأشعار، إلى أن تحاوروا يوماً وهم سائرون، أدب عبد الملك بن مروان وسألوه عن أفضل المناديل وإنشاد بيت عبده بن الطيب :

ثمة قمنا إلى جُرْد مسَوَمة أعرافهم لأيدينا مناديل .

وكان الذاكر للحكاية أبي علي القالي، فأنشد الكلمة في البيت لأعرافها لأيدينا مناديل، فأنكرها ابن رفاعة الإلبيري، وكان من أهل الأدب والمعرفة، وفي خلقه حرج وزعارة فاستعاد أبي علي البيت متشبثا مرتين، في كلتيهما أنشده أعرافها، فلوى ابن رفاعة عنانه منصرفاً وقال: مع هذا يوفدعلى أمير المؤمنين وتتجشم الرحلة لتعظيمه، وهو لايقيم وزن بيت بين الناس، مشهور لا تغلط الصبيان فيه، والله لاتبعته خطوة وانصرف عن الجماعة وندبة أميره بن رماحس أن لا يفعل فلم تجد فيه حيلة، وكتب إلى الحكم يعرفه ويصف ما جرى لابن رفاعة ويشكوه»[2]

ووصل أبي علي القالي إلى قرطبة، فاكرم عبد الرحمن الناصر لدين الله مثواه، وبوأ لديه أسنى مبوأ، وتلقى كل تقدير واحترام، وأوسع عليه الإنزال والإقطاع، وقد زاد الحكم الثاني في تعظيم أبي علي القالي وتعزيز مقامه وإحاطته بكل رعاية بفضل عناية الحكم الثاني بالعلم ونزاهة أهله، فنال بها أمنيته، واطمأنت في كنفها داره، وأوعز إليه بنشر ما يحمله من علمه في الناس، وإشاعة إسماعهم وإفادتهم.[3]

---

1 – ينظر، الزبيدي المصدر السابق ،ص 186، وابن الفرضي المصدر السابق ،ص 139، والحميدي ،المصدر السابق، ص 164، وابن خلكان، وفيات الأعيان ،المصدر السابق ،ص 227، والذهبي ، ،مصدر سابق ،ص 139، وأحمد المقري التلمساني ،نفح الطيب ،ج4 ،ط2 ،مصدر سابق ،ص 70.

2 - أحمد المقري التلمساني ،نفح الطيب ،ج4، ط2، مصدر سابق ،ص 70.

* -- ينظر الملحق5.

3 – ابن حيان ،المقتبس ج5، مصدر سابق ،ص 480.

استقر أبي علي في قرطبة واستوطن بها، ونشر علمه بها ويعد رسول الثقافة المشرقية، وناقل التأثيرات المشرقية الثقافية والأدبية إلى الأندلس، وكان إماماً في علم اللغة متقدماً فيها، المحتوي على دواوين الثقافة الراوية على جله أهل العلم، وأفاد الناس من بقائه في قرطبة وعولوا عليه واتخذوه حجة فيما نقله ولقد قام بنشر ثقافته وعلمه بعدة اتجاهات تأثر بها أهل قرطبة والاتجاهات والطرق هي :

1-1-ب-1- عن طريق الكتب والمؤلفات التي قام بحملها معه من العراق إلى بلاد الأندلس، وهي أمهات الكتب من المصادر والدواوين المشرقية، عبارة عن دواوين شعرية لشعراء من الجاهلية والإسلام، مثل شعر كل من أمري القيس وزهير والمتبي والأعشى والخنساء وابن ربيعة وجميل وجرير والفرزدق وذي الرمة والحطيئة وأبي النجم ومعين ابن أوس المزني والأخفش الأنباري والنابغة الذبياني وعلقمة بن عبده التميمي، والشماخ بن ضرار الثعلبي وعروة ابن الورد ومالك بن الريب المازني والنابغة الجعدي والأخطل غيات، وعدي بن زيد وعبده بن الطيب وزهير بن أبي سلمى، وعبيد بن الأبرص وسلامة بن جندل وعمر ابن ربيعة المخزومي، وأبونواس ودريد ابن الصمة[1]

1-1-ب-2- وكتب الأخبار وهي كتب تحتوي على أخبار العلماء والأدباء والشعراء وأيام العرب وقصص كثيرة عنهم وفيها ثمانية وعشرون جزءاً من أخبار نفطوية، وخمسة اجزاء من أخبار ابن الأنباري، وسبعة أجزاء عن ابن أبي الأزهر،وثمانية وخمسون جزءاً من الأخبار والإنشاد من أخبار ابن دريد سماع والمدخل للمبرد في جزء تام والمهدب تام للدينوري، وكتاب الأحباس في جزئين لأبي نصر سمعه عن ابن الأنباري وجزء فيه عدة من أيام العرب ومعاني الشعر للبهالي وكتاب البهي للفراء، وجزاءان من الأخبار ولإنشاد عن الأخفش[2]

1-1-ب-3- وكتب الأدب مثل كتاب العروض والكافي في أسماء القوا في وكتب فعلت وافعلت لأبي إسحاق الزجاج، وكتب الغريب المصنف، والأمثال، والألفاظ وصلاح المنطق، والقلب والأبدال والأصوات، وخلق الإنسان، ومعاني الأبيات، والنبات، والأضراد لثعلب، وأدب الكتاب لابن السكيت، والميسر لأبي محمد بن قتيبة، واختيار الفصيح، وفائت الفصيح لأبو العباس ثعلب وكتب الأمثال، الابل، المصادر، الأبواب، خلق الفرس، لحن العامة، الصفات، الهمزتين، خلق الإنسان، الممدود والمقصور، اشتقاق السماء، الألفاظ، الأجناس، للأصمعي، وكتب

1 – ينظر ابن حيان ،المقتبس ،ج5،مصدر سابق ،ص 480، والحميدي ،جذوة المقتبس ،مصدر سابق ،ص 165، وابن خير الأموي الأشبيلي، فهرسة ابن خير ،تح ابراهيم الأيباري ،دار الكتاب المصري القاهرة – ودار الكتاب اللبناني بيروت 1989م ،ص ص513-514-515 516-، وأحمد المقري التلمساني ،نفخ الطيب ج4، ط2،مصدر سابق ،ص 72.

2 – ابن خير الأشبيلي ،فهرسة ابن خير ،مصدر سابق ،ص 523.

الزاهر، التذكير والتأنيث– المقصور والممدود لأبي بكر بن الأنباري، وكتب لحن العامة ،التذكير والتأنيث، فعلت وأفعلت، الحشرات، والوحوش، الطير، لأبي حاتم السجتاني، وكتب الجمهرة، الملاحن، معاني الشعر، الإنواء لأبي بكر بن دريد، وكتب خلق الإنسان، الفرق، لثابتبن أبي ثابت. وكتب النوادر، الهمز،المصادر، واللغات،حيلة ومحالة، المقتبس، الأمثال، الغرائز،الشجر والنبات، أسماء الأيام، بيوت الشعر، التمر، الإبل والمعزي والشاء لأبي زيد الأنصاري، وكتاب النوادر لكل من أبي الحسن علي بن حازم اللحيالي، أبي زياد الكلالي، كتب النخيل ومقاتل الفرسان، لأبي عبيدة معمر المثنى، وكتاب الأجناس لأبي نصر أحمد بن حاتم[1].

1-1- ج- عن طريق الكتب التي قام بتأليفها :

قام أبي علي القالي أثناء إقامته بقرطبة بتأليف كثير من الكتب وخاصة بعد أن طاب له المقام فيها، وتحصل على احترام كبير من الخليفة عبد الرحمن الثالث وولي عهده الحكم الثاني، لأنهم عرفوا فيه غزارة العلم والأدب والثقافة الواسعة ومضت به السنوات وهو يلقى التشجيع والإكرام، وبذلك عمل على تأليف عدد كبير من الكتب وهي:

1-1-ج-1- الممدود والمقصور:

بناه على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق مستقصي في بابه الا يشدعنه شيء من معناه، وسماه الحميدي كتاب الممدود والمقصور والمهموز، وقدأشاد كل من الزبيدي والحميدي بهذا الكتاب، وأفادوا بأنه لم يوضع له نظير، ولم يؤلف في بابه مثله[2].

1-1-ج-2- كتاب الخبر المعروف بالنوادر: أملاه ظاهراً، وارتجل تفسير ما فيه، وهذا الكتاب غاية في معناه، وهو أنفع الكتب، لأن فيه الخبر الحسن والمثل والشعر الفائت المنتقي في كل معنى، وفيه أبواب من اللغة مستقصاه ليس توجد في شتى من كتب اللغة بكمال ما هي في هذا الكتاب، وفيه الإبدال والقلب وفيه تفسير الإتباع، وهو لم يسبقه إليه أحد إلى فوائد كثيرة فيه.[3]

1-1-ج-3- كتاب البارع في اللغة: بناه على حروف المعجم، وجمع فيه اللغة وعزا كل كلمة إلى ناقلها من العلماء، واختصر الإسناد عنهم وهو يشتمل على خمسة الآف ورقة، ولا نعلم أحداً من العلماء المتقدمين والمتأخرين ألف نظيره في الإحاطة والاستيعاب، وتوفى

---

1 □393-463-468-474-479-480-481-483-484-485-491-92-494- 497-499-504-505-506-507-508-509 .

2 – ينظر- الزبيدي ،طبقات النحويين واللغويين ،مصدر سابق ،ص 186 ،والحميدي ،مصدر سابق ،ص 166، وياقوت الحموي معجم الأدباء ج7،مصدر سابق ،ص 29، وابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج1 مصدرسابق ،ص 226.

3 – الزبيدي ،المصدر السابق ،ص 186 ،الحميدي ،المصدر السابق ،ص 166 .

قبل أن ينقحه، فاستخرج بعده من الصكوك والرقاع، ويعد المعجم الأول في بلاد الأندلس قرب على حروف المعجم.[1]

ونقلا عن ياقوت الحموي قال قرأت بخط أبي بكر محمد بن طرخان بن الحكم: قال «الشيخ الأمام أبي بكر العربي: كتاب البارع لأبي علي القالي يحتوي على مائة مجلد لم يصنف مثله في الإحاطة والاستيعاب إلى كتب كثيره ارتجلها وأملاها عن ظهر قلب» [2]

1-1-ج-4- كتاب الأمالي: قال القالي في مقدمة هذا الكتاب موضحا السبب في كتابة هذا الكتاب وتأليفه فيقول: « لما رأيت العلم أنفس بضاعة، أيقنت أن طلبه افضل تجارة، فاغتربت للرواية، ولزمت العلماء للدراسة، ثم عملت نفسي في جمعه، وشغلت ذهني بحفظه حتى حويت خطيره وأحرزت رفيعه ورويت جليله وعرفت دقيقه، ورويت نادره وعقلت شارده وعملت غامضه، ووعيت واضحه فأملت هذا الكتاب من حفظي في الأخمسة بقرطبة، وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة، وأودعته فنوناً من الأخبار، وضروبا من الأشعار، وأنواعاً من الأمثال وغرائب اللغات على أني أذكر فيه بابا من اللغة إلاّ أشبعته.[3]

1-1-ج-5- كتاب الأمثال(أفعل من كذا): قد رتب الأمثال على حروف المعجم تسهيلا لتناولها وتحدث في بداية الكتاب عن أحوال التعجب والقواعد التي تضبطه، وارتبط بعض الأمثال بأماكن معينه، ثم حاول تنسيقها، فاستغرق الكتاب خمس وسبعين ورقة.

1-1-ج-6- وإلى جانب الكتب التي ذكرتها قام بتأليف عدة كتب أخرى وهي: كتاب فعلت وافعلت، وكتابه في الإبل ونتاجها، وما تصرف منها ومعها، وكتابه في حلي الإنسان، والخيل وشياتها، ومقاتل الفرسان، وتفسيره للقصائد المعلقات وتفسير أعرابها ومعانيها، وكتب كثيرة ارتجل جميعها، وأملاها عن ظهر قلب.[4]

1-1-د- عن طريق الطلبة الذين قاموا بالتتلمذ على يديه :

بعد حصوله على الموافقة بنشر ثقافته وعلمه في قرطبة حيث أوعز إليه الحكم الثاني بنشر ما يحمله من علمه في الناس وإشاعة أسماعهم وإفادتهم، سارع إلى ذلك بجد وقوة ونشاط وفاض على طلاب العلم منه فأعظم انتفاعهم به جداً، وصحح لهم صحائف

---

1 - نفس المصادر ، والصفحات.

2 - ياقوت الحموي. معجم الأدباء .ج7 .مصدر سابق، ص ص29 30.

3 - علي القالي. كتاب الامالي.. مصدر سابق، ص3 (5)ـ ابن خلكان. وفيات الأعيان . ج1. ص 227.

4 - الزبيدي. المصدر السابق، ص186.

كانت عندهم بوراً، ويعد من أعظم من وفد إلى الأندلس من العلماء، وبدأ يدرس في جامع قرطبة ثم مدينة الزهراء بجامعها الكبير.[1]

وكان الطلبة يتجمعون حول أبي علي القالي في مسجد قرطبة والزهراء وكانت طريقته في التدريس عن طريق الإملاء والرواية، ثم يقوم بشرح ما يحتاج إلى ذلك، ويقوم الطلبة بالاستماع إليه والكتابة عنه.[2]

وقد تلمذ على يديه عدد كبير من الطلبة ونهلوا وأصابوا ثمرات علمه وخاصة في الدراسات الأدبية واللغوية وستتطرق إلى بعضهم وخاصة الذين لهم شهرة علمية في الأندلس ومنهم :

1-1-د-1- الحاجب المنصور بن أبي عامر:

قرأ الأدب وقيد اللغات على أبي علي القالي، وحضر دروسه في مسجد قرطبة.[3]

1-1-د-2- أحمد بن أبان بن سيد اللغوي الأندلسي:

وقد صاحب أبا علي القالي وروى عنه كل كتبه ومصنفاته، فضلاً عن الكتب التي أدخلها معه إلى الأندلس.[4]

1-1-د-3- أبوعمر أحمد بن عبد العزيز أبي الحباب القرطبي النحوي:

وقد حصل أكثر علومه وثقافته على شيخه أبي علي القالي، إذ كان من أصحابه وخواصه المقربين المشهورين بالجلوس معه، وقد أخذ وروى عنه معظم كتبه سوى التي ألفها في الأندلس أو التي أدخلها معه وخاصة كتاب الأمالي[5]

1-1-د-4- محمد بن عمر بن عبد العزيز:

يعرف بابن القوطية أفاد من ثقافة أبي علي القالي وذلك بصحبته له واجتماعه به كثيراً من الوقت، وكان أبي علي يعظمه ويفضله ويعرف حقه.[6]

1-1-د-5- أبوبكر محمد بن حسن الزبيدي:

يعد من الذين قيدوا الأدب واللغة والأشعار على أبي علي القالي في قرطبة، حيث أخذ

---

1 – ينظر. المصدر السابق.ص186 والحميدي ،مصدر سابق ،ص 165، وعبد الواحد المراكشي مصدر سابق، ص 60

2 – ينظر. ابن حيان .المقتبس .ج5 ،مصدر سابق ،ص 480،وأبو علي القالي. مصدر سابق ، ص3.

3 – ينظر الحميدي . مصدر سابق. ص165، وعبد الواحد المراكشي. مصدر سابق .ص60. وابن خلكان. وفيات الأعيان. ج1 . مصدر سابق، ص227.

4 ابن عذارى المراكشي. مصدر سابق، ص257.

5 – ينظر ابن حيان المقتبس .تح محمود علي مكي .مصدر سابق .ص ص20-21، والحميدي .مصدر سابق .ص 248 .

6 الأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل لثعالبي. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. دار الكتب العلمية بيروت، د ت ص 73.

عنه معظم كتبه وكان من أحد جلسائه في معظم الوقت، وقد عرف فضله واختص به وقال إليه كثيراً من المعلومات العلمية القيمة، وأفاد منه.[1]

1-1-د-6- عبد الله بن الربيع بن عبد الله التميمي:

وهو من الذين أخذوا عن أبي علي القالي وحدث عنه، وربما يكون آخر من حدث وروي عنه[2]

1-1-د-7- أبو عمر أحمد بن سعيد بن إبراهيم الهمذاني المعروف بالهمذاني:

أخذ عن أبي علي القالي، وروى عنه بعض مؤلفاته.[3]

1-1-د-8- جعفر بن أبي علي القالي:

عاش في كنف والده وتثقف على يديه، وسمع منه كثيراً من مؤلفاته وكتبه، وبنى له أبوه بقرطبة مرتبة بقيت محفوظة، ورفع له ذكراً، ووطد له كرامة لم تزل ملحوظة وحمى ماغرسه له أبوه، وثمره بناصع أدبه.[4]

1-1-د-9- أبوعثمان سعيد بن عثمان القزاز:

يعد من أحد طلبة أبي علي القالي، وأخذ عنه كثيراً من علمه، وهو من أجلّ أصحابه، وعن طريقه صحت اللغة بالأندلس بعدأبي علي القالي.[5]

1-1-د-10- خلف بن سليمان بن غمرون البزاز:

له اهتمامات بالنحو واللغة والشعر وكتب على أبي علي القالي بعض كتبه[6]

1-1-د-11- محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن معاوية بن المنذر القرشي المعروف بالمصوغ:

يكنى: أبا عبد الله، يعد من تلاميذ أبي علي القالي وكان من ثقة أصحابه، وكان الغالب عليه علم اللغة ويوصف بالضبط وحسن النقل.[7]

1-1-د-12- إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي:

يكنى: أبا إسحاق، سمع وروى عن أبي علي القالي، وقد حدث بحكايات من آمالي أبي علي القالي.[8]

---

1 ابن الفرضي ،ج2 ،مصدر سابق ،ص 768.

2 - ينظر، الحميدي ،مصدر سابق ،ص 165، وابن خير ،المصدر السابق ،ص 428.

3 - ينظر، ابن خير، المصدر السابق ،ص 429 ،وابن سعيد ،المغرب في حلي المغرب ،مصدر سابق ،ص 217 .

4 - ينظر، الحميدي ،مصدر سابق ،ص 187، وابن بشكوال ،الصلة ،مصدر سابق ،ص 153، وابن سعيد ،مصدر سابق ،ص 208.

5 ابن بشكوال ،الصلة ،مصدر سابق ، صص236 235.

6 -- ينظر ،ابن الفرضي، ج1، مصدر سابق، ص ص54، 53' ابن خير، مصدر سابق، ص 430.

7 - ابن الفرضي ،تاريخ علماء الأندلس ،ج2،مصدر سابق ،ص 761 .

8 - ينظر، المصدر نفسه ،ج1 ،ص ص 53، 54 وابن خير الأشبيل الفهرسة ،مصدر سابق ،ص 430

1-1-د-13-أحمد بن عاصم النحوي:

من كبار الأدباء وعلمائهم، وكانت الدراسة أغلب عليه من الرواية، وهو نحوي مشهور وإمام في العربية، وقد روى عن أبي علي القالي بعض مؤلفاته.[1]

بالإضافة إلى الذين ذكرتهم يوجد كثير من العلماء درسوا واستمعوا من أبي علي القالي وهم: «أبي مروان عبيد بن فرج الطوطال، أبي العاص حكم بن منذر بن سعيد القاضي، أبي علي بن أيوب الحسن بن أيوب الفقيه الحداد، أبي بكر محمد بن مروان بن زاهر الأيادي، أبي بكر بن أصبغ الحجازي، أبي عمر أحمد بن أحمد بن سعيد الجسور، أبي القاسم محمد بن أحمد بن معارك العقيلي، أبي عبد الله حبيب بن أحمد الشطجيري، أبي سعيد أحمد بن محمد بن سليمان الأصبحي، القاضي أبي محمد عبد الله بن ربيع بنوش، القاضي أبي أيوب سليمان بن خلف بن عمرون، القاضي أبي الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث".[2]

ونجدأن هؤلاء العلماء الذين أخذواعن أبي علي القالي علمه وثقافته فاصبحوا من العلماء يحملون في صدورهم وكتبهم ثقافة متميزة عن غيرهم، وهؤلاء بدورهم بدأوا ينشرونها بين الطلبة والطبقة المثقفة في المجتمع القرطبي خاصة والأندلسي عامة، وأصبحت هذه الثقافة تتناقل عبر الأجيال جيل إلى جيل، ولهذا يعد القالي من أفضل الأدباء والمثقفين الذين وفدوا على قرطبة بما قام به من مجهودات عظيمة في نشر التأثيرات المشرقية الثقافية والأدبية، القديمة والحديثة في وقته، وما قام به من ترسيخ أسس الثقافة المشرقية في جميع ربوع الأندلس الإسلامي، وهو يستحق الاستقبال والترحاب الذي حظي به من أمير المؤمنين الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله وولي عهده الحكم بن عبد الرحمن، وفي نفس الوقت فهما جديرين بهذا العالم الأديب، وكانوا موفقين في تقديم الدعوة إليه للحضور إلى قرطبة لنشر أدبه وثقافته المتنوعة بها ويستحقا ما قام به أبي علي القالي بإهداء كتاب الأمالي وطرزه باسمهم .

وبعدهذه الرحلة الطويلة من الشرق إلى الغرب ورحيله عن الوطن وبقائه في الغربة، وما قام به من دراسة وتدريس وتأليف، وبعد أن خلد اسمه في الأندلس بحروف من ذهب أنتقل إلى جوار ربه ليلة السبت السابع من جماد الأول عام(356هـ/968م) في خلافة الحكم المستنصر بالله..[3]

1 – ابن خير ،المصدر السابق ،ص 429.
2 – ابن خير، المصدر نفسه ،نفس الصفحة.
3 ابن الفرضي ،تاريخ علماء الأندلس ،ج1 ،مصدر سابق ،ص 139 .

2- الشعر:

تطور الشعر في خلافة بني أمية تطوراً كبيراً، وازدهر في القرن الرابع الهجري مثله مثل العلوم الأخرى، وكان خلفاء بني أمية في قرطبة يميلون إلى الأدب ويقرضون الشعر، وهذه طبيعة متأصلة فيهم، وسجية من سجاياهم، ولهذا كانوا يتنافسون على اجتذاب الشعراء، ويبالغون في إكرامهم، وإعطائهم المنح والهدايا، ويعقدون مجالس للشعر، والشعراء بدورهم يتسابقون إلى التقرب من الخلفاء بإقراض الشعر ومدحهم.[1]

والشعراء في القرن الهجري الرابع تنوعت أشعارهم وشملت شتى مناحي الحياة، وقالوا في كل ما شاهدوه وأحسوا به، فمدحوا الخلفاء، ورثوا الأهل والأصدقاء، ووصفوا الطبيعة الحية والجامدة، وتغزلوا ليعبروا عن مشاعر الحب التي تنتابهم، ووصفوا المعارك الحربية، وأشادوا بالقادة الذين كانوا وراء الانتصارات وعبروا عن مشاعرهم تجاه أبنائهم وأزواجهم وهم وراء القضبان، وعند تولي الخلافة أو الإمارة، وفي أعياد الفطر والأضحى، وعند استقبال ضيوف الخلافة، وحتى عندما ينجب لأحدهم طفل نجدهم على البديهة يقرضون الشعر، وإلقاء شعر الحماس لتشجيع المجاهدين أثناء القتال وحثهم على الصبر.[2]

وقد أجتمع في قرطبة عدد كبير من الشعراء في القرن الرابع الهجري وهم من خيرة فحول الشعر وأمراء الكلام، وقد أشتهر عدد كبير منهم في هذا القرن وسنتناول بعضهم.

وكان من أشهر الشعراء وأقدمهم الأديب الشاعر:

2-1- أبو عمر أحمد بن عبد ربه (ت326هـ-940م):

وهو شاعر مجيد وشعره في منتهى الجزالة والحلاوة، وعلية رونق من البلاغة، وشعره كثير ومجموع، ويعد شاعر الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، ومن قبل ذلك كان شاعرا لجدة عبد الله بن محمد ولعم أبيه المنذر بن محمد، ولجد أبوه محمد بن عبدالرحمن[3].

قام ابن عبد ربه بمدح الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله في عدة مناسبات، أبدع

---

1 - ينظر، أخبار مجموعة، مصدر سابق، ص142، والحميدي، مصدر سابق، ص ص13_14، وابن عذارى، مصدر سابق، ص ص225،227.

2 - ينظر، ابن حيان المقتبس ، تح علي الحجي ،مصدر سابق ،ص 58 60- ، وابن حيان المقتبس ،ج5 ،مصدر سابق ،ص ص45-102 ،والثعالبي، ج1 ،مصدر سابق ص ص73 137--294 ،والثعالبي ،ج2 ،مصدر سابق ص ص74-76-80 ، أبو الوليد الحميري ،البديع في وصف الربيع ،مصدر سابق ،ص ص7-11-24-38 ، وابن عذاري المراكشي ،،مصدر سابق ،ص 157—235،237.

3 – ينظر، الثعالبي، . مصدر سابق، ص74، والحميدي، مصدر سابق، ص 108، وابن عذارى، مصدر سابق، ص 121.

في مدحه ومن بينها في أول غزوة غزاها الناصر لدين الله، واستمرت هذه الغزوة فترة طويلة فلقد أستغرق فيها ثلاثة أشهر وثلاثة أيام، وكان قد دخل قصره في قرطبة راجعا من غزواته، وقد ستطاع فيها أن يفتح ويسترجع حوالي ثلاثة مئة مابين حصن وبرج، وهذا الفتح لم يسبق لأحد أن قام به من ملوك الأرض قبله في غزوة واحدة.

وقد أشاد الشاعر أحمد بن عبد ربه بهذا في شعر له حيث قال:

فِي غَزْوَةٍ مِائَتَا حِصْنٍ ظَفِرْتَ بِهاَ فِي كلِّ حُصْنٍ غُوَاه لِلعَنَاجِيجِ

مَاكَانَ مُلْكُ سُلَيْمَانٍ لِيُدْرِكَهَا وَٱلْمُبْتَنِى سَدّ يَأجُوجٍ وَمَاجُوجٍ[1].

وله قصيدة أخرى يمدح فيها الناصر حيث قال:

بَجودِ أمِيرِ ٱلْمؤمِنِين تَتَبَّعَت عَلَى شِعَابُ ٱلْعَيْشِ وَهْيَ حَوَافِلُ

وَٱلْبسَنِي ثَوْبَ ٱلْغِنى بَعْدَ فاقةٍ وَأنْضَرَ عُودِي بعد إذْ هُوَ ذَابِلُ

فَأذْ هلنِي شُكْرِي لَهُ وَآمْتِنانُهُفَعَقلِي مِنْ هَذاَ وَذلِكَ ذَاهِلُ.[2]

وعادة ما يصطحب الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله معه الشعراء لساحة الحرب، وعادة ما يقوم هؤلاء الشعراء بوصف هذه المعارك التي يحضرونها يقول ابن عبد ربه في وصف الحرب:

سيوفُ يقيلُ الموتُ تَحْتَ ظُبَاتِها لَها في الكُلى طُعْمُ وبين الكُلي شِرْبُ

إذا اصْطفَّت الرَّاياتُ حمراً متونُها ذوائبُها تَهْفو فيهفوا لها القلبُ

وَلَمْ تَنْطَقِ الأبطالُ إلاَّبفعلِها فألسنُها عُجمُ وأفعالُها عُرْبُ

أذا ما التقوا في مأزقٍ وتعانقُوا فُلقياهمُ طَعْنُ وتعنيقُهُمْ ضَرْبُ.[3]

وبما أن السيف من الركائز الأساسية في الحرب، وبدونه يعتبر المحارب عدته غير كاملة ولهذا يصف أبن عبد ربه السيف ويقول:

بِكلِّ مأثورٍ علي مَتْنِهِ مثلُ مَدَبّ النّملِ في القاعِ

يرتدُّ طَرْفُ العينِ من حدّهِ عَنْ كوكبٍ للموتِ لمَّاعِ [4]

ويعد الفرس أيضا من الوسائل التي يمتطيها المحارب وهي جد هامة وبغيرها في

---

1 – ابن حيان المقتبس ج5. مصدر سابق ص ص61-62.

2 – ابن حيان. المقتبس. المصدر السابق، ص ص41،42.

3 – أحمد بن عبد ربه. العقد الفريد. ج1. مصدر سابق، ص100.

4 – المصدر نفسه. ص 157.

بعض الأحيان لا يستطيع المحارب أن يصل إلى مكان الحرب بسهولة ولهذا فأنه أيضا من الركائز الأساسية في الحرب ويقول ابن عبد ربه في صفه الفرس:

ومُقْربةٍ يشقرُّ في النَّقعِ كَمْتُها ويخضرُّ حيناً كُلَّما بلَّها الرَّشحُ

يطيرُ بلا ريشٍ إلى كلِّ صَيحةٍ وتسبحُ في البرّ الذي مابهِ سَبْحُ.[1]

وقولة في الحب قال:

الجسمُ في بَلدٍ والرُّوحُ في بلدِيَ اوحشةَ الرُّوحِ بل يا غُربةِ الجسدِ

أن تبكِ عيناكَ لي يا مَنْ كَلِفتُ بهِ من رحمةٍ فهُما سَهْماكَ في كَبدي.[2]

ومن شعرة في الربيع قال:

وروضةٍ عقدتْ أيدي الَّربيع بَها نوراً بنَوْرٍ وتزويجاً بتزويجِ

بُملَقّحٍ من سَواريها ومُلقحةٍ وناتجٍ من غَواديها ومنتوجِ

توشَّحَتْ بمُلاةٍ غير مُلحمةٍ منْ نَورها ورداءٍ غير منسوجِ.[3]

ومن شعره في قصيدة طويلة نذكر منها يقول ابن عبد ربه:

أغارَ على قلبي بعينهِ شادنٌ طالبهُ فيهِ أغارَ على عقلي

بنفسي التي ضَنَّت عليَّ بوصلِها ولو سألتْ قتلي وهبتُ لها قَتلي

إذا جئتُها صدَّتْ حياءً بوجهِها فتَهْجُرني هَجَر ألذُّ من الوصل

كتمتُ الهوى جهدي فجرّدَهُ الأسى بماء البُكا هذا يَخُطُّ وذَا يُملى.[4]

وكان ابن عبد ربه له أبيات شعرية في الزهد فيقول:

يا ويلنا من موقفٍ مابهِ أخوفُ من أنْ يعدِلَ الحاكمُ

أُبارزُ اللهَ بعصيانِه وليسَ لي من دُونهِ راحمُ

يا ربّ غفرانَك عن مذنبٍ أسرفَ إلاَّ أنَّه نادِمُ.[5]

ومن قوله في الشباب:

ولَّي الشَّبابُ وكنتَ تسكنُ ظِلَّهُ فانظُرْ لنفسِكَ أيَّ ظل تسكُنُ

---

1 - المصدر السابق، ص141.

2 - أبي نصر ابن خاقان، مصدر سابق، ص132.

3 - أبو الوليد الحميري الأشبيلي- البديع في وصف الربيع مصدر سابق ص7.

4 - الثعالبي، يتيمة الدهر ج2 مصدر سابق ص 80.

5 - المصدر نفسه، ص 79

ونَهي المشيبُ عن الصّبا لو أنَّه يُدلي بحجَّتهِ إلى مَنْ يَلْقَنُ

ولو شئتُ راهنتُ الصَّبابةُ والهوى وأجريتُ في اللذاتِ من مئتينِ

وأسبلتُ من ثوبِ الشَّباب وللصَّبا عليَّ رداءُ مُعْلَمُ الطَّرَفينِ.[1].

وقولة في الرثاء حيث يرثي ولده فيقول:

بَلِيَتْ عظامُكَ وأسبلتُ يتجدَّدُوالصَّبرُ ينفدُ والُبكا لاينفدُ

يا غائباً لايُرتجى لإيابهِو لقائهِ حتى القيامةِ مَوعدُ

ماكانَ أحسنَ ملحداً ضُمِّنْتَه لو كانَ ضمَّ أباكَ ثم الملحَدُ

باليأسِ أسْلو عنك لا بتجلُّدي هَيْهاتَ أينَ من الحزين تجلُّدُ.[2]

2-2-الشاعر عبيد الله بن يحي بن إدريس(ت352هـ/964م):

ويكنى أبا عثمان ويعد من الشعراء المجيدين له شعر كثير، وأن الشعر أشهر أدواته وعلمه، لم يتقدمه فيه أحد في زمانه، وكان متفننا في ضروب العلم، مع معرفته بالآثار وجمعة السنن وحفظه للغريب[3].

ويعد من شعراء الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله وقام بمدحه في عدة مناسبات منها.

صدوُدُ ليس يبلغهُ عِقابُ وَعَتْبُ ليس يثنيهِ عِقابُ

وإبعادُ بلا ذنبٍ طَويلٍ وإعراضُ وصدودُ واجْتِنَابُ

فلاَ سهرُ يطيبُ ولارُقادُ ولا أكلُ يسوغُ ولا شرابُ[4].

3-2- محمد بن مطرف بن شخيص:

ويكنى: أبو عبد الله ويعد من أهل الأدب المشهورين، ومن أعيان الشعراء المقدمين، وكان من الشعراء البارزين في خلافة الحكم المستنصر بالله وكان من يحضر مجالسه العلمية والمناسبات الدينية وخاصة عيد الفطر وعيد الأضحى.[5]

وعادة أن الخليفة الحكم المستنصر بالله يجلس في مناسبة العيدين للتهنئة بالعيد، ويحضر معه أكابر وجوه الدولة من الأمراء والوزراء والحجاب وغيرهم من خاصيته،

---

1 - أحمد بن عبد ربه العقد الفريد ج1 مصدر سابق ص 362.

2 - الثعالبي، ج2، مصدر سابق ،ص 76.

3 - أبن الفرضي، ج1، مصدر سابق ص ص 430-431

4 - الثعالبي، ج2، مصدر سابق ص 22

5 - انظر. ابن حيان – المقتبس تح علي الحجي ،مصدر سابق ،ص 60، الحميدي ،مصدر سابق ،ص 91.

وخاصة الشعراء والعلماء والأدباء، وعادة ما يقوم الشعراء بإلقاء أشعارهم في هذه المناسبات ومن بين هؤلاء الشعراء الشاعر محمد بن شخيص ومن شعره في مدح الحكم المستنصر بالله في عيد الأضحى لعام (360هـ -973م) نذكر فيها حيث قال:

المَّ بنا الأضْحَى فقلتُ له أهلا   وإنْ كَانَ مولاَنا بما قُلْته أوْلَى
تجلىَّ أمينُ اللهِ والعيدُ والضُّحى   فكان أمينُ الله أفضلَها مُجْلىَ
وما ماثَلَتْ منه الضَّحى غير وجههِ   فكانت له مثلاً وليست لَهُ مثْلا
ليهنِ بني الإسلامِ فخرُ استلامهم   بَنانَ يدِ العَلْيَا من الملكِ الأعلى.[1]

وكذلك له قصيدة أخري في عيد الفطر(361هـ _974م)، نذكر منها حيث قال:

كاد أن يزحمّ الغدوَّ والعشيُّ   يومَ وافاكَ للسَّلامِ النَّديُّ
يُؤنسُ البعضَ منه بعضُ جلاهُ   وجهُك الطَّلقُ لا الصَّباحُ الجليُّ
قابلَ الفطرُ منك أكبرَ مَنهُ   وهو من وفدِك الكريمُ السَّنيُّ
فهنيئاً للعيدِ زورُ إمامٍ   كلُّ عيشٍ منه هنيُّ مريّ.[2]

وفي يوم من الأيام دخل بستان وجلس فيه، ونظر حواليه فرأي ورود وزهور تقابله متفتحة ذات ألوان جذابة ومنظر جميل يسر النفس فقال في ذلك شعر فيه:

أرادَ الوردُ بالآسا نتقاصاً فقال له: نَقيصتُكَ الملالُ
فقال الوردُ: لَسْتُ أزورُ إلاَّ   على شَوْقٍ كمَا زارَ الخيالُ
وأنتَ تُديمُ تثقيلاً طويلاً   تدومُ به كَما رَسَتِ الجبَالُ
فتسأمُكَ العيونُ لذاكُ بُغضاً   وترقُبني كما رُقِبَ الهلالُ.[3]

ومن شعره في الحب فيقول :

يَقُولُون كَمْ تدْعُو إلى غيرِ رَاحِمٍ   وَمَا كُلّ من يشكو إلى النَّاسِ يُرْحَمُ
وددتُ بأنْ يرضى فأن جَادَ بالرِّضَا   تفكّر في ذنبِ المُحبّ فيندمُ .[4]

ومن شعره ايضاً فيقول :

و لم أدْرِ أذ زموا الهوادجَ بالضُّحى   أطرفي أعمى أم نَهاري مُظْلِمُ

1 - ابن حيان، المقتبس، المصدر السابق ص 60.
2 - المصدر نفسه ص 84.
3 - ابن سعيد - المغرب في حلى المغرب -ج-1 مصدر سابق -ص 208.
4 - الثعالبي اليتيمة -ج 2 - مصدر سابق - ص 22.

فياجفن عيني كيف نطمع في الهوى   بنوم ونوم العاشقين محرم [1]

2-4- أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري(ت394هـ 1006م):

وزير من وزراء الدولة العامرية وكاتب من كتابها، عالم وأديب، وشاعر كثير الشعر، غزير المادة.[2]

ومن شعره وهو في معقلة في عهد المنصور بن أبى عامر، حيث كتب إلى بنيه بهذه القصيدة الشعرية حزيناً عليهم، مشتاق إلى رؤيتهم، حيث طال به المقام في السجن وراء القطبان لا يستطيع لقائهم والتحدث إليهم، ولقد قدم لهم فيها النصح، ويوصيهم ويعلمهم بها، ونذكرمنها أبيات فيقول :

الوَى بعزّم تجلّدي وتصبّرى   نأيُ الأحبَّةِ واعتيادُ تذكّري

شَحَطَ المَزَارُ فلا قرارُ ونَافَرَتْ   عَيْنى الهجوعَ فلا خيالُ يَعْتَري

وقصرت عنهم فاقتصرت على حوى لم يدع بالواني ولا بالمقصر.[3]

وفي يوم من الأيام نشأت في الماء سحابه عمت الأفق، ثم أتى المطر الوابل فاستبشر الناس، وسر الحاجب المنصور بن أبى عامر بذلك، لما رأى البسمة والفرحة على وجوه الرعية، لأن في غيث الماء حياة للأرض، فقال الجزيري بديهة:

أمَّا الغمامُ فشاهدُ لك أنَّه   لاشكَّ صِنوكَ بل أخوك الأوثقُ

وافى الصنيعَ فحين تمَّ تمامُه   في النَّحو أنشأ وَدْقَهُ يتدفَّقُ

وأظنهُّ يَحْكيكَ جواداً إذ رأى   في اليومِ بحرَكَ زاخراً يتفهَّقُ[4]

ومن جود شعره قصيده له في الآداب والسنة كتب بها إلى أولاده على هيئة نصائح وإرشادات يحثهم فيها على طلب العلم، لان به ترتفع المراتب والفخر قال:

واعْلَمْ بأنَّ العلمَ أرفعُ رُتبةٍ   وأجلُّمكتسبٍ وأسنَى مفخرِ

فاسْلُكْ سبيل المقتنين له   تَسُدْإنَّ السيادةَ تُقْتَني بالدَّفترِ

والعالمُ المدعوَحَبْراً إنَّماسمَّاهُ   باسم الحَبْرِ حَمْل المَحْبَرِ.[5]

من شعره ايضاً وهو في سجنه، حيث يصف وضعه وحاله في السجن والحالة التي

1 - المصدر نفسه – ص -22 23.

2 - الحميدي – مصدر سابق – ص 280.

3 - شعر أبي مروان الجزيري الأندلس – تح احمد عبد القادر صلاحيه دار المكتب دمشق 1997م ص -132 133.

4 - ابن بسام الشنتريني،الذخيرة،ق4،مج1، مصدر سابق، ص46.

5 - الحميدي – مصدر سابق، ص 281.

وصل إليها بداخله قائلاً :

هو أنّ سجني مانع لوصالهِفما القدرُ أيضاً في امتناع خيالهِ ؟

بل لم تنم عيني فيطرقُ طيفها زوال منامي علة لزوالهِ.[1]

2-5- الشاعر عباده بن عبدالله ابن ماء السماء(ت419هـ/1021م):

من فحول الشعراء وأئمتهم الكبراء، يعد شاعر الأندلس، ورأس الشعراء في دولة المنصور بن أبى عامر، سلك إلى الشعر مسلكاً سهلاً، وكانت صفة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها، ووضحوا حقيقتها غير مرموقة، الرود، ولامنظومة العقود، فأقام عبادة منادها وسنادها، واشتهر بها اشتهاراً أغلب على ذاته وذهب بحسناته وكانت له نتاج علمي حيث ألف كتاب في (أخبار شعراء الأندلس) وله أشعار كثيرة يمتاز بها في المدح والوصف وغيرها من أصناف الشعراء.[2]

وله أشعار في وصف الربيع لما يمتاز به من كثرة اخضرار وتتفتح فيه الورود والزهور، وتفوح فيه الروائح الزكية، والهوى النقي التي تثلج الصدور، وتكثر فيه تغاريد الطيور، شعره فيه قصيده طويلة نذكر منها حيث قال :

وَلَعوُبٍ عشِقَتْ روضَ الثَّرىفَهْي تأتيهِ على طَول البَعْد

فيرُى الرَّوضُ إذا ما وصَلَتْ أرجَ العَرْفِ من الطّيب الجَسَدْ

عطراً مُلْتَبِساً ملتجفاً في سرابيلَ من الحُسْنِ جُدُدَ .[3]

وعادة أن الإنسان في بعض الأحيان يصاب باكتئاب أو يأس تضيق فيه، ويشعر بأحزان بداخله، ولذلك نجد بأن الشاعر عبادة يشعر بقصيدة يصف فيها هوله فيقول:

يَا عبرةٌ أهَديتْ لِمُعتَبرعشيَّة الأربعاءِ من صَفَر

أقبلنا الله بأس منتقم فيها وثنى بعفو مقتدر

أرسل ملك الأكف من برد جلا مداً تنهمي على البشر.[4]

ومن شعر عبادة في المدح فيقول :

يُؤرِّقُنِي اللَّيلُ الَذي أنت نائِمُهفتجهلَ ما ألقى وطَرْفُكَ عَالمُهُ

وفي الهَوْدج المرقومِ وَجْهُ طوي الفتاعن الحسن فيه الحسنى قد دار راقمه

1 - الثعالبي – – ج -2 مصدر سابق – ص 281.

2 - محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، تح إحسان عباس، ج2، دون بلد الاصدار ، 1974م، ص149، والحميدي، مصدر سابق، ص293.

3 - الحميري الأشبيلي، مصدر سابق، ص20.

4 - الحميدي – جذوة المقتبس – مصدر سابق – ص 293.

إذا شاء وقفاً أرسل الحسني فرعه قضى لهم عن منهج القصدِ فاحمهُ.[1]

3- **النحو:**

يعد علم النحو من علوم اللغة العربية، وله مكانة عند الأندلسيين، وهو عندهم من أرفع العلوم، وعلى الرغم من تعدد اللغات واللهجات بتعدد الأجناس في المجتمع الأندلسي، إلا أننا نجد ما حفلت به بلاد الأندلس من نشاط نحوي، وما قدمته من أعلام فيه، بالإضافة إلى المؤلفات والشروح المتعددة قد أسهم إلى حد كبير في إثراء النحو العربي وتقديمه إلى الدارسين، ويكفي دليلاً على ذلك أن معظم المؤلفات في علم النحو المتداولة بين النحاة حافلة بآراء نحاة الأندلس، وما للنحو من مكانة رفيعة بينهم، فنجد معظم العلماء في الفقه وفي العلوم الأخرى لهم دراية كبيرة بعلم اللغة والنحو.[2]

وازدهر هذا العلم في القرن الرابع الهجري، وأصبح كثير من العلماء لهم صيت، وشهرة كبيرة فيه، وعملوا على الرفع من مكانته بين العلوم الأخرى، وقد اشتهر كثير منهم في هذا التخصص الدقيق ونذكر منهم على سبيل المثال:

3-1- **ابن عثمان الأصم(ت335ه/948م):**

هو أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عثمان بن إسماعيل الأسدي، من اللغويين والنحويين فصيح اللسان، وله دراية كبيرة بعلم النحو واللغة إلى جانب أنه شاعر مجود، وأكثر أشعاره على مذاهب العرب.[3]

3-2- **إدريس بن ميثم:**

هو نحوي دقيق النظر بصير بعلم المنطق كثير المطالعة بكتب الأوائل، حاذقاً بعلم الحساب والتنجيم أضف إلى ذلك فإنه شاعر مجود، ورأس على منتحلي الكلام في قرطبة .[4]

3-3- **أحمد بن محمد الأعرج (ت345ه/758م):**

هو أبو عمر أحمد بن محمد بن هاشم بن خلف بن عمر بن سعيد بن عثمان بن سليمان الغازي القيس الأعرج، كان الغالب عليه علم الحديث حيث سمعه ورواه عن كثير من العلماء، ولكنه مال إلى علم النحو فغلب عليه، وقيل أن طلبه للنحو ليستعين به على علم الحديث والفقه.[5]

1 - أبي نصر بن خاقان ، مصدر سابق، ص 181.
2 ينظر، الزبيدي ،طبقات النحويين واللغويين ،مصدر سابق ،ص ص-282 307 ، وابن الفرضي ،ج2،مصدر السابق ،780.
3 ينظر، الزبيدي، المصدر السابق ،ص 306، ابن الفرضي ،ج1 ،المصدر السابق ،446.
4 الزبيدي، المصدر السابق ،ص 306.
5 ينظر، الزبيدي، المصدر السابق ،ص 299،وابن الفرضي ،ج1 ،المصدر السابق ،ص ص95-96.

3-4- أحمد بن يوسف (ت336هـ/749م:

هو أحمد بن يوسف بن حجاج بن عمير بن حبيب بن عمر، كان من أعلم الناس بالنحو وأحفظهم لمسائلة، وكان كتاب سيبويه بين يديه، لايني ولا يغفل عن مطالعته في حال فراغه وشغله وصحته وسقمه وهو من أحذق الناس بعلم العروض وأحفظهم له، وإلى جانب ذلك شاعر مجود.[1]

3-5- محمد بن يحي الرباحي (ت358هـ/971م) :

هو أبو عبد الله محمد بن يحي بن عبد السلام الأزدي، وكان حاذقاً بعلم العربية دقيق النظر فيها لطيف المسلك في معانيها غاية في الإبداع والاستنباط، وقد طالع كتب أهل الكلام وتفنن فيها ونظر في المنطقيات فأحكمها، كانت له رحلة إلى المشرق، وحمل كتاب سيبويه رواية عن العالم أبي جعفر النحاس، ورجع إلى قرطبة ونشر علمه عن طريق التدريس، ولم يكن يوجد من يدرس اللغة العربية من بين المدرسين، ولا عندهم عناية بالنحو علم كبير، حتى ورد عليهم محمد بن يحي الرباحي، لأنه يمتاز بالتدريس بعدة مزايا تميزه عن أقرانه مثل أخذه بعلم دقائق العربية وغوامضها، والاعتلال لمسائلها، وينظر إلى الإمالة والإدغام والتصريف والأبنية، على عكس المدرسين بحيث لا يفقهون في شيء منها حتى نهج لهم هذا النهج، وإلى جانب ذلك أنه كان يقرض الشعر.[2]

3-6- قاسم بن سعدان بن عبد الوارث بن محمد بن يزيد مولى الإمام عبد الرحمن بن معاوية (ت347هـ/960م):

من أهل ريه، سكن قرطبة يكنى: أبا محمد وهو بصيراً بالنحو والغريب والشعر، وكان ضابطاً لكتبه متفقاً لروايته، حسن الخط، جيد الضبط.[3]

3-7- عبد الله بن هرثمة بن ذكوان (ت370هـ/983م):

من أهل قرطبة، وأصله من جيان يكنى: أبا بكر، كان أديباً عالماً بعلم النحو واللغة حافظاً للمشاهد والأيام.[4]

3-8- محمد بن إسحاق بن منذر بن إبراهيم بن محمد بن السليم بن أبي عكرمة (ت367هـ/980م):

قرطبي جليل يكنى: أبا بكر، كان متصرفاً في علم النحو واللغة، حسن الخطابة

1 الزبيدي المصدر السابق ،ص ص299-300 .

2 ينظر الزبيدي ،المصدر السابق ،ص ص310-311، وابن الفرضي.ج2 ،مصدر سابق 750 .

3 - ابن الفرضي ،ج2، المصدر السابق، ص ص614-615.

4 - ابن الفرضي.ج1 ،المصدر نفسه، ص405.

والبلاغة.[1]

3-9- محمد بن يحي بن عبد العزيز المعروف بابن الجزار(ت369ه/982م):

من أهل قرطبة، يكنى: أبا عبد الله، كان عالماً بالنحو فصيحاً بليغاً.[2]

3-10- محمد بن علي بن الحسن بن أبي الحسين (ت371ه/984م):

من أهل قرطبة يكنى: أبا عبد الله كان ضابطاً لكتبه بصيراً بعلم النحو واللغة، فصيحاً بليغاً طويل اللسان.[3]

وإلى جانب هؤلاء يوجد عدد كبير من العلماء لهم عناية بالنحو واللغة وهم : يحي بن عبد الله بن محمد المعروف بالمغيلي، وأبان بن عثمان بن سعيد المبشر بن غالب بن فيضي اللخمي، وحسين بن وليد بن نصر، وخلف بن سليمان بن عمرون البزاز، وعبد العزيز بن حكم بن أحمد ابن الإمام محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، وقاسم بن أحمد بن دي النون العتقي، ومحمد بن يحي بن وهب بن عبدالمهيمن.[4]

وبعد أن تحدث عن هؤلاء العلماء النحويين واللغويين بشيء من الإيجاز والاختصار، سنقف عند شخصية كبير النحويين واللغويين بالأندلس الزبيدي بشيء من التفصيل.

3-11- الزبيدي:

هو أبوبكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مدحج بن محمد بن عبد الله بن بشير الزبيدي الإشبيلي نزيل قرطبة، والزبيدي نسب لزبيد بن صعب بن سعد العشيرة رهط عمر بن معد يكرب الزبيد، وهو عربي الأصل يعود إلى اليمن، وهاجر أهله في من هاجروا إلى الشام، واستقروا بمدينة حمص بالشام ثم كانوا ضمن جنود حمص الذين شاركوا في فتح الأندلس، واستقر بهم المقام في مدينة أشبيلية، وهو عالم بعلم النحو وحفظ اللغة، وهو أفضل زمانه بالإعراب والمعاني والنوادر، وعلم السير والأخبار في قرطبة والأندلس عامة، ونزوله إلى قرطبة واستقراره بها، نال فيها جاهاً عظيماً ورياسة ودنيا عريضة، وتحصل على أموال ضخمة وعز واحترام كبير.[5]

---

1 - ابن الفرضي ،ج2،مصدر نفسه ،ص ص749 750-.

2 - المصدر نفسه. ص 750.

3 ابن افرضي ،ج1 ،مصدر سابق ص،ص53-54-208-209-250، وابن الفرضي ،ج2، ص 473-618-780.

4 -الضبي، مصدر سابق، ص61.

5 - ايظر. ابن الفرضي. ،ج2، مصدر سابق ،ص 769 ،والحميدي، ،مصدر سابق، ص 64، والسيوطي بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،مصدر سابق ،ص 84، وأبي نصر الفتح بن خاقان . مصدر سابق ،ص 135 ،وابن خلكان وفيات الاعيان ،ج4،مصدر سابق ،ص 372،وأبو الفلاح الحنبلي، مصدر سابق ،ص 94، وياقوت الحموي ،معجم الأدباء ،ج18 ،مصدر سابق ،ص 180،والضبي ،مصدر سابق ،ص 56 .

3-11-أ- شيوخه:

تحصل الزبيدي في بداية الأمر على العلوم الأولية في مدينة أشبيلية، حيث كانت بداية نشأته بها وتعلم فيها القراءة والكتابة، وبعض العلوم الدينية والأدبية، وبعد نزوله إلى قرطبة أخذ عن كثير من العلماء الذين كانت لهم دراية بالعلوم اللغوية والأدب والعلوم الدينية، وكانوا من خيرة علماء قرطبة، ومنهم قاسم بن أصبغ البياني وسعيد بن فحلون وأحمد بن سعيد بن حزم، وأبو علي القالي البغدادي، ومحمد يحي الرياحي، وتحصل من هؤلاء علماً غزيراً وأدباً وافراً جعلته من أفضل العلماء في قرطبة وخاصة في العلوم اللغوية والنحوية ونال شهرة عالية بها.[1]

3-11- ب - مؤلفاته :

نظراً لغزارة علمه وأدبه قام بتأليف عدة كتب في اللغة والنحو استطاع بها أن يترك آثارا علمية بين المجتمع الأندلسي أفادت طلاب العلم من هذه المؤلفات وتوارثها أبناؤه من بعده، وحظيت بالاهتمام والتقدير إلى يومنا هذا ومنها:

3-11-ب-1- كتاب طبقات النحويين واللغويين:

قام بتأليف هذا الكتاب بناء على طلب من الخليفة الحكم المستنصربالله حيث قال الزبيدي في مقدمة الكتاب: «إن أمير المؤمنين الحكم المستنصربالله لمااختصه الله به، ومنحه الفضيلة فيه، من العناية بضروب العلوم، والإحاطة بصنوف الفنون أمرني بتأليف كتاب يشتمل على ذكر من سلف من النحويين واللغويين في صدر الإسلام، ثم ما تلاهم من بعد إلى هلم جر إلى زماننا هذا، وإن أطبقهم على أزمانهم وبلادهم، بحسب مذاهبهم في العلوم ومراتبهم وتاريخ وفاتهم، والحكايات المتضمنة لفضائلهم».[2]

3-11-ب-2- كتاب مختصر العين:

هذا الكتاب أيضا أمر بجمعه الخليفة الحكم المستنصر بالله، وذلك رغبة منه في نشره والانتفاع بفائدته حيث طلب من النحوي الزبيدي بالقيام باختصار الكتاب المعروف، بكتاب العين، الذي ألفه النحوي الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقال الزبيدي في مقدمة الكتاب: «مختصر العين بأن تؤخذ عيونه، ويلخص لفظه، ويحذف حشوه وتسقط فضول الكلام المتكررة فيه لتقرب بذلك فائدته ويسهل حفظه، ويخفف على الطالب جمعه، فبدأنا في

---

1 ينظر الزبيدي لحن العوام ،تح رمضان عبد التواب ،المطبعة الكمالية ،القاهرة 1964م، ص 8، وابن ا لفرضي ،المصدر السابق، 769 .
2 الزبيدي ،طبقات النحويين واللغويين .مصدر سابق ،ص17 .

ذلك بعون الله وتأييده على الشريطة المذكورة، ومذهبنا أن نصلح ما ألفيناه مختلاً في الكتاب وأن نوقع كل شيء منه مواقعه ونضعه في بابه أن شاء الله».[1]

3-11- ب-3- كتاب لحن العوام:

تم تأليف هذا الكتاب من ضمن الكتب التي ألفها النحوي الزبيدي، وذلك عند حصوله على الثقة والتشجيع من الخليفة الحكم المستنصر بالله، وقام بتأليفه عندما نظر الزبيدي إلى لغة الناس من حوله، وأحس بأن هناك فارقاً بين لغتهم واللغة الفصيحة، فأراد أن يبين هذه الأخطاء ويصلحها، حيث أفاد في مقدمة الكتاب قال: «ولعل طاعناً في كتابنا هذا بما ذكرناه من الكلام السوقي، واللفظ المستعمل العامي، جهلاً منه أن الفساد إنما يقع في المستعمل على الألسنة، وأن الوحش مصون عن التغير والإحالة في استعماله، وجهل عوام الناس به».[2]

ويراد باللحن الخطأ في اللغة العربية الفصحى أصواتها ونحوها وصرفها ومعاني مفرداتها، وتركيب لحن العامة يصدق على ما يشيع من خطأ في لهجات الخطاب من عامة الناس تم ينبه إليه اللغويين لئلاً يقع فيه الخاصة من الكتاب والشعراء والخطباء، كما يصدق على ما يتسرب من أخطاء العامة إلى لغة الخاصة، فيجمعه اللغويين وينبهون إليه لتنقية اللغة الفصحى من شوائبه.[3]

3-11 -ب -4- كتاب الرد على ابن مسرة وأهل مقالته سماه (هتك صدور الملحدين).[4]

3-11- ب -5- كتاب الواضح في اللغة.[5]

3-11- ب -6- كتاب الأبنية في النحو.[6]

3-11- ب -7- كتاب المستدرك من الزيادة في كتاب البارع.[7]

3-11- ب – 8- كتاب رسالة التفريط.[8]

3-11- ب- 9- كتاب في أبنية سيبويه.[9]

---

1 الزبيدي الأشبيلي مختصر العين تحصلاح مهدى الفرطوسي دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ،1991م ،ص6.
2 الزبيدي. لحن العوام . مصدر سابق ،ص 3.
3 ابن خلكان. وفيات الأعيان ج4،مصدر سابق ،ص 372.
4 – نفس المصدر والصفحة.
5 – نفس المصدر والصفحة.
6 – نفس المصدر والصفحة.
7 – ابن خير الأشبيلي .الفهرسة مصدر سابق ،ص 451.
8 – نفس المصدر والصفحة.
9 – ياقوت الحموي . معجم الأدباء ج18، مصدر سابق ،ص180 .

وتعد هذه الكتب التي قام بتأليفها النحوي الزبيدي ذات قيمة علمية لأهل الأندلس في عصره وبعد وفاته، ومساهمه كبيرة في ازدهار الثقافة في قرطبة، وأفاد منها أهل العلم والثقافة بعد انتشارها خارج الأندلس، خاصة كتابة الذي اختصره من كتاب العين، لأنه أتمه باختصار واضح حيث أوضح مشاكله وزاد فيه ما كان ناقصاً لإتمامه، وكذلك كتاب طبقات النحويين واللغويين، حيث أطلع العلماء والباحثين على كل النحويين واللغويين في المشرق والمغرب من زمن النحوي الأسود الدؤلي إلى زمن شيخه أبي عبد الله الرباحي، بالإضافة إلى كتاب لحن العوام الذي شرح فيه الأخطاء التي يرتكبها عامة الناس في اللغة العربية، ومحاولة إصلاحها إلى جانب الكتب الأخرى التي عمت الفائدة والتحصيل العلمي بها، وإلى جانب علمه بالنحو واللغويات كان يقرض الشعر في عدة مناسبات على الرغم أن يعد من أقل أدواته ومن أشعاره في تكذيب منجم قال:

يقولُ المُنجِّمُ لي لاتَسرْ ... فإنَّكَ إنْ سِرْتَّ لاقيتَ ضَّرا

فإنْ كَانَ يعلمُ أنّ سيْرِي ... بالنّهي لغواً وهجرا

وإنْ كَانَ يَجْهَلُ سَيْري فكَيْفَ ... يَرَانِي إذا سِرْتُ لاقيتُ شرّا.[1]

وفي رثائه لشيخه علي بن إسماعيل القالي اللغوي قصيدة جزله الألفاظ كثيرة الغريب، صاغها صوغ فحول العرب، وضمنها قطعة من غريب كلامهم، وهي قصيدة طويلة أولها:

تَاللهِ لا يَبْقَى لِصَرفَ النَوَى ... ذُو جِدٍّ في رأسِ نَيْفٍ مُنّيفِ[2]

وقوله في الزهد :

لو لم تَكُنَ نَارُ ولأجَنةُ ... للمرء إلاَّ أنَّهُ يقْبَرُ

لَكَانَ فَيها وأعَض زَاجِرُ ... نَاهِ لِمَنْ يَسّمعُ ويُبصِرُ.[3]

وعندما استقر فترة طويلة في قرطبة أستأذن الحكم المستنصر بالله في الرجوع إلى أهله بأشبيليه فلم يأذن له فكتب إلي جارية له هناك تدعى سلمى فقال:

«ويَحكِيا سلمى لا تُراعِي لابُدّ لَلْبيْنِ مِنْ زِمَاعِ
لا تَحْسبِيني صَبِرْتُ إلاّ كَصَبْرِ مَيْتٍ على النِّزَاعِ
مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ عَذَابٍ أشَدّ مِنْ وَقْفَةِ الوداعِ
مـا بينـنا والحَمَام فَرْقٌ لولا المَناحّاتِ والنَّواعِي
إن يفْتَرِقْ شَمْلُنَا وَشِيكاً مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ ذا اجتماعِ
فكلَّ شَمْلٍ إلى افتراقِ وكُلُّ شَعْبٍ إلى انْصِداعِ
وكُلَّ قُرْبٍ إلى بعادِ وكُلُّ وَصْلٍ إلى انْقِطَاعِ».[4]

وكان كثير أما يشعر:

الفقرُ في أوطانِنا غُرْبةٌ والمالُ في الغُرْبةِ أوطانُ
والأرضُ شيءٌ كلّها واحدٌ ولنَّاسُ إخوانٌ وجيرانُ.[5]

11-3-ج- طلبته:

تلمذ على الزبيدي كثير من العلماء أخذوا عنه مؤلفاته في النحو واللغة، وقد اشتهر بالتدريس حتى داع صيته في قرطبة، ومن الذين أخذوا عنه نذكر منهم:

11-3- ج-1-هشام المؤيد:

هو ولي عهد الحكم المستنصر بالله، حيث استدعاه لمجلسه في القصر، وذلك لمجالسته ومفاتحته النظر في العربية والحساب، ونفعه نفعاً كثيراً، وكان الزبيدي يستعظم أدب المؤيد بالله أيام صباه، ويصف رجاحته ويزعم أنه لم يجالس قط من أبناء العظماء من أهل بيته وغيره في كل سنة أذكى منه، ولا أحظر يقظة والطف حساً وأرزن حلماً.[1]

11-3- ج -2- ابنه الوليد: أخذ عنه كثير من مؤلفاته وكتبه وقام بدراستها والإفادة منها، وخاصة أنه قريب منه.[2]

---

1 – ابن خلكان ،وفيات الاعيان ،مصدر سابق ،ص 373.
2 – ينظر ابن خير الأشبيلي . مصدر سابق ،ص 452 ، والحميدي ،مصدر سابق ،ص 49، وابن خاقان ،،مصدر سابق ،ص 185.

11-3- ج -3- **أبو القاسم الأفليلي:** روي عنه كتاب إبنية سيبويه[1].

11-3- ج -4- **الوزير أبو عبدة حسان بن مالك بن أبي عبده:**

من الأئمة في اللغة والأدب، وأخذ عنه كتاب آبنية سيبويه[2]

11-3- ج -5- **أبو بكر عبادة بن ماء السماء:**

من فحول شعراء الأندلس، متقدم فيهم من علمه، وأخذ عن الزبيدي بعض مؤلفاته.[3]

11-3- ج -6- **أبو مروان جعفر بن أحمد بن عبد الملك بن مروان:**

روى عن الزبيدي بعض مؤلفاته، وكان بارعاً في الأدب واللغة ومعاني الشعر[4]

11-3- ج -7- **إسماعيل بن سيدة:**

حيث التقى الزبيدي، وأخذ عنه كتاب مختصر العين، وكان من النحاة وأهل المعرفة[5]

11-3- ج -8- **أبو غالب تمام بن غالب بن عمر:**

ويعرف بابن التياني اللغوي روي عن الزبيدي بعض مؤلفاته، وهو إماماً في اللغة، وله كتاب في اللغة لم يؤلف مثله اختصاراً وإكثارا، ومقدماً في علم اللسان[6]

11-3- ج -9- **محمد بن عطاء الله النحوي:**

كان بصيراً بالنحو، مقدماً فيه، وهو الغالب عليه، وروى عن الزبيدي بعض مؤلفاته.[7]

11-3- د- **المهام التي تقلدها:** إلى جانب ما قام به الزبيدي من نشر علوم اللغة والنحو في الأندلس، على أكمل وجه، فإنه تقلد عدة مناصب في دولة الحكم المستنصر بالله، وفي دولة ابنه هشام المؤيد بالله المتغلب عليه الحاجب المنصور بن أبي عامر ومن هذه المناصب التي تقلدها:

3 11- د -1- **القضاء:** لأهمية في الدولة، ومن يجب أن يتولى هذه المهمة الصعبة، فإن الخليفة الحكم المستنصر بالله لما راه في الزبيدي من علم وورع وثقة فإنه أسند إليه مهمة القضاء في مدينة إشبيلية.[8]

---

1 - ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج4،مصدر سابق ،ص ص 372-373.
2 - ابن خير ،الفهرسة ،مصدر سابق ،451.
3 - ينظر، المصدر السابق ،ص ن ،والحميدي ،مصدر سابق ،ص 196 .
4 - ينظر، ابن خير، مصدر سابق ،ص 452 ،والحميدي ،مصدر سابق ص 292.
5 - ينظر، ابن خير الأشبيلي، مصدر سابق ،ص 457 ،و ابن بشكوال الصلة ،ج2، مصدر سابق ،ص 135 .
6 - ينظر، الحميدي ، مصدر سابق ،ص 183، وابن بشكوال ،مصدر سابق ،ص 147 .
7 - ينظر، ابن الفرضي،ج1 ،مصدر سابق، ص 768،وابن خلكان وفيات الأعيان ،ج4، مصدر سابق ،ص 378.
8 - ابن خلكان ،مصدر سابق ،ص 378

3-11-د-2- **خطة الشرطة:** قام بإسناد خطة الشرطة إلى الزبيدي، وهي من المهام الصعبة في الدولة، ولا يقوم بتحمل وزرها الأ من كان له حكمة وصبر وشجاعة وعلم.[1]

وبهذه المهام التي تولاها، أحكام القضاء تم تقديمه إلى خطة الشرطة أمران جليلان على قوة الشخصية، وعلى القدرة على الشؤون الإدارية، كما أن كتابه الذي ألفه بالرد على ابن مسرة، يؤهله لأن يكون من المتمسكين بالسنة وبالكتاب، وبذلك تولى تلك الوظائف، وبهذه الرحلة الطويلة التي قضاها في سبيل العلم من دراسة وتدريس وتأليف، وكذلك المهام التي تقلدها في حياته، قد وافته المنية يوم الخميس مستهل جمادي الثاني سنة (379هـ/991م)، بعد أن ترك آثارً علمية ذات قيمة خلدت أسمه على مدار السنين وأفاد منها كثير من العلماء على مختلف مستوياتهم العلمية، ويعد من العلماء الذين أسهموا في أثراء الدرس اللغوي والنحوي في الأندلس.

نلاحظ أن الغالبية العظمى من اللغويين والنحويين في قرطبة تلقوا علومهم فيها على يد علماء أجلاء في علوم النحو واللغة، ولم يقوموا بالرحلة إلى المشرق كأسلافهم في العلوم الأخرى للتعلم في مدنه، ولكن لا نقول أنهم لم يعتمدوا على المشارقة، لأنَّ الغالبية منهم أخذوا ونهلوا علوم اللغة على يد العالم اللغوي المشرقي أبي علي القالي.

العلوم الإنسانية والتطبيقية:

3-1- **علم التاريخ :**

من العلوم التي ازدهرت في القرن الرابع علم التاريخ، حيث ظهر عدد من المؤرخين في قرطبة الذين ألفوا في أخبار بلادهم، وخاصة ما يتعلق بالغزوات التي قام بها خلفاء هذا القرن، حيث كان كثير منهم يرافقونهم في غزواتهم ويسجلون كل كبيرة وصغيرة فيها، هذا إلى جانب تسجيلهم لكل ما يحدث لهم داخل الخلافة من احتفالات واستقبالات للوافدين عليهم سواء من بلاد الفرنجة، أومن المناطق الإسلامية المجاورة لهم، والأحداث اليومية التي تحصل داخل دار الخلافة، مثل إصدار الأوامر والرسائل، وترسيم الوزراء من قبل الخليفة، وذكرهم لمن دخل إلى قرطبة من الأمويين من المشرق وغيرهم من بطون العرب، ووصف ما يحدث لهم من استقبال وترحيب من قبل القائمين على دفة الحكم في البلاد بالإضافة إلى ذكرهم للشعراء والأدباء والعلماء في مختلف ضروب العلم، ومعظم المؤرخين الذين كانوا في هذا القرن نجدهم يتقربون إليهم كثيراً، ولذلك يقومون بكتابة قسم كبير

---

1 - عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق ص 49.

لعهود الأموين سواء في السابق أو الحاضر.[1]

وعلم التاريخ يعد من العلوم التي تقوم بتسجيل الأحداث سواء السابقة أو الأحداث الحاضرة، وأحيانا الأحداث اليومية، ويقوم المؤرخون بتدوينها وشرحها ووصفها، وقد قال ابن خلدون في التاريخ: «أعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج إلى مأخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت بفيضان يصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المذلات والمغالط».[2]

وكل الذين كتبوا علم التاريخ في الأندلس في القرن الرابع الهجري جغرافيين ومؤرخين في آن واحد، وكانوا عادة ما يبدؤون بمقدمة جغرافية للأندلس ويتحدثون عن ممالكها وأنهارها ومناخها قبل أن يبدأو بالمادة التاريخية، وكذلك بجانب تأليفهم لكتب التاريخ نجدهم يكتبون عن المدن والمراس والمسالك وغيرها مما يتعلق بالجغرافيا، ولهذا نجدهم يسيرون في خط متوازٍ بين المادة التاريخية والمادة الجغرافية[3]

وبذلك فإن المؤرخين في القرن الرابع الهجري قاموا بدور كبير لازدهار علم التاريخ وبرز فيه عدد كبير منهم لهم باع كبير في هذا المجال منهم من تدوولت مؤلفاته إلي يومنا هذا ومنهم فقدت مؤلفاته، ولإبراز دور المؤرخين في ازدهار الثقافة في قرطبة فإننا نسلط الضوء على المؤرخين الآتية أسماؤهم وهم:

3-1- محمد بن عبدالله بن محمد عبد البر:

يكنى أبا عبدالله، من العلماء المذكرين والحفاظ المؤرخين الذين اعتنوا بكتابة التاريخ بقرطبة، قام بتأليف كتاب (الفقهاء والقضاة بقرطبة والأندلس) حيث كتب وأرخ لهم من ناحية عدد السنين التي قضوها في القضاء وسيرهم في ذلك.[4]

3-2- محمد بن يوسف أبو عبد الله التاريخي الوراق:

حيث اهتم بكتابة التاريخ، ونظراً لما كان للحكم المستنصر بالله من حب لتأليف الكتب، فقد انتدبه للتأليف له، حيث قام بتأليف كتاب ضخم في (مسالك أفريقيا وممالكها)،

---

1 – ينظر، ابن حيان، المقتبس،ج5، مصدر سابق، ص 65، واحمد المقري التلمساني نفح الطيب ج2، مصدر سابق، ص 69.
2 – ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح محمد تامر، مصدر سابق، ص 9.
3 – ينظر ابن الفرضي ،ج1، مصدر سابق ،ص 95، والحميدي، مصدر سابق ،ص 97.
4 – الحميدي، المصدر نفسه، ص 64.

وتناول فيه الحديث عن القارة الإفريقية من حيث الموقع والممالك التي توجد بها ومدنها، وألف كتاباً كبير المحتوى في (أخبار ملوكها والغالبين عليها)، حيث تناول فيه أسماء الملوك الدين حكموا إفريقيا والحروب التي قاموا بها، إلى جانب الانتصارات التي تحصلوا عليها والغزوات التي قامت ضدها ومن قام بها، بالإضافة إلى ذلك قام بالكتابة في أخبار بعض المدن وهي تهرت ووهران وسجلماسة ونكور وهي مدن تقع في الشمال الغربي للقارة الأفريقية، تناول أخبارها من ناحية الموقع الجغرافي والسكان والأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية بها.[1]

3-3- أحمد بن محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الرازي الكناني:

من أهل قرطبة، وأصله من الرى، كان كثير الرواية حافظاً للأخبار ويعد من أفضل المؤرخين ومؤسسي علم التاريخ في قرطبة في القرن الهجري الرابع في زمن عبد الرحمن الناصر لدين الله، وله مؤلفات كثيرة في أخبار الأندلس وتواريخ دول الملوك فيها وخدمتهم وركبانهم وغزواتهم، كتاب كبير وله كتاب كبير ألفه في صفه قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها)، نحى فيه نحو ما بدأ به أحمد بن أبي طاهر في أخبار بغداد، وذكر الحميدي عن أحمد بن محمد قال: ولأحمد بن محمد بن موسى كتاب في(مشاهير الأندلس) في خمس مجلدات ضخمة من أحسن الكتب وأوسعها.[2]

اعتمد الرازي في تأليف كتاب (مشاهير الاندلس) على أستاذه ومعلمه قاسم بن أصبغ البياني الذي كتب في هذا المجال، أضف إلى ذلك أستفاد من كتاب أبيه الذي ألفه في تاريخ الأندلس، وكذلك اعتمد في كتابه تاريخ (أخبار ملوك الأندلس) على تاريخ (هيروشيس)، وهو كتاب عجيب لتاريخ الروم فيه أخبار العصور وقصص الملوك، حيث بدأ تاريخه بنفس المنهجية لهذا الكتاب، وبذلك يُعد أحمد الرازي من أبرز من كتب في هذا التخصص، ولقد لقب بالتاريخي لكثرة مؤلفاته في هذا الحقل، والمجلدات الكثيرة التي ألفها في تاريخ الأندلس شاهد له على ذلك.[3]

ولقد ترك أحمد الرازي ميراث تاريخي كبير أفاد منه أهل الأندلس والمؤرخين من بعدهم إفادة كبيرة، وخاصة أنه كانت له مؤلفات في تاريخ الأندلس منذ دخولها إلى الفترة الأخيرة من حياة الخليفة عبد الرحمن الناصر، كان أول المستفيدين منه العالم التاريخي

1 – الحميدي المصدر نفسه، ص97.

2 – ينظر، ابن الفرضي، المصدر السابق، ص95، والحميدي، المصدر السابق، ص 104 .

3 – ينظر، ابن جلجل، ، مصدر سابق، ص 98. والحميدي المصدر السابق، ص 33 ،وابن الأبار ، مصدر سابق، ص 50، 51.

ابن حيان، حيث استشهد به في عدة مناسبات وأحداث تاريخية، وخاصة في كتابة المقتبس الذي يتحدث فيه عن مرحلة كبيرة من سنوات الخلافة لعبد الرحمن الناصر لدين الله، حيث أن أحمد الرازي كتب عن هذه المرحلة، فكتب عن الأمور التي تخص العائلة المالكة سواء عن تنقلاتهم وكيفية معيشتهم وعن مايقوم به الخليفة من إصدار القرارات والأوامر التي تخص الرعية سوى تعينهم للوزراء والقضاة وخلعهم وغيرها من الأمور المناطة لدفة الحكم، وكذلك ما يتعلق بالحروب والغزوات التي يقوم بها وافتتاحه للثغور والقلاع.[1]

3-4- أحمد بن محمد التاريخي:

كان عالماً بالأخبار والتاريخ الأندلسي، وألف كتاباً كبيراً ضخماً ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها من حيث الموقع وسعتها وبعدها عن عاصمة الخلافة، وأمهات مدنها أي المدن الرئيسة بالأندلس من حيث الموقع والحجم، وأخبار أقاليمها الرئيسة التي تتكون منها الأندلس وشرحة لخواص كل بلد ومدينة منها، ونجد أن هذا الكتاب تاريخي جغرافي أي يحتوي على معلومات تاريخية وجغرافية.[2]

3-5- ابن القوطية(ت367هـ/979م):

وهو محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز، من أهل قرطبة وأصله من أشبيلية، ويعد من الحافظين لأخبار الأندلس مليئا برواية سير أمرائها وأحول فقهائها وشعرائها، وقد ألف كتاباً تاريخياً في أخبار أهل الأندلس، وكان يمليه عن ظهر قلب في كثير من الأوقات، ويتحدث ابن القوطية في هذا الكتاب عن الخطوات التي قام بها المجاهدون المسلمون والقوط السكان الأصليون للأندلس، ثم عن الصراع الذي حدث بين الأمـراء على تولي السلطة في الإمـارة بعد استكمال افتتاح أغلب المدن بها، ثم تناول الفترة التاريخية من دخول عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس وسيطرته عليها إلى آخر ولاية الأمير عبدالله بن محمد، كانت هذه الفترة مملوءة بالأخبار والحوادث التاريخية من صراع على السلطة، إلى سيطرة بني أمية على مقاليد الحكم، والنهوض بالأمارة سياسياً واقتصاديا واجتماعياً وفكريا.[3]

ولقد تلمذ ابن القوطية على عدد من العلماء، وأخذ علمه منهم وكانت بدايته بأشبيليه،

---

1 - ابن حيان، المقتبس ج2، مصدر سابق، ص 16،24،53،54.

2 - الحميدي ،مصدر سابق، ص 104.

3 - ينظر ابن حيان المقتبس ،ج5 ،مصدر سابق ص ص 16-24-53-54ابن قوطية القرطبي، مصدر سابق، ص 28،29، 49، 80 ان الفرضي 2ج مصدر سابق، ص ص748، 747، السيوطي . ببقية الوعاة في طبقات اللغويين، النحاة ج1 مصدر سابق ص 104.

حيث أخذ عن محمد بن عبدالله وحسن بن عبدالله الزبيدي وسعيد بن جابر، وسمع بقرطبة من طاهر بن طاهر بن عبد العزيز، وابن أبي الوليد الأعرج ومحمد بن عبد الوهاب بن مغيث وقاسم بن أصبغ البياني، وطال به العمر وسمع منه كثير من العلماء في قرطبة طبقة بعد طبقة، حيث سمع منه ابن الفرضي ومحمد بن فرح بن سمعون وأبو عبدالله النملي، وسهل الأندلسي البجاني والقاضي أبو الحزم خلف بن عيسى بن سعد الخير الوشقي.[1]

وبذلك يعد ابن القوطية من العلماء الذين أسهموا بمجهودات كبيرة في ازدهار الثقافة والعلوم المختلفة في قرطبة، بما قام به من تأليف للكتب في بعض العلوم الأخرى إلى جانب التاريخ والفقه واللغة والنحو والإشعار والحديث، كذلك بما قام به من تدريب للطلبة، حيث امتد به العمر طويلاً، وأخذ عنه الصغار والكهول مؤلفاته.

3-6- عبد الملك بن أحمد بن شهيد:

من أهل قرطبة، يكنى أبا مروان يعد من علماء التاريخ بقرطبة، كان من المعدودين في علم الخبر والتاريخ، ولقد قام بالتأليف في التاريخ كتاب التاريخ الضخم (كتاب التاريخ في الأخبار على توالي السنين) بداية من عام الجماعة سنة(41هـ) إلى أخبار زمانه المنتظمة بوفاته، وهو أزيد من مئة سفر، وبذلك فأن كتابة أحتوى على فترة زمنية طويلة من التاريخ الإسلامي الطويل تقدر بحوالي أربعة قرون مسجلا فيها أهم الأحداث التاريخية التي حصلت في هذه الفترة الزمنية، وبذلك يعد كتابه جامعاً للأخبار، كثير الفائدة.[2]

3-7- حسين بن عاصم:

يمتاز بالعلم والأدب وممن كتبوا في التاريخ حيث كان من اهتماماته، وقام بتأليف كتاب تاريخي في (المأثر العامرية) تضمن سيرة الحاجب المنصور بن أبي عامر، وعدد غزواته ومتى قام بها، وكذلك عن أعماله ورجاله من وزراء وحجاب ودوي الخدمة في كل المجالات[3]

3-8- أحمد بن محمد بن أحمد بن سعد أبو عمر(ت401هـ/1013م):

يعرف بابن الجسور، كان معتنياً وله دراية بكتب التاريخ، حيث حدث عن ابن فضل الدينوري كتاب (التاريخ لمحمد بن جرير الطبري)، إلى جانب علمه بالتاريخ كان من أهل العلم، متقدماً في الفهم، يعقد الوثائق لمن يقصده حافظاً للحديث، عارفاً بأسماء الرجال،

1 - الحميدي المصدر السابق، ص 76.

2 - ابن بشكوال ، الصلة ، ج2 ، ثح ابو العلا العدوي ، مصدر سابق ص ص5-6

3 - الحميدي المصدر السابق، ص 193.

ولقد تلمذ على عدد من العلماء في قرطبة مثل وهب بن مسرة ومحمد بن معاوية القرشي وقاسم بن أصبغ وابن أبي دليم والحبيب بن أحمد وأحمد بن مطرف وأحمد بن سعد بن حزم ومنذر بن سعيد القاضي وكانت له رحلة إلى المشرق روى فيها عن أبي على الحسن بن سلمة بن سلمون وأبي بكر أحمد الفضل بن العباس الدينوري، وسمع منه كثير من العلماء في قرطبة منهم أبو عمر بن عبدالله ابن البر النمري. حيث سمع منه كتاب التاريخ المعروف (بذيل المذيل)، ونقلا عن الحميدي بأن أبا محمد بن حزم قال: إن ابن الجسور أول شيخ سمع منه قبل الأربعمائة.[1].

3-9- عبد الله بن محمد بن يوسف المعروف بابن الفرضي أبو الوليد القاضي(ت402هـ/1012م):

كان حافظاً متقناً عالماً ذا حظ وافر من الأدب، ويعد من رجالات التاريخ والأخبار، صاحب كتاب (تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس). يتمتع بعدة مزايا قلما تجدها عند غيره، منها السعة في الرواية، وحفظ الحديث، الافتتان في العلوم والأدب البارع، وأن كتابه الذي ألفه في التاريخ احتوى على الغالبية العظمى من علماء الأندلس منذ افتتاحها وحتى وفاته في جميع ضروب العلم، سواء الدينية أو الأدبية، أو اللغوية، أو التاريخ، أو الفلسفة إلى جانب العلوم الأخرى، وبدأ كتابه بالحروف الأبجدية في ذكره للعلماء.[2]

إلي جانب تأليفه لكتاب التاريخ، فقد ألف عدة كتب أخرى مثل كتاب (المؤتلف والمختلف)، وكتاب (المشتبه النسبة)، وكتابه في (أخبار شعراء الأندلس).[3]

وقد روى وكتب عن كثير من العلماء في قرطبة نذكر منهم: أحمد بن خالد بن عبدالله بن قبيل بن يبقى الجدامي التاجر، عباس بن أصبغ بن عبد العزيز بن غصن الهمداني، محمد بن أحمد بن يحي بن مفرج القاضي، محمد بن يحي بن عبد العزيز المعروف بأبن الجزاز، محمد بن محمد أبي دليم.[4]

ورحل إلى المشرق في عام (382ه/994م)، فأدى فريضة الحج، والتقى بكثير من العلماء بمكة وسمع منهم وكتب من أماليهم، حيث كتب عن أبي يعقوب يوسف بن أحمد بن الدخيل المكي وأبي الحسن على عبدالله، وسمع وكتب في مصر عن أبي بكر أحمد بن

---

1 – ينظر. الحميدي، المصدر السابق، ص107، وابن بشكوال. الصلة. ج1 .المصدر السابق، ص ص 50.49.

2 – ينظر . الحميدي. مصدر سابق، ص ص254_255، وابن الفرضي. مصدر سابق، ج1+ج2.

3 – ينظر- عمر ابن عبد البر النمري القرطبي. مصدر سابق، ص ص19_20، وأحمد المقري التلمساني. نفح الطيب. ج2. مصدر سابق، ص129.

4 – ينظر- ابن الفرضي.ج1 . مصدر سابق، ص ص53 إلى 117 . والحميدي. مصدر سابق، ص254.

محمد بن إسماعيل البنا، وأبي بكر الخطيب، وأبي جعفر أحمد أبي محمد بن أبي زيد الفقيه، وأحمد بن نصر الداوري، وأخذ في القيروان عن أبي محمد بن أبي زيد الفقيه، وأبي جعفر أحمد بن دحمون، وعلي بن محمد بن خلف المعروف بالقابسي[1]

نلاحظ من عدد الشيوخ الذين أخذ وكتب وروى عنهم ابن الفرضي أن ثقافته متنوعة وفي كثير من العلوم، ولهذا قد أفاد أهل الأندلس من الكتب التي ألفها، وتداولها العلماء والطلبة جيلاً بعد جيل، وقد قام ابن بشكوال عند كتابته لكتابه الصلة فإنه نهج نفس المنهج الذي سار عليه ابن الفرضي في كتابه تاريخ علماء الأندلس حيث قال ابن بشكوال عنه: «وهو صاحب كتاب الأندلس الذي وصلناه بكتابنا هذا».[2]

وقد درس ونهل على يديه كثير من الطلبة والشيوخ بالأندلس، وأكثرهم كان مرافقا له كثيراً العالم الشيخ عمر بن عبد البر، حيث قرأ عليه كتابه (التاريخ) وكتابه (المؤتلف والمختلف) في أسماء الرجال، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه، وكتاب (المنبه لذوي الفطن على غوائل الفتن) لأبي الحسن القابسي، وسمع منه كذلك أبو عبد الله الخولاني.[3]

ولهذا أضاف ابن الفرضي إلى المكتبة الأندلسية في قرطبة نتاجاً جديداً من المؤلفات زادت في تطور العلم وازدهار الثقافة، ونجد معظم المؤرخين من أهل الأندلس، تلقوا العلم على علماء من داخلها، واجتهدوا كثيراً واعطوا هذا العلم حقه من جميع الجوانب.

---

1 - ينظر الحميدي. مصدر سابق. 255، وابن بشكوال.الصلة.ج1، ص 279.
2 - أبو عمر بن عبد البر. مصدر سابق، ص20.
3 - ابن بشكوال. الصلة. ج1 . مصدر سابق. ص 279.

3-2-علم الفلسفة :

3-2-1- مفهوم الفلسفة وتعريفها:

إن علم الفلسفة مجال واسع ومتعدد الجوانب والمدارس والمناهج، ومن ثمَّ فإن التعريف الواحد قد لا يجمع في مضمونة ومفرداته كل الآراء والأفكار والموضوعات الخاصة بهذه الاتجاهات المتعددة.

وقد مر علم الفلسفة عبر التاريخ بعصور متعددة، ارتبط خلالها بظروف بيئية طبيعة واجتماعية متعددة، فالمجتمعات منذ القدم حتى يومنا هذا تعرضت لتحديات مختلفة كانت أساساً لها في تكوين حضارتها وثقافتها المتميزة، وفي إطار هذه الثقافة الخاصة ينشأ علم الفلسفة، ويصاغ في قالب متميز محدد ولهذا فقد وضعت عدة تعريفات عبر العصور والأزمنة كالآتي:ـ

3-2-1-أ- عرفها القدماء بأنها محبه الحكمة، وإن هذا التعريف القديم يستند إلى تحديد العلاقة بين المصطلح والاشتقاق اللغوي للكلمة ذاتها، وأنه من المعروف تاريخيا أن كلمة الفلسفة تقابل المصطلح اليوناني الفلسفة، والتي تتألف من مقطعين أثنين هما(فيلو philo) ويعني حب، و(Sophia) ويعني الحكمة، وبذلك تكون الفلسفة هي حب الحكمة، وأول من استعمل هذه الكلمة هم تلاميذ سقراط (339ق م)، ويقال أفلاطون (348ق م) [1]

وقد ذهب بعض مؤرخي الفلسفة إلى أن فيثاغورس (197ق م) هو أول من استخدم هذا التركيب للدلالة على البحث في حقائق، حيث نجد عنده كلمتي محبة الحكمة، ومحب الحكمة، وينسب إليه في ذلك قوله: من الناس من يستعبدهم التماس المجد، ومنهم يستدله طلب المال، ومنهم قلة تستخف بكل شيء وتقبل على البحث في طبيعة الأشياء، أولئك هم الذين يسمون أنفسهم محبي الحكمة أي الفلاسفة.[2]

3-2-1-ب- الفلسفة في العصور الوسطى: لقد عرفها العلماء المسلمون بعدة تعريفات على النحو الآتي:ـ

3-2-1-ب-1- الكندي (185-252هـ/801-866م):

وهو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الذي لقب بفيلسوف العرب عرفها: «بأنها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان، واعتبر الفلسفة الأولى التي هي علم الحق الأول

1 – توفيق الطويل.أسس الفلسفة. دار النهضة العربية بيروت، 1979م، ص ص90،89.

2 – يوسف كرم . تاريخ الفلسفة اليونانية . دار المعارف القاهرة 1969م، ص 221 .

الذي هو علة كل حق أشرف أنواع الفلسفة وأعلاها مرتبة"[1]

3-2-1-ج-1- **الفارابي:** عرفها بقوله: «الفلسفة جوهرها وماهيتها أنها العلم بالموجودات بما هي موجود»[2]

عرفها الأوربيون في العصور الوسطى، حيث كانت السيادة لتعاليم الكنيسة على أنها: « دور الفلسفة هو دور الخادم للتأسيس العلمي للعقيدة وتكوينها والدفاع عنها، وعندهم دور الفلسفة في هذا العصر هو محاولة التوفيق بين العقل والوحي»[3]

3-2-1-ج-1- **عرفها القديس انسلم فقال:** فقد ذهب إلى أن الإيمان شرط لصحة التفكير العقلي[4].

3-2-1-ج 2- **عرفها القديس تدم الاكويني:**

قال: « الفلسفة هي الحكمة الأولى التي تعالج العلل الأولى» .[5]

وعلم الفلسفة من العلوم التي نضجت وازدهرت في قرطبة في القرن الرابع الهجري عصر الخلافة، وهي من علوم الاوائل، وإذ كان هذا العلم عند الفقهاء ورجال الدين غير مقبول، وكان مهجوراً عند أسلافهم ومذموماً بألسنة رؤسائهم. وكذلك الحال بالنسبة لكل من له علاقة أو دراية به، أو قام بقراءته فإنه يُعد عندهم خارجاً عن الملة وملحداً، إلا أنه قد استمر خلال هذا القرن أحيانا في السر وأحيانا في العلن، ولم يتم القضاء عليه، وإنما استمر في النمو واتبعه كثير من الناس، خاصة وأنه حصل على الحرية في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله الذي أعطى حرية الفكر في كل العلوم، ولم يقم بتقييد أي علم من العلوم .[6]

واشتغل بالفلسفة عدد من العلماء وسوف نسلط الضوء على عدد منهم كل واحد منهم على حدة.

3-2-2- محمد بن عبدالله بن مسرة بن نجيع (ت319هـ/931م):

من أهل قرطبة يكنى أبا عبدالله.

---

1 – كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الاولى. تح أحمد فؤاد اللاهوتي دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1948، ص 77.

2 – مصطفى عبد الرازق. تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية. القاهرة1959م، ص49.

3 – انظر- الجرجاني. كتاب التعريفات. مكتبة لبنان بيروت1969م، ص 176 ،ومحمود حمدي زقزوق. تمهيد للفلسفة. ط6 دار المعارف القاهرة2010م، ص42.

4 – انظر توفيق الطويل، مرجع سابق، ص33.

5 – عبد الحميد الصالح. مبادي الفلسفة. المطبعة الجديدة دمشق1988م، ص9.

6 – ينظر. صاعد الأندلسي. مصدر سابق، ص ص163،162، ابن بشكوال.الصلة ،ج1، مصدر سابق ،ص 279.، وعبد الواحد المراكشي. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مصدر سابق، ص 43 .

3-2-2-أ- شيوخه: تلقى العلم في قرطبة على مجموعة من العلماء، حيث سمع من أبيه، ومن محمد بن وضاح، ومن محمد بن عبد السلام الخشني، كانت له رحلة إلى المشرق في آخر أيام الأمير عبد الله بن محمد، وتلقى العلوم على بعض العلماء فيه، ولقى من درسه مذهب التصوف فقوى فيه متنه وانبسط باعه فيه .[1]

وبعد رجوعه من المشرق اتهم بالزندقة، فخرج هارباً إلى المشرق ومكث فترة طويلة به، واشتغل بملاقاة أهل الجدل وأصحاب الكلام والمعتزله، ثم رجع إلى الأندلس، وأظهر نسكاً وورعاً، واغتر الناس ظاهره، فاختلفوا إليه وسمعوا منه دروسه ومواعظه، ولكن سرعان ما انكشف سره مرة أخرى، وظهر الناس على سوء معتقدة وقبح مذهبه، فانقبض من كان له إدراك فابتعد عنه وتخلى عن دروسه ومواعظه، وتمادى في صحبته آخرون غلب عليهم الجهل ولم يعوا ما يقول من مواعظ وحكم فدنوا بنحلته .[2]

3. 2-2-ب- مذهبه : بدأ مذهبه بأشياء ليس لها مكان في القرآن ولا في السنة، ولم يألفها الناس من قبل في الأندلس، حيث كان يقول بالاستطاعة وإنفاذ الوعيد، بتحريف وتأويل في القرآن الكريم، ومع ذلك يدعى التكلم على تصحيح الأعمال ومحاسبة النفوس على حقيقة الصدق في نحو كلام ذى النون الأخميمي وأبي يعقوب النهرجوري، وكان له لسان يصل به إلى تأليف الكلام وتمويه الألفاظ وإخفاء المعاني، وكانت له إشارات وعبارات غامضة مشبوهة عن منازل الملحدين، غير واضحة، ووجدت له مقالات رديئه، واستنباطات مرديه كانت مكتوبة ومنسوبة إليه، وله طريقة في البلاغة، وتدقيق في غوامض إشارات الصوفية وتأليف في المعاني.[3]

ونظراً لهذه الأقاويل التي يلقيها ابن مسرة على رواده، التي تصيب العقول بشكوك وخاصة القلوب الضعيفة الإيمان والعقيدة، وبذلك زين لمن لا تحصيل لهم، ولقوم آمنين لا علم عندهم، حيث أصيبوا في عقلهم وذهنهم، وبدأوا يقولون بخلق القرآن واليأس من روح الله سبحانه وتعالى، وأكثروا الجدل في آياته، وحرفوا التأويل في أحاديث رسول الله صلى الله علية وسلم، ثم تجاوزوا في البهتان وسدوا على أنفسهم أبواب الرحمة والمغفرة، فأكذبوا الثوبة، وأبطلوا الشفاعة، ونالوا من الله ورسوله بتقدير عقولهم.[4]

---

1 - ينظر. ابن الفرضي، ج 2. مصدر سابق، ص687، ،وابن حيان المقتبس ،ج5، مصدر سابق ،ص 20

2 – ابن الفرضي مصدر سابق، ص688.

3 – ينظر. ابن الفرضي ج2 .مصدر سابق، ص688، والحميدي. مصدر سابق، ص 63 ،وأبي نصر بن خاقان ،مصدر سابق ،ص 144.

4 – كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي . تر رمضان عبد التواب، ج4، ط 2 . دار المعارف القاهرة 1977م، ص ص153/154.

شاع صيت ابن مسرة في قرطبة وسمع به الناس، واختلفوا في ما بينهم، وأصبح فيهم من يصدق كلامه وفيهم من يكذبه وينعته بالكفر والالحاد، ونقلاً عن ابن الفرضي قال: قال ابن الحارث الناس في ابن مسرة فرقتان، فرقة تبالغ به مبلغ الإقامة في العلم والزهد، وفرقة تطعن عليه بالبدع لما ظهر من كلامه في الوعد والوعيد، وبخروجه عن العلوم المعلومة بأرض الأندلس، الجارية على مذهب التقليد والتسليم.[1]

3-2-2-ج- **طلبته:** بعد رجوعه من المشرق واستقراره في قرطبة، ذهب إلى منطقة قريبة منها تبعد عنها بعض الأميال، وبدأ يستهوي الناس بفضل ما أظهره من الزهد والورع، وتشدد في المكاسب، وبذلك أصبح له دعاة وأصحاب يذهبون إليه في خلوته، ويأخذون تعاليمه التي لا يستطيع المجاهرة بها خارج خلوته، وكان لتعليمه لهم هذه العلوم والمعتقدات يستعمل في أسلوب خاص وهو عذوبة الكلام ومتانة الحجج، والغوص في دقيق المعاني، والافتتان في ضروب العلوم، يستلب به القلوب ولا يعيبه عنه صواب، وبذا في تخريب كلمة أهل قرطبة خاصة والأندلس عامة، وبذا الطعن في السنة، والتأويل في القرآن الكريم، وألف الكتب البارعة وبث الرسائل القارعة وصنف المقالات الناكبة، وسدل على مغمضاتها ستور المغالطة وقام بإنفاذ الوعد والوعيد، وضعف أحاديث الشفاعة وباعد عن التجاوز والرحمة .[2]

وبذلك استطاع ابن مسرة أن يستهوى خلقاً من الناس صدهم عن أتباع سنة رسول الله صلى عليه وسلم، وأوحشهم وأبعدهم عن رأي كلمة الجماعة، وبث فيهم سمومه التي لا ملجأ إلا الخوض فيها والتصديق بها وجعلها فوق كل شيء قديم وحديث من الدين، واستطاع أن يجعل من هؤلاء الطلبة الذين خاضوا غمار مذهبه دعاة وائمة منهم رجال من ذوي الفهم والوجاهة [3]

ولجا ابن مسرة مخاطبة أصحابه وإتباع مذهبه بأبيات من الشعر فيها رموز لمذهبه، حيث نقل عن الحميدي قوله :

أنشدني أبو محمد على بن أحمد: قال أنشدني أبو عمر أحمد بن جرون في مجلس الوزير أبي رحمة الله قال: كتب أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مسرة إلى أبي بكر اللؤلؤي يستدعيه في يوم مطر وطين قال:

---

1 - ينظر. ابن الفرضي. ج 2 مصدر سابق، ص688، وابن حيان .ج5. مصدر سابق، ص 27.

2 - ينظر. ابن حيان .ج5، مصدر سالق .ص ص21.20 وليفي بروفسنال. الحضارة العربية في اسبانيا. تر الطاهر أحمد مكي. دار المعارف القاهرة، 1974م، ص ص179.178 .

3 - الحميدي. مصدر سابق، ص 63.

أقبل فإنَّ اليومَ يومٌ دجن　　　إلى مكانٍ كالضَّمير المُكنّى

لعلّنا نحكم أدنى فـن　　　فأنت عند الطين أمشى مني

وبعد وفاة محمد بن عبدالله بن مسرة تعرض تلاميذه وإتباعه بعد أن انفضح أمرهم، وخرج سرهم بين الناس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، وأتهمهم بالقول في خلق القرآن، والجدل فيه، وفي آياته، كذلك القدح والطعن في أحاديث الرسول ﷺ وصحابته، والسلف الصالح والأئمة مثل الأمام مالك بن أنس أمام أهل المدينة، والطعن في رواياته المتفقة وأحاديثه المنقولة بصحتها، وبهذه الموبقات التي قام بها تلاميذ وإتباع ابن مسرة، أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله[1(*)] بالبحث عنهم والطلب في اثارهم وايجاد الدلائل عليهم، والإيقاع بمن صح لديه أنه متهم أو متولي لهم، فقام صاحب المدينة عبدالله بن بدر بتنفيذ أوامر الخليفة فيهم.[2]

ونقلا عن ابن حيان ذكر الرازي في تاريخه قال: «وفي يوم الجمعة لتسع خلون من ذي الحجة سنة أربعين وثلاث مائة للهجرة، قرى على الناس بالمسجدين الجامعين بالحضرتين قرطبة والزهراء، كتاب أمير المؤمنين الناصر لدين الله إلى الوزير صاحب المدينة عبد الله بن بدر، بإنكاره لما ابتدعه المبتدعون وشد فيه الخارجون عن رأى الجماعة، المنتمون إلى صحبة محمد بن عبد الله بن مسرة الجبلي، وانتحلوه في الديانة، فاختدعوا العوام بما أظهروه عن التقشف في الزى والتشظف في المعيشة، فأوعز إلى وزيره متولي أحكام مدينته بتتبع هذه الطائفة، والتحري لها وإخافتها والبسط عليها، والقبض على من عثر عليهم منها، وإنهاء خبره إلى أمير المؤمنين مشروحاً ليأتي من نظيره في شؤونهم حسب ما يوجبه الحق، ويوفقه الله لإتباعه، فنظر الوزير عبد الله بن بدر بالإنذار إلى هؤلاء العصب المارقة والوعيد أن لم يفيئوا إلى الفلاح ويلوذوا بالتوبة».[3]

وظلت الدولة تتبع المارقين الخارجين المبتدعين من أصحاب وتلاميذ ابن مسرة، في عام (345هـ/957م)، ، وقرى على أبواب المسجد الجامع بقرطبة عهد الوزير صاحب المدينة، يحدد فيه الناس من جماعة ابن مسرة وباستشعار ضجرهم، واعتقاد المنادبة لهم والتوافق على القلى لهم، والقيام عليهم لتعاقبهم، وتكرر نفس الشيء في العام الذي يليه، حيث طالب فيه الناس مجدداً في البحث عن أصحاب ابن مسرة والتحريض على طلبهم إذا فارقوا الجماعة وخالفوا السنة[4]

---

1 – (*) انظر الملحق رقم7.6. في ما يخص حماية السنة وانكار البدع ، والتنديد بمذهب ابن مسرة واتباعه.

2 – ابن حيان. ج5 . مصدر سابق، ص 24.

3 - المصدر نفسه، ص ص24-25.

4 – ابن حيان.ج5 مصدر سابق ص 30.

وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، كان تلاميذ ابن مسرة قد نشطوا في الدعوة إلى مذهبهم، لما عرف عنه من تسامح مع رجال العلم، وذلك بغرض محبته للعلم، وبعد همته في اكتساب الفضائل وسموا نفسه إلى التشبه بأهل الحكمة من الملوك، فكثر تحرك الناس في زمانه إلى قراءة كتب الأوائل، وتعلم مذاهبهم، ولذلك وجد إتباع ابن مسرة فرصة سانحة لتعلم الناس منهج مذهبهم، والدعوة له بين الناس، ولهذا بدأ عددهم في الزيادة، وأصبحوا ينتقلون بين الناس في قرطبة في حرية دون أن يتبعهم أو يضايقهم أحد في معتقداتهم.[1]

وعندما انتقل الحكم إلى الحاجب المنصور بن أبي عامر، تقرب إلى علماء الدين بمحارية العلوم التي كانوا يرونها أنها تخالف العقيدة، وكان هو أشد الناس في التغير على من علم عنده شيء من الفلسفة والجدل في الاعتقاد، والتكلم في شيء من قضايا النجوم وأدلتها، والاستخفاف بشيء من أمور الشريعة، فشعر هؤلاء بالقوة ضدهم، حيث أصدر ابن أبي عامر تعليمات بالذهاب إلى مكتبه الحكم الثاني، الجامعة لكل أنواع التأليفات والمصنفات العلمية، وقام على مشهد من أهل العلم بالدين، وبحضور بعض كبار العلماء في قرطبة مثل الأصيلي وابن ذكوان والزبيدي وغيرهم، وأمرهم بإخراج جميع الكتب من العلوم القديمة وهي الفلسفة والمنطق وعلم النجوم وغيرها من علوم الأوائل ماعدا الطب والحساب، وأمر بإحراقها وإفسادها، فتم حرق بعضها وطرح بعضها في ابار القصر ووضع عليها التراب والحجارة، وكان هذا على مشهد منه وأسهم في إضرام النيران فيها بيده، وكان من بين الحاضرين لهذا الموقف كثير من تلاميذ ابن مسرة، ولهذا قاموا بالتوقف عن هذا المذهب والبحث فيه خوفاً من البطش بهم.[2]

ومن أوقع بهم الحاجب المنصور ابن أبي عامر من إتباع مذهب ابن مسرة، محمد محمد بن أبي جمعة، حيث بلغه أنه يقول التأويل والإرجاف في القطع على انقراض دولته، فقطع لسانه، ثم قتله وصلبه، فخرست جميع إتباع هذا المذهب، وكذلك فعل بالشاعر عبد العزيز بن الخطيب، ويعد أرفع إتباع مذهب ابن مسرة منزلة على الرغم، أنه كانت له صحبة كبيرة بالحاجب المنصور بن أبي عامر، ولكن فسد ضميره عنده فعاقبه المنصور عندما علم به وأمر بضربه خمسمائة صوت، ثم حبسه فترة من الزمن، وبعد ذلك قام بنفيه نهائياً.[3]

---

1 – ينظر صاعد الأندلسي، مصدر سابق، ص ص162، 163 وابن الابار . مصدر سابق، ص 200.

2 – ينظر صاعد الأندلسي، مصدر سابق، ص ص162، 163. وابن عذارى . مصدر سابق، ص ص-292 293، والذهبي،. مصدر سابق ص 291، وعبد الرحمن ابن خلدون. تاريخ ابن خلدون، ج4 مصدر سابق، ص ص318-319.
Rein hart dozy .opcit. p p490, 491

3 – ابن عذارى. المصدر السابق. ص293.

- واتبع مذهب ابن مسرة عدد من العلماء سوف نسلط الضوء على عدد منهم كل واحد على حده.

3-2-2-ج-1- محمد بن مفرج المعافري (ت371هـ/984م):

من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله، من علماء الأندلس، كان ممن يتبع مذهب ابن مسرة، يقوم بالدعاية له، واستقطاب الناس لإتباع هذا المذهب.[1]

3-2-2-ج-2- أبان بن عثمان بن سعد بن غالب بن فيضي اللخمي (ت377هـ/990م):

من أهل اشذونه*، يكنى أبا الوليد، كان جيد الاستنباط بصيراً بالحجة متصرفاً في دقيق العلوم، وكان ينسب إلى إتباع مذهب ابن مسرة.[2]

3-2-2-ج-3-عبد العزيز بن حكم بن أحمد بن الأمام محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد المالك بن مروان ابن الحكم بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم(ت387هـ/999م):

من أهل قرطبة، يكنى: أبا الأصبع، كان مائلاً إلى الكلام والنظر، وشهد بانتحال مذهب ابن مسرة، وكان عالما بالنحو والغريب والشعر وأديبا حليما.[3]

3-2-2-ج-4- محمد بن أحمد بن حمدون بن عيسى بن على الخولاني (ت380هـ/993م):

من أهل قرطبة يعرف بابن الأمام يكنى: أبا عبد الله، كان حافظاً للأخبار والأنساب، وكان مشهوراً باعتقاد مذهب ابن مسرة لا يستتر بذلك، مولعاً بالتشريق في صلاته.[4]

3-2-2-ج-5-محمد بن عبدالله بن عمر بن خير القيسي (ت 382هـ/992م):

من أهل قرطبة، يكنى: أبا عبد الله، كان ينسب في اعتقاده لابن مسرة.[5]

3-2-2-ج-6- أحمد بن حبرون:

من أهل العلم والأدب والجلالة، كان في أيام الدولة العامرية، ذكره أبو أحمد على بن أحمد، وقد تقدم له ذكر أبيات شعرية عن محمد بن عبد الله بن مسرة.[6]

يتضح مما سبق أن ابن مسرة تلقى العلوم الفلسفية على يد علماء مشارقة، وحاول نشر

---

1 - ابن الفرضي. ج 2 . مصدر سابق، ص 756 .
2 - المصدر السابق.ج1 . ص. ص53- 54.
* مدينة في الأندلس. انظر الملحق رقم3.
3 2 - المصدر السابق ،ص473.
3. المصدر نفسه. ج2.ص ص773-774 .
4- المصدر نفسه.ص ص778-779.
4
5 - الحميدي. مصدر سابق، ص 120 .
6

هذا العلم في قرطبة، وفي البداية التف حوله مجموعة من الناس واستمعوا إلى تعاليمه، ولكن بعد ما اتضح أمره بين الناس، وعرفوا أهدافه التي لا تمت إلى الدين والشرع بأي صلة، وانما هي أفكار غريبة وعجيبة، نفر الناس منه ولم يبق معه إلاّ مجموعة بسيطة، وتَّم محاربة هؤلاء المجموعة من قبل السلطة العليا في الدولة، في فترة حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، ونشطت هذه المجموعة في فترة حكم الخليفة الحكم المستنصر بالله، ثم عادت إلى الخمود مرة أخرى في فترة حكم الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر لتصلبه والتشديد عليهم والبطش بكل من يعلم بأنّه على علاقة بهذا العلم .

3- علم الطب:

يعد علم الطب من علوم الأوائل، ويرتبط ارتباطا وثيقاً في العصور الوسطى بالرياضيات والهندسة والفلك والفلسفة، وكثير من العلماء يجمعون بين بعض هذه العلوم ومن الصعب التفريق فيما بينها، وبذلك عادة ما نجد أحد العلماء يجمع بين الطب، وأحد التخصصات الأخرى من علوم الأوائل، وكانت قرطبة احتوت على عدد كبير من الأطباء في القرن الرابع الهجري وأسهموا في ازدهار الثقافة والعلوم فيها، والعمل على إيجاد علاج للمرضى، ومحاولة مداواتهم وتفنن كثير منهم في هذا الفن نذكر منهم :

3-1- خالد بن يزيد:

روماني الأصل من النصارى، كان يسكن في بيعه شنتالج، وتعرف داره بدار ابن الشطجيرى، كان من الأطباء البارعين في علم الطب، له في زمانه شهرة، ومع ذلك عالماً بالأدوية التي يتم تصنيفها من الأشجار، ويقوم بتصنيعها بيده، و كسب الأموال الطائلة بهذه المهنة، ونفع الناس في الأندلس بالطب، حيث عالج كثير من الناس وتماثلوا بالشفاء على يديه، وكانت بينه مراسلات ومشاورات في أخبار الطب، حيث كتب له الطبيب المصري نسطاسي بن جريح رسالة في البول.[1]

3-2- ابن ملوكه النصراني:

كان من الأطباء في بداية دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله، وكان يصنع بيده الأدوية، ويقوم باستحضارها، وله ثلاثون كرسياً أمام باب داره لاستقبال المرضى مما يدل على أنه يأتي إليه كثير من المرضى يومياً.[2]

1 - ينظر ابن جلجل . مصدر سابق، ص 96. وأبي أصيبعة، مصدر سابق، ص 62.
2 - ابن جلجل . المصدر السابق، ص 97.

3-3- إسحاق الطبيب:

والد الوزير ابن إسحاق، كان من الاطباء المشهورين من أيام الأمير عبد الله، وبداية دولة الناصر لدين الله، من الأطباء الذين يدينون المسيحية، وكان يصنع الأدوية بيديه، ويقوم بتجريبها داخل المكان الذي يعد فيه قبل أن يقوم بإعطائها للمرضى، وكانت شهرته فاقت الآفاق، وتحكى له منافع عظيمة وآثار عجيبة وحنكة وخبرة فاق بها جميع أهل زمانه، وقام بإدخال كتب الطب من المشرق، ليقوم الأطباء في الأندلس للاطلاع عليها والإفادة منها، وبذلك يعد من المسهمين في انتشار علم الطب بالأندلس.[1]

3- 4- عمران بن أبي عمر(ت320هـ /932م):

من الأطباء الماهرين في مهنتهم ، وقام بأداء خدماته إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله في خدمته بالطب هو وإفراد أهله، وكان من الأطباء المتطرفين، وصحب الملوك، وله في الطب شأن كبير وشهرة عالية، بالإضافة إلى خدمة الناصر لدين الله في الطب، كانت له به صلة ويحضر مجالسه، خاصة أثناء راحته.[2]

3-5- محمد بن الفتح طملون:

برع في الطب كثيراً علا بها من كان في زمانه، وله فيه خبرة كبيرة، ولكنه ألح على الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله كثيراً ليعفيه من الخدمة في الطب، واستجاب لطلبه، وبذلك أعفى من خدمة الطب، ولكن لم يكن أحد من الإشراف في وقته إلاّ وهو محتاج إليه، ونظراً لبراعته في الطب وحسن استخدامه لهذه المهنة ومعرفته وخبرته الكبيرة فحين حصلت حادثه لأحد المرضى لم يقوم بمداوته فيها غيره، فنقلا عن ابن جلجل قال: حدثني أبو ألاصبع بن خيون قال: «كنت عند الوزير عبد الله بن بدر، وقد عرض لابنه محمد قرح شمل بدنه، وبين يديه جماعة من الأطباء فيهم محمد بن طملون، فتكلم كل واحد منهم في تلك القروح وسببها، وهو ساكت، فقال له الوزير: ما عندك أنت في هذا فأني أراك ساكتاً ؟ فقال عندي مرهم ينفع هذا القرح من يومه فمال إلى كلامه وأمره بإحضاره إليه، وطلى على القروح فجفت من ليلتها، فوصله بخمسين دينار وكساه، وانصرف الأطباء غيره من دون شيء.[3]

1 - ابن جلجل، المصدر نفسه، ص 98.

2 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.، وابن أبي اصيبعة، المصدر السابق، ص 66.

3 - ابن جلجل. المصدر السابق، ص 99

3. 6- أبو بكر سليمان بن باج:

كان طبيباً نبيلاً، له فيه فن كبير بالطب، ومن الذين قاموا بعلاج الخليفة عبد الرحمن الناصر، حيث عالجه من رمد أحل به في عينه بشيافه*، ولقد طلب منه نسخة فأبى إن يمليها واحتفظ بها لنفسه، وإيضا قام بعلاج مريض بالبرد حيث أنه مصاب بضيق في التنفس، قام بعلاجه بلعوق، فشفى المريض من اليوم الاول لتناول الدواء، على الرغم بأنه قام بالعلاج كثيراً عند غيره ولم يتماثل للشفاء، ومن نوادره ومعرفته بالطب، فأنه يقوم بعلاج مرض الخاصرة بحب من حينه، وإلى جانب خدمته بالطب كان أديبا.[1]

3-7- ابن أم البنين:

يسمى بالأعرف وهو قرطبي، له عناية وخبرة ونوادر صناعة الطب، وفطن لدرجة كبيرة بفنه، وخدم أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر بالطب، إلى جانب أنه من أصحابه، وكان ينادمه وأنه معجب بنفسه لمهارته في الطب.[2]

3- 8- سعيد ابن عبد ربه:

ابن أخي أحمد بن عبد ربه كان من الأطباء الذين لهم صيت، وباع في علم الطب، وله فيه رجز حسن فيه ذل على تمكنه فيه، وله دراية بعلم ومذهب القدماء، كان الغالب مداواة مرضى الحميات، وعلاجه فيها هو خلط المبردات بشي من الحوار، وله في ذلك مذهب جميل، ومع ذلك له دراية ومعرفة وبصيرة بتغيير الأهوية ومهب الرياح وحركة الكواكب ونظراً لتمكنه من علاج مرض الحميات، نقلا عن ابن جلجل قال: حدثني عنه سليمان بن أيوب الفقيه قال: «اعتللت بحمى فطاولتني، وأشرفت منها على الهلاك، إذ جار بأبي وهو يمر إلى صاحب المدينة أحمد بن عيسى، فقام إليه أبي، وقضى واجب حقه بالسلام عليه، ثم سأله عن علتي، فاستخبره أبي عما عولجت به فأخبره، فسفه علاج من عالجني، وبعث إلى أبي عثمان عشرة حبة من حبوب مدورة، وأمر أن أشرب منها كل يوم شيئاً، فما استوعبتها حتى أقلعت ألحمي وبرئت برء تاماً».[3]

الى جانب درايته بالعلوم السابقة، فأنه كان أديبا وشاعراً، ولقد أنشد أبيات من الشعر تدل على أنه مهتم بالطب ودراسته عن علماء قدماء فيه مثل أبو قراط وجالينوس حيث أنشد :

---

1 – المصدر نفسه، ص 102، 103 ،وابن أبي اصبيعة المصدر السابق، ص 69، 70 .

2 – ان جلجل، المصدر السابق، ص 103 .

* نوع من ادوات الطب يستعملها فيي علاج العيون.

3 – انظر. ابن جلجل . المصدر السابق، ص 104 ،وصاعد الأندلسي .، مصدر سابق، ص 187 ، وابن أبي اصيبعة . المصدر الساق، ص70، 71

لماعدمت مواسياً وجليساً جالست بقراطا وجالينوسا
وَجَعَلْتُ كُتبهما شفاءَ تفرُّجي وهُما الشِّفاءُ لكلّ جَرْح يوسى.[1]

3- 9- أبو حفص عمر بن بريق:

كان نبيلا بالطب، وخدم به أمير المؤمنين الناصر لدين الله، وكانت له رحلة إلى القيروان، والتقى فيها مع أبي جعفر الجـرار، وهو من أدخل إلى الأندلس كتاب (زاد المسافر) وإلى جانب درايته بالطب، كان قارئاً للقرآن.[2]

3- 10- أصبغ بن يحي:

كان متقدماً في صناعة الطب، وخدم به الخليفة الناصر لدين الله وأسرته، واستحضر بيديه له حب الانيسون، وذكر صناعته لغيره، وهوشيخ نبيل وسيماً بهيّاً، ومقبول الشهادة بين الناس وفي المجالس، وكان بحرفته للطب معظماً عند الرؤساء وأصحاب المعالي[3].

3-11 -محمد بن تمليح:

كان طبيبا عالماً في الطب، خدم به الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، وكان رجلا بهياً رصيناً ذا وقار، له تقدم ونظر في الأدب والعروض، ولدرايته وعلمه بالطب قام بتأليف كتاب حسن في علم الطب سماه كتاب (الأشكال)، ونظراً لتقدير الناصر لدين الله له، ولاه خطه الرد، وقضاء شدونه، إلى جانب أنَّه مؤتمنٌ على الصدقات، وأدرك صدراً من دولة الخليفة الحكم المستنصر بالله، وقلده أيضا بمناصب، حيث ولاه بنيان زيادة المسجد الجامع، واسمه في الزيادة ظاهر على قبة المحراب، وكان اسمه أيضا مرسوما في المثقال بنظره على دار السكة والأمانات.[4]

3-12- أبو الوليد محمد بن حسين المعروف بالكتاني:

كان طبيبا، وخدم بالطب الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، والحكم المستنصر بالله، وكان رجلا مهيباً سرياً حلو اللسان نبيلاً محبوبا من العامة والخاصة لسخائه بعلمه ومواساته بنفسه، ولم يكن يرغب في المال مع لطفه في علاج المرضى، حسن الولوج عالما.[5]

3-12- أحمد بن يونس وأخوه عمر:

1 – التعالي. ج 2. مصدر سابق، ص 64.
2 – ابن جلجل . المصدر السابق، ص 107.
3 – المصدر نفسه، ص 108
4 – ينظر. ا بن جلجل .المصدر نفسه. ص109 ، وصاعد الاندلسي . المصدر السابق، ص 190 وابن أبي اصيبعة، المصدر السابق، ص 72.
5 – ينظر.ابن جلجل ،المصدر السابق ،ص 109 ،و صاعد الاندلسي ،المصدر سابق ،ص 190 ،اوبن ابي اصيبعة ،المصدر السابق، ص72.

ابنا يونس بن أحمد الحراني كانا من الأطباء لهم دراية بعلمه، كانت لهما رحلة إلى المشرق في دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله، ودخلا بغداد، وتأدبا هنالك بالطب، وخدما الرؤساء بالطب منهم ثابت بن سنان بن ثابت، وخدما ابن وصيف في علل العين.

ثم انصرفا إلى الأندلس في دولة الحكم المستنصر بالله عام (354هـ/963م)، والحقهما بخدمته بالطب، وأسكنهما مدينة الزهراء، واستخلصهما لنفسه دون غيرهم فمن كان في ذلك الوقت من الأطباء، ومات عمر بعلة المعدة، وبقى أحمد مستخلصاً وسكن مع المستنصر بالله في قصره، وتولى إقامه خزانة للطب بالقصر، ورتب لها اثنى عشر صبياً صقالبة طباخين للأشربة، صانعين للمعجونات، ونظراً لكرمه، وحبه للناس استأذن الخليفة الحكم المستنصر بالله أن يعطي من هذه الأدوية من احتاجها من المساكين المرضى فأباح له ذلك، وكان بصيراً بالأدوية المفردة، وصانعا للأشربة والمعجونات وكان يداوي العين مداواة نفيسة ليس مثله أحد في زمانه.[1]

3-13- محمد بن عبدون الجبلي:

كان طبيبا ماهراً، ورحل إلى المشرق في سنة (340هـ /954م)، ودخل البصرة، ونبل بالطب بالمشرق بمدينة الفسطاط وبيمارستانها، ورجع إلى الأندلس عام (360هـ /972م)، وخدم بالطب الخليفة الحكم المستنصر بالله، وابنه هشام المؤيد بالله، وكان قبل أن يتطبب يؤدب بالحساب بالأندلس*.[2]

3-14- أبو بكر أحمد بن جابر:

كان شيخاً حليماً فاضلاً، وطبيباً عفيفاً، خدم الخليفة الحكم المستنصر بالله، وابنه هشام المؤيد بالطب، وكان وجيهاً عند الرؤساء معترفين بحقه وتعظيمه.[3]

3-15- أبو عبد الملك الثقفي:

كان طبيباً ماهراً، وله في الطب نوادر، وخدم الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله والخليفة المستنصر بالله بالطب، وكان أديباً وعالماً بكتاب إقليدس وصناعة المساحة، وولاه المستنصر بالله خزانة السلاح.[4]

---

1 – ينظر ابن جلجل. مصدر السابق، 109 و صاعد الاندلسي. مصدر سابق، ص ص190،191، وابن أبي اصيبعة. مصدر سابق ص ص68،69.

2 – ابن جلجل. مصدر سابق، ص115 .

3 – المصدر نفسه، ص110 .

*. مدرس حساب.

4 – ابن جلجل . مصدر سابق. ص111 .

3-16- أبو موسى هارون الأشوني:

كان من شيوخ الأطباء وخيارهم، كان يخدم بيده مهنة الطب، وخدم الخليفة الناصر لدين الله، والحكم المستنصر بالله بالطب، وكان ملحقا بالقصر لمداواة الحرم والنساء من أفراد الأسرة.[1]

3-17- عبد الرحمن بن اسحق بن الهيثم:

من أعيان أطباء الأندلس وفضلائها، من أهل قرطبة، وخدم بالطب الحاجب المنصور محمد بن عامر وابنه المظفر، ولقد ألف عدة كتب في علم الطب وهي:

3-17- أ - كتاب الكمال والتمام في الأدوية المسهلة والمقيئة.

3-17- ب - كتاب السمائم.

3-17- ج - كتاب الاكتفاء بالدواء من خواص الأشياء.[2]

3-18- محمد بن الحسن أبو عبد الله المدحجي:

يعرف بابن الكتاني، له تقدم في علوم الطب، والمنطق وكلام في الحكم، ورسائل في كل ذلك وكتب معروفة، وله كتاب سماه كتاب (محمد وسعدي) مليح في معناه[3].

3-19- ابن جلجل:

هو أبو داود سليمان بن حسان، يعرف بابن جلجل، كان طبيبا فاضلا خيراً بالمعالجات، جيد التصرف في صناعة الطب، له بصيرة واعتناء بقوى الأدوية المفردة، وقد فسر أسماء الأدوية المفردة من كتاب (ديسقوريدس)، وأفصح عن مكوناتها، وأوضح مستغلق مضمونها، وكان في صدر دولة المؤيد بالله هشام الثاني وخدمه بالطب.[4]

وقال ابن جلجل نقلا عن ابن اصيبعة: "كان لي معرفة تصحيح ميولي الطب الذي هو أصل الأدوية المركبة حرص شديد، وبحث عظيم حتى وهبني الله ذلك بفضله بقدر ما اطلع عليه من نيتي في إحياء ما خفت، وأن تدرس وتذهب منفعة لأبدأن الناس، الله خلق الشفاء وبثه في ما انبتته الأرض واستقر عليها من الحيوانات المشاء، والسابح في الماء، والمنساب وما يكون تحت الأرض في جوفها من المعدنية".[5]

1 - المصدر نفسه، ص112.

2 - ابن أبي اصيبعة، مصدر سابق، ص74.

3 - ينظر الحميدي، مصدر سابق، ص49، وابن أبي اصيبعة، مصدر سابق، ص73.

4 - ينظر، صاعد الأندلس، طبقات الامم، مصدر سابق ص 193، الحميدي المصدر السابق، ص 225، ابن اب صيعة، المصدر السابق، ص75.

5 - ابن أبي اصيبعة المصدر السابق، ص ص76-77 .

ونظر لدرايته وتمكنه من صناعة الطب عمل ابن جلجل على تأليف عدد من الكتب في علم الطب والأدوية وهي :

19-3- أ- كتاب تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقورديدس ألفه في عام (372هـ/ 984م).

19-3- ب- كتاب رسالة التبين فيما غلط فيه بعض المتطبيبن.

19-3-ج- مقالة في ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه مما يستعمل في صناعة الطب وينفع به وما لا يستعمل لكيلا يفعل ذكره.

19-3- د- كتاب يتضمن ذكر شيء من أخبار الأطباء والفلاسفة ألفه في أيام المؤيد بالله.[1]

من خلال ما سبق ذكره، يتضح لنا أن قرطبة قد حظيت بأطباء ماهرين نشروا بين أهلها مهنة الطب، منهم من رحل إلى المشرق، وتلقى علوم الطب هنالك وتدرب بالمشافي، ومنهم من تلقى علوم الطب بقرطبة، ويعد ابن جلجل من الأطباء المجيدين النبلاء، وممن أسهموا في ازدهار علم الطب في الأندلس، ونشر ثقافة الطب بين أهل الأندلس، وخلد أسمه في قرطبة بمؤلفاته في الطب إلي جانب غيره من الأطباء.

1 – صاعد الأندلس، المصدر السابق، ص 193، والحميدي، المصدر السابق ص 225، وابن أبي اصيبعة، المصدر السابق، ص ص77



توصل الباحث إلى عدة نتائج خلال استعراضه للبحث تتمثل في الأتي :

1- مرت الدولة الأموية بفترة عصيبة وسيئة للغاية في فترة حكم الأمير عبد الله بن محمد (275. 300هـ/ 912.888م)حيث عمت بها الفوضى، وأصبحت الفتنة والثورات تحيط بها من كل جانب، وكثر فيها المفسدون،ولم تستطع سلطه الحكومة في قرطبة السيطرة على هذه الأوضاع والاضطرابات التي حصلت فيها، وبذلك حل الضعف والاضمحلال في جميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية وأصبح أهلها مشلولي الحركة .

2- منذ أن تولى فترة الحكم الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (300هـ/912م)، بدأ عهده بالتصدي بكل قوة وصرامة وبدون هوادة ولا هدنة للفتن والثورات، وأستطاع بحكمته وقوة بصيرته أن يقضي على جميع الثورات والاضطرابات ويخمد نارها إخماداً تاماً وينقذ الأندلس من أعدائها حيث قضى على جميع الثورات الداخلية، وسيطر علي مجرى الأمور في البلاد .

3- بعد قضائه على الفتن الداخلية، قام الأمير عبدالرحمن الثالث بمحاربة أعدائه الخارجيين، وتأمين حدود الدولة من جميع الجهات، فقام بشن غارات على ممالك النصارى، وعمل على إضعافهم وتمكين سلطانه عليهم، وقام بحملة على أنصار الخلافة الفاطمية في شمال أفريقيا، واستولى على قسم كبير من الأرض التي ألحقوها بدولتهم، وغزا موانئهم بأسطوله الضخم .

وبذلك استطاع أن يأمن شر جيرانه، حيث قاموا باحترامه وتقديره والخوف منه، وقدموا له الطاعة والولاء فأوفد إليه النصارى في الشمال رسلهم وهداياهم من روما والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم، وأطاعه ملوك العدوة المغربية من بني إدريس وزناته والبربر.

4- بعد أن تمكن من السيطرة على البلاد داخلياً والقضاء على جميع الفتن والثورات ،وإخضاع جيرانه المحيطين به شمالا» وجنوبا»،وأصبح في مكانة سياسية واجتماعية رفيعة، وملكه بالأندلس في غاية الضخامة ورفعة الشأن، ورأى أن الخلفاء في المشرق وفي شمال أفريقيا ليسوا بأفضل منه في شي سواء في الحسب أو النسب أو في العزة والقوة والثروة، وخاصة أن أجداده كانوا خلفاء الدولة الإسلامية في المشرق، ولذلك اتخذ قراره بأن تكون الدعوة له في مخاطباته، والمخاطبات له في جميع ما يجري

ذكره فيه بأمير المؤمنين.

5- بعد أن استقرت الخلافة في الأندلس، وأصبحت عاصمتها قرطبة مزدهرة من جميع النواحي، وتضاهي العواصم الإسلامية كبغداد ودمشق والقاهرة والقيروان، بل أحيانا "تفوقها في بعض الأشياء، وبعد أن وصلت رفعتها إلى أفضل ما وصلت إليه، بدأت الأنظار تتجه إليها من قبل طوائف الشعب سواء في المشرق أو شمال أفريقيا وخاصة التجار والعلماء وطلاب العلم. رحل إليها الكثير منهم، كالأدباء والشعراء واللغويين حيث كانت لديهم طموحات في حياة أفضل وخاصة من الناحية الاقتصادية لاشتهارها ولأن خلفاءها يقومونبإجزال العطاء للأدباء والعلماء وهنالك تحققت طموحاتهم، وأصبحوا من ذوى الأموال، وامتلكوا الأرض وأجريت لهم الرواتب وعاشوا في رفاهية وهناء .

6- اشتهر خلفاء الدولة الأموية في الأندلس بتشجيعهم للعلم والعلماء على السواء مادياً ومعنوياً، حيث يعد عصرهم من أشهر العصور العلمية، نهضت فيه الثقافة في قرطبة نهضة كبيرة وشاملة، وكانت أسبابها استقرار الدولة، والأمن والرخاء والتحضر .

7- يعد الخليفة الحكم المستنصر بالله من أكثر خلفاء الدولة الأموية تشجيعاً للعلم والعلماء، حيث عمل على تشجيع أبناء قرطبة لتلقي العلوم، فجعل التعليم مجانياً، وعمل على إنشاء مجموعة كبيرة من الكتاتيب في مدينة قرطبة يدرس فيها الصبيان وخاصة أبناء الفقراء بدون مقابل، واختار لها أفضل المؤدبين ليعلموا هؤلاء الصبية، والتزم بدفع رواتبهم كاملة .

8- ولتشجيع الحكم المستنصر بالله للعلم، عمل عل إنشاء مكتبة في مدينة قرطبة تعد من أعظم مكتبات العصور الوسطي في الدولة الإسلامية، وجمع فيها نفائس الكتب من كل قطر من أرض الإسلام، حيث استجلبها من بغداد والقاهرة ومكة والمدينة والقيروان وفاس، واحتوت على جميع المصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة، ويضاهي ما جمعه منها ما جمعته ملوك بني العباس، ويقدر عدد الفهارس التي كانت فيها بأربعة وأربعين فهرساً، في كل فهرس خمسون ورقة، ليس فيها إلا ذكر الدواوين فقط .

9- كان لعلماء المشرق دور كبير وفعال في انتشار وازدهار الثقافة المشرقية في قرطبة،

فقد رحل إليها كثير من العلماء والأدباء والشعراء من بغداد والحجاز ودمشق والقاهرة، وقد أحدث دخولهم إلى قرطبة تطوراً كبيراً على أهلها، فهم رسل الثقافة فيها، وذلك لكونهم على درجة عالية من الثقافة في مختلف ضروب العلم الدينية والأدبية واللغوية والأخبار وغيرها من العلوم .

10- لما كان للحواضر الإسلامية من سبق في جميع علوم المعرفة، ولكونها مراكز للإشعاع العلمي والأدبي والثقافي فقد شد الرحيل إليها كثير من علماء الأندلس للنهل من الثقافة والعلوم، وبذلوا كل جهد من أجل التحصيل العلمي، ونقل كل ما هو مفيد وصالح من العلوم المختلفة إلى بلادهم، وخاصة العلوم الدينية، حيث بدأت تباشر الاتجاهات الفكرية التي تمخضت عن أطروحات بعض الفرق الإسلامية، وكذلك بدأت العلوم الإسلامية، تأخذ مواقعها متكئة على العقل والمنطق، أضف إلى ذلك أن بلدان المشرق ظهر فيها كثير من الأدباء والقراء المتميزين واللغويين والنحويين .

11- كان للتجار المشارقة والأندلسيين دور كبير في نشر الثقافة في قرطبة، فالتجار المشارقة إلى جانب نقلهم للسلع والبضائع، فإنهم نقلوا معهم كثيراً من الكتب التي تحتوى على مختلف ضروب المعرفة والثقافة وخاصة الكتب والمؤلفات الدينية ككتب القراءات والأحاديث النبوية والتفاسير والفقه، إلى جانب كتب السير والمغازي والمؤلفات الأدبية ودواوين الشعر وكتب اللغة .

أما التجار الأندلسيون، فإنهم إلي جانب التجارة والكسب المادي، فأنهم في طريقهم وأثناء إقامتهم يستمعون إلى العلماء، ويأخذون عنهم أنواعاً كثيرة من الثقافة، وعند رجوعهم إلى البلاد يحملون معهم عدة كتب من المؤلفات المختلفة، ويقومون بنشرها عن طريق البيع للعلماء وطلاب العلم .

12- يُعد القرن الرابع الهجري من أفضل الفترات اقتصادياً لما تتميز به البلاد من كثرة الخيرات والأرزاق . فكثرت عند الخلفاء الأموال وفاضت بها خزائنهم، ففي فترة الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله وصلت جباية البلاد في عام (340 هـ / 951 م) حوالي عشرين ألف ألف دينار دون ما في خزانته من المتاع والحلي المصوغة من الذهب والفضة، وعندما تولى الخليفة الحكم المستنصر بالله مقاليد الحكم في البلاد ورث عن أبيه أموالاً طائلة، وعند جمعها بلغ عددها عشرين ألف ألف دينار، ويُعد هذا المبلغ خاصاً به وبأهل بيته فقط، ناهيك عما يكنزه أصحاب

المعالي والوزراء والأمراء والحجاب وباقي أفراد المجتمع وخاصة التجار الكبار، وأصحاب الضياع والمزارع الكبيرة من أموال، وبعد أن تولى السلطة في الأندلس الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، كانت له أموال كثيرة قبل الحجابة تحصل عليها على مدار شغلة للوظائف في حياة الخليفة الحكم، فقد تولى دار السكة ووكالة صبح البشكنسية أم هشام المؤيد، وتحصل على كثير من أموال الخليفة هشام المؤيد التي تركها له والده بعد حجبه له، حيث تقدر بمئات الآلاف من الدنانير، ناهيك عن سبائك الذهب والفضة والمجوهرات وغيرها من الأشياء الثمينة .

13- كانت للحياة الدينية شأنها الخاص في المجتمع القرطبي، فأما من ناحية المذاهب فالمذهب السائد فيها هو المذهب المالكي، فالمعاملات الدينية والأحكام يصدرها القضاة والفقهاء علي مذهب الإمام مالك، علي الرغم من انتشار المذاهب الأخرى كالمذهب الحنبلي، والمذهب الشافعي وذلك بسبب رحلة كثير من العلماء المالكيين من المشرق ومن شمال أفريقيا إلى الأندلس، وكذلك ثم انتشاره عن طريق العلماء الأندلسيين بعد رجوعهم من رحلاتهم العلمية إلى بلادهم .

أضف إلى ذلك كان للمناسبات الدينية رونقها الخاص عندهم حيث كانوا يقيمون الاحتفالات بهذه المناسبات، ومنها الاحتفالات بليلة القدر في شهر رمضان المبارك وبالعيدين الفطر والأضحى، وعادة ما كان الخلفاء في مقدمة هذه الاحتفالات الدينية إلى جانب الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة، حيث تزيد من أهميتها ويضفي عليها حضورهم رونقاً خاصاً في نظر عامة الناس الذين يشكلون أغلبية الحضور، ويتخللها توزيع الصدقات والأموال على أبناء فقراء المسلمين حتى تدخل البهجة والسرور إلى قلوبهم، ويشعرون بالمحبة والتقدير من قبل خلفاء وأمراء دولتهم .

14- تتميز الدولة الأموية بالأندلس في القرن الرابع الهجري بالتسامح الديني، الذي يشمل جميع فئات المجتمع القرطبي، ومنهم اليهود والمسيحيون وأصحاب الديانات الأخرى، فلم يكن فرق بينهم وبين المسلمين في المعاملات، وتركت لهم الحرية الدينية، ولم يقم المسلمين بإكراه أي منهم على الدخول في الدين الإسلامي، وبذلك تم انخراطهم واندماجهم مع بعضهم البعض ومع المسلمين، وأسهموا معاً في ازدهار الثقافة وإشعاع الحضارة العربية الإسلامية في قرطبة، وفي ربوع الأندلس كاملة، لما لقوه من المسلمين وحكامهم من عدالة، ومعاملة كريمة تسودها المحبة والتسامح

و التقدير و الاحترام .

ولذلك وصل الكثير من اليهود والمسيحيين إلى المناصب العليا في الدولة كالوزارة والطبيب الخاص للخلفاء . ونظرا لهذا التسامح الديني، تقلد بعضهم حركة بعث وإحياء الدراسات التلمودية في قرطبة، ونشطت الحركة الأدبية العبرية ونبغ فيها كثير منهم، وثم فتح الباب لمعرفة تاريخهم وفقه دينهم . ومارس النصارى شعائرهم الدينية وطقوسهم بكل حرية في كنائسهم، وأبقى المسلمون في قرطبة على أساقفة الروم ومطارنتهم تحت حمايتهم، فنال هؤلاء مالم يعرفوه سابقاً من الدعة والطمأنينة.

15- كان للمرأة في المجتمع الأندلسي شأن كبير لأنها تحظى فيه بالحرية والكرامة ولها قرار في بعض الأمور حتى وصلت فيه إلى أعلى الدرجات، ويعد هذا الأمر من الأمور النادرة الحدوث في تلك الفترة المتقدمة من تاريخ الإسلام حيث إن في هذه الفترة، في معظم المناطق الإسلامية، كانت المرأة مقيدة إلى حد كبير، فبعضهن في المجتمع القرطبي كن من العالمات الداريات بأمور الدين، ومن الراويات للأحاديث النبوية، ومن الحاذقات لعلم النحو والشعر والكتابة والخط والحساب، ومنهن من وصلت إلى مراكز متقدمة في الدولة ككاتبات للخلفاء وخاصة كتابة الرسائل والخصوصيات، ومنهن من قامت بكتابة مصاحف القرآن الكريم والدفاتر وجمع الكتب ذات الأهمية العلمية، وكانت بعضهن أديبات ذات فصاحة ورجاحة عقل .

16- كان خلفاء الدولة الأموية في القرن الرابع الهجري يعدون العدة لاستقبال ضيوفهم من خارج دولتهم، فيظهرون لهم بمظاهر تعبر عن كل شي من نواحي الحياة، فيتزينون بأفضل ما عندهم من مظاهر الزينة والأبهة، ويلبسون أغلى الألبسة الحريرية المطرزة والمنقوشة والمحلية بالذهب والفضة، ويظهرون بمظاهر الغناء والترف بما يقدمون لهم من أطعمة في أوانٍ وملاعق من الذهب والفضة الخالصة، وكذلك الأماكن التي يستقبلون فيها ضيوفهم كانت عبارة عن قصور فارهة تحتوي على كل ماهو لافت للنظر، ويبث في أعين الناس من التعجب والحيرة في كيفية بنائه وتزيينه ونقشه وما يحتويه من أثاث ليس له نظير في عدة أماكن أخرى، وما يوضع فيها من أضواء باهرة وأشياء عاكسة لهذه الأضواء مما تستلهب العقول بها، ومن الأشياء الأخرى والأهم التي يظهرونها لضيوفهم هي القوة العسكرية الخارقة، حيث يصطف على جانبي الطريق العساكر في أبهة وزينة، وكثرة عدد وعدة مما

يجعل ضيوفهم يحسبون ألف حساب عند تفكيرهم بمحاربة أو مهاجمة أي جزء من أجزاء دولتهم.

وعادة ما تخلل هذه الاحتفالات كثير من الخطب الرنانة وأشعار المدح وغيرها من الأشياء التي تدل على حسن الإكرام والضيافة وقوة الدولة .

17- تعد اللغة الرسمية للأندلس قبل الفتح الإسلامي هي اللغة اللاتينية، وعمل حكام بني أمية على تعليم اللغة العربية لأهل الأندلس وتوحيد التعليم في أنحائها، وثم إنشاء عدد كبير من المدارس لهذا الغرض، وتوافد عدد كبير من أهل الأندلس عليها لتفهم أصول اللغة العربية والأدب العربي، وقد حظر حكام بني أمية على النصارى أن يتكلموا بغير العربية، وأصبحت هي لغة الكنيسة، واللغة الرسمية في التدريس بمعاهد النصارى واليهود، وكان لهذا القرار أثر كبير وعميق في التقريب بين المسلمين والنصارى، واعتنق كثير من النصارى الدين الإسلامي بعد أن وقفوا على أصولة وتفاصيله، وأخذوا كثيراً من هذه اللغة لسهولتها وعذوبتها وسرعة تعلمها، وبذلك استعرب عدد كبير من أهل الأندلس استعراباً كاملاً ديناً ولغةً، وهذا جهد كبير يشكر عليه حكام بني أمية، وينبغي أن يسجل جهدهم المميز في الدفع باللغة العربية لتكون اللغة الرسمية في جميع المعاملات بين الناس، وخاصة في الدوائر الرسمية التي لها علاقة بإدارة الحكم والأماكن العامة .

18- يعد القرن الرابع الهجري من القرون التي يشهد لها التاريخ بازدهار العلوم والثقافة في قرطبة، ففي العلوم الدينية نبغ فيها عدد كبير من رجال الدين، ومنهم الفقهاء الذين كان لهم دور كبير في الدولة، ولهم شأن كبير فيها ويسمون بجماعة الفقهاء، وعادة نجد الخلفاء يقومون بمشاورتهم في كثير من الأمور التي تهم الدولة، ويرافقونهم في معظم الأوقات ولا يعقد مجلس إلا بحضورهم.

وكذلك احتوت قرطبة على عدد كبير من أهل الحديث، حيث يوجد عدد كبير منهم، ولهم دور في ازدهار علم الحديث في قرطبة ونشره بين أهلها، وخاصة أن عدداً منهم رحل إلى المشرق للنهل هذا العلم على يد علماء أكفاء، ودرسوه على أصوله في كل من بغداد والبصرة ومكة والمدينة على أنَّ هذه المدن هي المدن الأولى لعلم الحديث، إلى جانب ذلك ظهور بعض العلماء المهتمين بعلوم القرآن من حيث تجويده وقراءته وأحكامه وتلاوته، وتأليف الكتب في تفسيره وضبط حروفه، ولهذا فإن للعلوم الدينية دوراً بارزاً في قرطبة، فهي الأساس في بناء الإنسان وصقله دينياً وتقربه إلى ربه بالعبادة والتودد إليه في إصلاح حاله دنيا وآخرة .

أما العلوم الأدبية واللغوية فهي الأخرى ازدهرت ازدهاراً كبيراً، وكان للعلماء المشارقة دور كبير في ازدهارها إلى جانب علماء الأندلس، فعملوا معاً على تطوير والرفع من مستوى العلوم الأدبية، وبمجاراة أهل المشرق الذين سبقوهم في هذا المضمار، فقاموا بالتأليف والكتابة، ونبغ عدد كبير منهم في هذا المجال، وتطور وازدهر الشعر في قرطبة، وكان المسؤلون عن تعبير دفة الحكم في البلاد يميلون إلى الأدب، وقرض الشعر ويسمعون مدح الشعراء لدولتهم، ولهذا اكتظت قرطبة بالشعراء وأمراء الكلام واشتهر عدد كبير منهم في القرن الرابع الهجري، وأصبح لهم ديوان خاص في قرطبة، ويتقاضون رواتب عالية وخاصة المقربون من الخلفاء حتى أثرى بعضهم ثراء فاحشاً، وإلى جانب ذلك كان للنحو مكانة خاصة عند الأندلسيين، وهو عندهم من أرفع العلوم، ونشطت العلوم النحوية عندهم، وظهر فيها أعلام، بالإضافة إلى المؤلفات والشروح المتعددة التي أسهمت إلى حد كبير في إثراء النحو العربي، وتقديمه إلى الدارسين، ونجد أن معظم المؤلفات في علم النحو المتداولة بينهم نجدها حافلة بآراء نحاة من بلادهم.

وكذلك ازدهر علم التاريخ، ونبغ فيه إخباريون أندلسيون كتبوا وسجلوا تاريخ بلادهم، وسطروا أمجاد الدولة الإسلامية بالأندلس منذ الفتح إلى الزمن الذي يعيشون فيه، وكتبوا كل صغيرة وكبيرة من سير الخلفاء وحروبهم وأمجادهم، وما قاموا به من أفعال وخاصة ما يتعلق بحسناتهم، وكذلك قاموا بتسجيل الأحداث اليومية وسير وأخبار الشعراء والأدباء والعلماء في مختلف ضروب العلم، ونجد أن الغالبية العظمى ممن أرخو لهذه الأعمال والأحداث مؤرخون من أهل الأندلس، ولهم دور كبير في ازدهار الثقافة في الأندلس، والرفع من مستوى علم التاريخ بها.

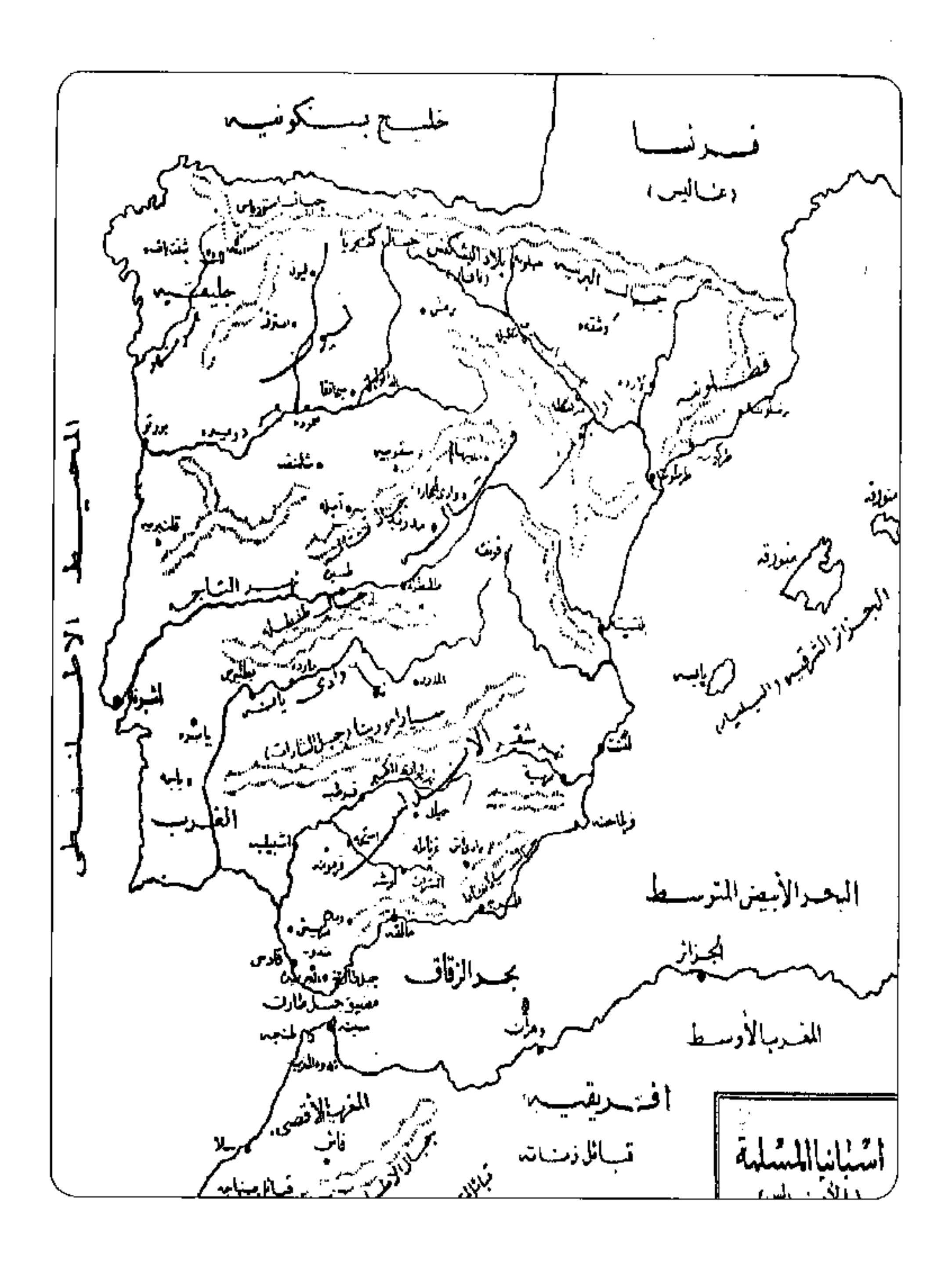
أما علوم الأوائل فإنها أيضاً من العلوم التي كان لها دور وظهور قوى في المجتمع القرطبي، فعلم الفلسفة مثلاً بدأ الظهور في قرطبة في فترة الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، ثم أخذ ينمو رويداً رويداً حتى أصبح عدد الدراسيين له في تزايد، ولكن عندما رأى الفقهاء ورجال الدين عدم إنسجام مع العقيدة الإسلامية بدأوا يحاربونه، وأصبح كل من له علاقة أو دراية يُعد ملحداً، ولهذا تلاشى ولم يصبح له وجود علني، إلا في عهد الحكم المستنصر بالله، حيث بدأ ينشط من جديد، لأنه أعطى حرية الفكر في كل العلوم، ولكنه عاد من جديد إلى الاختفاء في فترة الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، أما علم الطب فقد أصبحت له مكانة في المجتمع القرطبي، لأنه يُعد من الضروريات في أي مجتمع من المجتمعات، ولذلك احتوت قرطبة على عدد كبير من الأطباء، وتطور علم

الطب وازدهر حتى أصبح عدد كبير من الأطباء له شهرة وصيت عالٍ، ومنهم من أصبحوا أطباء خاصين للخلفاء وأسرهم، وتعد مهنة الطب من المهن التي يكن لها المجتمع التقدير والاحترام، إلى جانب أنها تكسب محترفيها أموالاً كثيرة وجاهاً ورفعة شان .

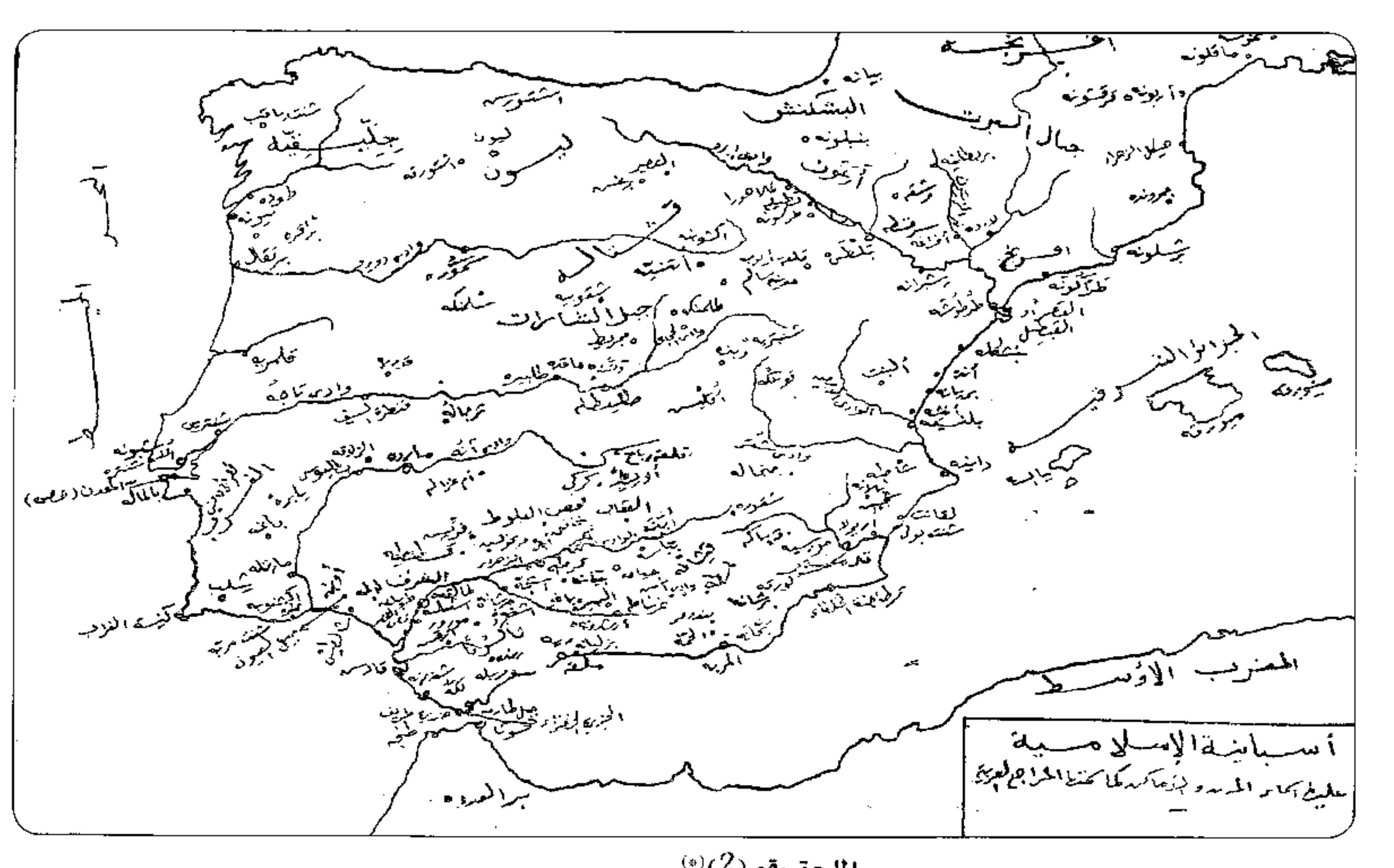
ويرتبط الطب ارتباطاً وثيقاً في العصور الوسطى بالرياضيات والهندسة والفلك والفلسفة، وكثير من العلماء يجمعون بين هذه العلوم، واشتهر بعض العلماء بعلم الحساب، وبعضهم بعلم النجوم والكواكب، وبعضهم بالهندسة .

مما سبق يتضح لنا أن معظم العلوم ازدهرت في قرطبة بمجهودات علمائها وعم هذا الازدهار الأرباط والأرياف والمدن.

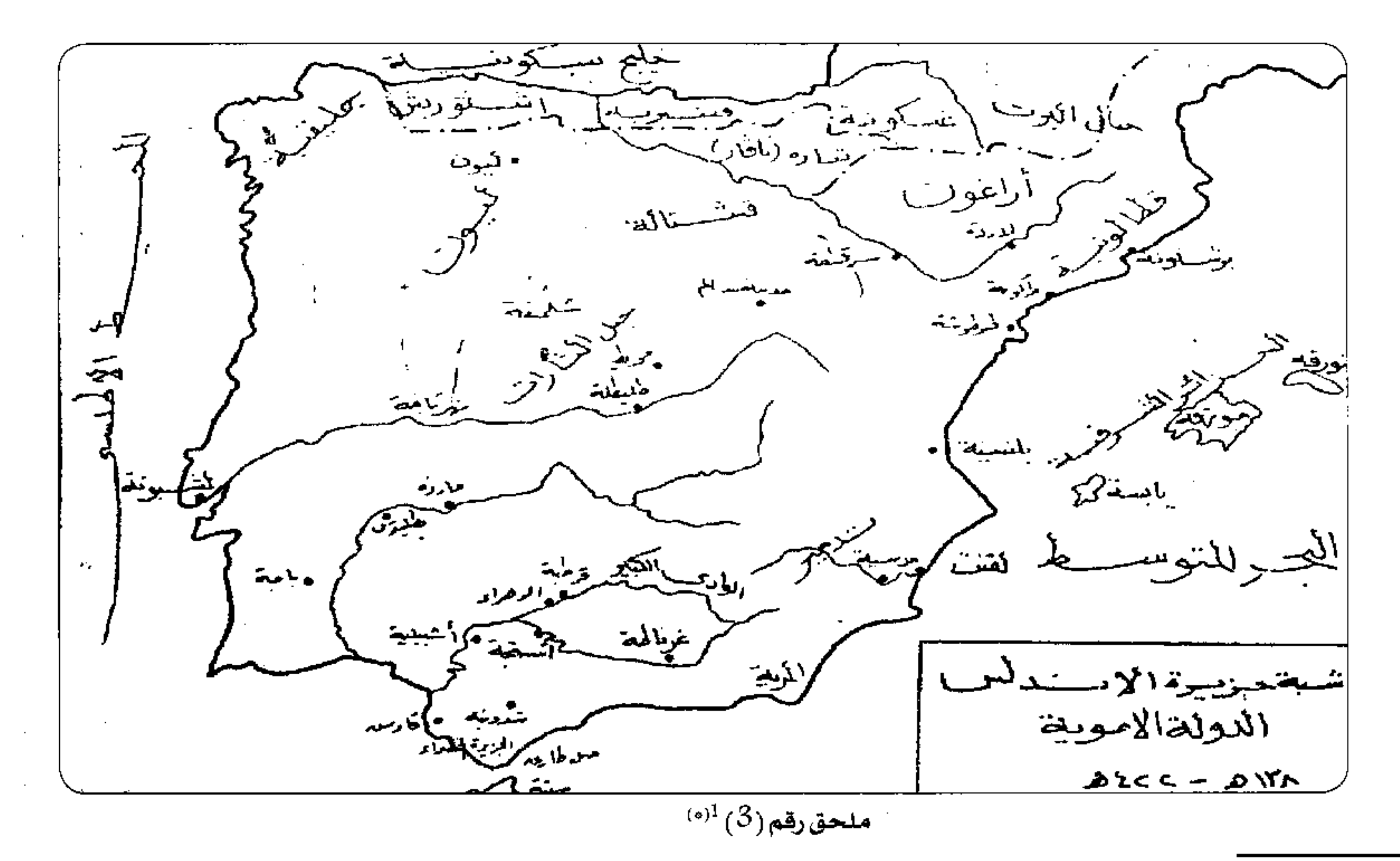
الملاحق


خليج بسكونيه
فرنسا
(غاليس)
قطلونيه
البحر الأبيض المتوسط
بحر الزقاق
الجزائر
المغرب الأوسط
افريقيه
قبائل زناته
المغرب الأقصى
اسبانيا المسلمة
الغرب
اشبيليه
قرطبه
مالقه
قادس
طنجه
سبته
وهران
فاس
سلا

ملحق رقم (1) (*)


أسبانية الإسلامية
المغرب الأوسط
الجزائر الشرقية
جبال البرت
البشكنس
ليون
جبل الشارات

الملحق رقم (2)(*)



ملحق رقم (3)[1](*)

1 (*) - محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس عهد الفتنة الكبرى حتى نهاية عهد عبد الرحمن الناصر، العصر الأول القسم الثاني، مطبعة مصر القاهرة1952م.

ملحق رقم (4)

[تسمية الناصر بأمير المؤمنين]

وفي هذه السنة استكمل الناصر لدين الله مرتبة الخلافة، واستتم ميسمها بتسميته بأمير المؤمنين، وأخذه رعيته بذلك في جميع ما يجري منه ذكره، وإنفاذ كتبه بها في أقطار مملكته، وقطعه على استحقاقه لهذا الاسم، الذي هو بالحقيقة له ولغيره بالاستعارة، إذا هو ابن أمراء المؤمنين وسلالة الهداة الفاضلين والأئمة المتقين القائمين بالحق السالكين سبيل الرشد، وقد تقدم ذكره لذلك ونظمه فيما مضى من هذا الكتاب، وأن أول دعوة أقيمت له على منبره الأعظم في المسجد الجامع بحضرته قرطبة، بنطق صاحب الصلاة فيها، الفقيه القاضي أحمد بن بقي بن مخلد بن يزيد، بالدعاء له في خطبة الجمعة مستهل ذي الحجة من هذه السنة . فاستمرت عليه وعلى عقبه من بعد هذه السمة، إلى أن انقرضت دولتهم، والبقاء لله تعالى، عز وجل، المنفرد به، عز وجهه، وعظم سلطانه[1].

1 (*) – إبراهيم علي طرخان. المسلمون في أوربا في العصور الوسطى. مؤسسة سجل العرب القاهرة1966م.

ملحق (5)

[وفادة ابي علي القالي]

وفي يوم الاثنين لثلاث بقين من شعبان وفد على الناصر لدين الله الأديب أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي، المعروف بالقالي، العالم المستبحر في علوم اللسان، الجامع لضروب الآداب، المحتوي على دواوين الثقفات، الراوية عن جلة العلم، الملتقي للثقات طرّا من أقصى أرض العراق، قاصداً باب عظيم الخلفاء بأسنى البضاعات، وقد كان المخبر سبق بجوازه البحر من قبل عامل بجانه فكتب الأمير الحكم، ولي العهد، المنافس في اقتناء العلم واصطناع أهله، إلى هارون بن موسى، كاتبه ووزيره، وهو يومئذٍ ببجانه لبعض أموره، بتلقي إسماعيل هذا وتبشيره وإكرامه وإقدامه معه إلى قرطبة، والتقدُّم إلى كل عامل يمرّ به في طريقه بالاحتفال في مبرته، والانتهاء في تكريمه،ففعل ذلك إلى أن وصل إلى قرطبة في اليوم المذكور، فأكرم الناصر لدين الله مورده، وأحسن تقلبه، وأكرم مثواه، وبوأ لديه أسنى مبوأ، وأوسع عليه في الإنزال والإقطاع، وناغاه في ذلك ابنه، ولي عهده، الحكم، بفضل عنايته بالعلم ونزاعه إلى أهله، فنال بها أمنيته، واطمأنت في كنفها ذراه، وأوعز إليه بنشر ما يحمله من علمه في الناس، وإشاعة إسماعهم وإفادتهم، وتأليف ما التقط من منثور ما أغيا عليهم، فسارع إلى ذلك بجد وقوة، وفاض على طلاب العلم منه ما عظم انتفاعهم به جدا، وصحح لهم صحائف كانت عندهم بورا، فأجد للسان

العرب عندهم نشورا، وكان من أعظم من وفد إلى الأندلس من العلماء بركة على متونه المثوى لديه، وعلى طلب العلم رعيته وغيرهم، رحمة الله عليهم[1].

1 (*) – طه محمد البتانوني. دراسات في الأندلس من الدولة الأموية إلى نهاية الموحدين(138-674هـ). جامعة القاهرة، فرع الخرطوم.

ملحق رقم (6)

ذكر أثر الخليفة الناصر لدين الله في حماية السنة

وإنكار البدعة وبعض ما قدم من صالحة

قال: كان مذهب الظنين المرتاب المرائي بالعباد المنطوي على داخل السريرة محمد بن عبد الله بن مسرة الرابض للفتنة، دب في الناس صدر دولة الخليفة الناصر لدين الله واستهواهم بفضل ما أظهره من الزهد وأبدى من الورع، وتشدد في المكاسب وأيأس عن التجاوز وأوحش من الناس وأثر من الإنتباذ عنهم حتى استوطن ضيعته ببعض قرى قرطبة مفضلا مكانه هناك على مجاورة أهلها وشهادة جمعها، فظل دعاته وأصحابه ينتابونه بمكانه و يتكررون عليه ويأخذون عنه، فيمكنه توحده بهم من الإذاعة إليهم بما في نفسه مما لا يمكنه إذاعته بالمصر، وقد أوتي من عذوبة الكلام ومتانة الحجاج والغوص على دقيق المعاني والافتنان في ضروب العلوم ما يستلب به القلوب ولا يعييه عنه صواب . وقد كان رحل إلى المشرق فلقى هناك من درسه مذهبه فقوي فيه متنه وانبسط باعه فيه، ولما عاد إلى الأندلس طمع في تفريق كلمة أهلها فتوارى في شعب الزهاد وتذرع بها إلي القدح في السنة، فألف الكتب البارعة وبث الرسائل القارعة وصنف المقالات الناكبة وسدل على مغمضاتها ستور المغالطة، فقال بإنفاذ الوعيد وضعف أحاديث الشفاعة وباعد عن التجاوز والرحمة فختلفي ضربة بمسيرة ذلك الماضي دع السوء لا من يلقاه من أهل السلامة هائما به في أرحب واد بأختل ذريعة وهو في الطرفين مرهف النصل ماضي الضريبة، يسرد مسائل مدونة المالكية عمدة السنة سرد القرآن ويشققها بالاجتلاب بأوضح برهان حتى يخرج فيها أجزاء مختصرة حسنة لم يزل الإجماع من مخالفيه إلى اليوم واقعا على أنها أفضل وأوجز وأبسط من كل مختصرة صيغت فيها، فبرسوخه في بسط العلم وتأنيه في الاستدراج للخصم يستهوى العقول ويصيد الأفئدة .

وكان من شأنه أن يلقي أول من يأتيه مقتبسا من أهل السلامة بالمساهمة إلى أن يختله عن رأيه بالمفاضلة، فإذا أصغى إلي عذوبة منطقة وعلق في شرك حجاجه غره رفقا بباطله عن الطائر فرخه، فلا يبعد أن يلفته عن رأيه ويشككه في اعتقاده فيقلبه إلى اختياره ويحصله في أتباعه، فاستهوى خلقا من الناس صدهم عن سبيل السنة وأوحشهم من الجماعة، .واتخذ من راسخيهم في مذهبه دعاة وأئمة، دخل في عرضهم رجال من ذوي

الفهم والواجهة وصموا بإتباعه فأدّرعوا بذلك خزية، ولم يزل يستظهر عليهم بالمواثيق في الكتمان إلا من الثقات الوثاق العقدة، فاكتتم بذلك شأنه إلى أن غافصته منيته صدر دولة الناصر لدين الله أيام شغلة بحروب أهل الخلاف المتصلة، فرفع الله بموته عن الناس فتنة، ولم يلبث دعاته مع انتشارهم في البلاد أن تلبسوا بعده بما أوعزهم من مكنون علمه وأخذ عليهم من بثه، ومذيعوهم وضغت إليهم أفئدة جماعة من الناس من خاصة وعامة أذاعوه سرا وأفشوا مذهبه وغبطوا من فاء إليه واعتقده، فانتشر بقرطبة وطرأ إلي بلاد سواها، وزن به جماعة.

فكثر القول في شأنه وشيم الخلاف من تلقائه فذعر له أهل السنة من أهل قرطبة وتوقعوا منه البلية، وفزع فقهاؤهم وكبارهم بهمه إلى أصحاب الخليفة الناصر لدين الله فنبهوا عليه بما غير ذهول ولا وسنان قام لإنكاره أشد قيام وثني إليه من مشكلات الفتنة لتأتلف الأهواء وتتفق الآراء ولكي تضح أعلام الهدى في أي التنزيل الذي سماه قيما﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ

فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾[1]

وفي قولة ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴿ 47 ﴾وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [2]

وأوحاه روحا من أمره بين فيه الكتاب والإيمان وجعله نورا يهدي به من يشاء إلى جنات الرضوان، ثم استمر الدين بعد رسول الله، ﷺ على قيامة وسدده في دول الخلفاء الراشدين الذين امتثلوا سبيله فأقاموا رسوم السنة، وأحرزوا وظائف الديانة، وأطفأوا نار الفتنة، ودمغوا الفرق الخارجة، وشحنوا الرافضة، واستذلوا بالثقاف المارقة، وجادلوا عنه، وجاهدوا بسيف الله عن الله، وحملوا الحق على الباطل فأزهقوه ﴿ وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[3]

ووعوا كل بدعة فلم تدخل على الأمة شبهة حتى كانت دولة الطائفة الزائفة والعصابة الباغية من آل العباس، ففشت البدع وكثرت النحل ووقعت المحن،إذا حلوا النظام وأهملوا الزمام وخففوا الوطأة عن رقاب أهل الجهالة والزيغ والضلالة، فانحل شدهم ووهي

1 - حيان. المقتبس.ج5. مصدر سابق، ص242.

2 - المصدر السابق. ص480،479.

3 - سورة الأنعام الآية رقم 160.

عقدهم وتغيرت نعمهم وآلت الأمور عندهم باختلاف المذاهب إلى ما أعضل دواؤه وطال بلاؤه، وحملت الصحف على الأيام شنيع ذكره، وعصم الله بمنة منه وفضله أهل الأندلس وسلم لهم دينهم من الآفات ومستكره الخلات بصادق نيات الخلفاء الماضين من سلف أمير المؤمنين، رضوان الله عليهم، في حفظهم دين الله واستبصارهم في حماية حريمه، فلم يفش باطل ولا شاع هوى، وانتقى الله – وله الشكر وافيا والحمد كثيرا – بعدهم أمير المؤمنين الذي رضى به للخلافة، فأصبح بنعمة الله التي نتعرف بالعجز عن شكرها مقتفيا لآثار الخلفاء آبائه والأئمة من سلفه، قائما بالكتاب،معلنا بالسنة،مؤثرا لهما مجاهدا عليهما، ونصر الله وكنفه وتوفيقه يصحبه، فلا ينجم للشيطان قرن إلا قصمه، ولا يرفع له علم ضلال إلا وضعه، ولا يظهر له باطل إلا محقة، حتى ألف الله به الأمة وكفاه بأحسن الكفاية وبسط بطاعته في الأقطار الأمن والطمأنينة، ومد له باليمن والغبطة والنماء والسعادة في انفساح الدولة فحطت إلى مصيره الأمم وأثنت عليه الألسن، وتبارى أهل المشرق في تفيؤ ظله الممدود والاعتصام بحبله المشدود والحيام على حوضه المورود واكتناف عدله المبسوط، فأمن بلده واغتبط قصده واستفاض العلم منه، وعز أهله، فعرف فضله وكمل، وتتوفس فيه من آفاق الأرض إلى مستقره ومستودعه وحيث يصح العمل والتوفيق لمنتحله، ونفى البدع عنه، فتجمع منه في قاعدة مملكته ما لم يكن قبله وكملت علة ذلك آلات الآداب في زمانه وهو مع ذلك لا يزال موكل النفس والهمة يتفقد مصلح الأمة ويتعهد أمور الديانة باحثا عن سنن المسلمين وطرائقهم ومواطن اجتماعهم في مساجدهم ومحافلهم بمن نصبهم من ثقاتهم وعيون بطانته ووكلهم بمباطنة الطويات وكشف السريرات، فكانت الأعمال معروضة عليه وخفيات السرائر مكشوفة له، ومطويات بنات فكر البر والفاجر من جليات لعلمه، والباطن والظاهر من مذاهب العوام موضوعان بين يديه، ونعم الله في كل ذلك تتواصل له بتجدد الدين وقوام شرائعه ووضوح مهايعه وتواضع الرقاب لتعظيمه وسلامة القلوب من الإلحاد فيه، وترددّه غضاً في القلوب لا يسأم، وجديد على جدة الأيام لا يمل، وكتاب الله عزّ وجلّ محفوظ على أحسن تلاوته وأسلم حروفه، وترك العناد والتجادل فيه والحكم والرجوع إليه﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [1]

1 – سورة الأنبياء الآية رقم 47-48.

بإدخال الخاص والعام في شوراهم، وما يجرى بينهم على مكشوف السنة ومشهود ما حمل عن كبير الأئمّة مال ابن انس، إمام أهل المدينة، رضي الله عنه، من الروايات المتفقة والأحاديث المنقولة بصحتها على ألسن الصحابة نجوم الأمة الهادية، فطابت بذلك هذه البلدة وتزكى أهلها من نزعه أنزع زمام، قعد بمنتحليه وقام، وقلد النظر في شأن من أتهم بهذا أو تكلم به صاحب مدينته عبد الله بن بدر مولاه، أمره بالتنقير عنهم والقصر لآثارهم وطلب الدلائل عليهم والإيقاع بمن صح لديه أنه منهم أو متول لهم، فتجرد ابن بدر لهم فشد تخويفهم وأغلظ لمن عثر عليه منهم، فجرت لهم في ذلك خطوب يطول القول فيها [1].

1 - سورة الإسراء الآية رقم 81.

ملحق (7)

[كتاب الخليفة في التنديد بمذهب ابن مسرة وإتباعه]

وأنفذ الخليفة الناصر لدين الله إلى آفاق ملكه بشأن هؤلاء المبتدعة كتاباً طويلاً قرئ عليه بأمصارهم من إنشاء الوزير الكاتب عبد الرحمن ابن عبد الله الزجالي نسخته :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أما بعد، فإن الله، تعالى جدُّه وعزّ ذكره، جعل دين الإسلام أفضل الأديان، فأظهره وأعلاه ولم يقبل من عباده غيره، ولا رضي منهم سواء، فقال في محكم تنزيله ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[1]

وقضى في محتوم أمره ونفاذ حكمه أن ينسخ به الديانات ويختم برسالته الرسالات، فبعث محمداً خاتم النبيين وأكرم الأكرمين وأعزّ الخلائق على ربّ العالمين بأن كتب الصلاة والسلام عليه في عرشه قبل أن يخلقه، واصطفاه لأمانته قبل أن يكوّنه، وأرسله بأفضل دين سمَّاه حنيفاً إلى خير أمة اختارها وسطاً، كما قال، عزَّ من قائل، إذا عرَّفنا فضل ما هدانا إليه من الدين وكرَّمنا به على سائر الأمم﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئًا وَأُولَـئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾[2]

فله جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه، الشكر على خصائص هذه الفضيلة والحمد بالمنة الجليلة، فقد استنقذ من الغواية وهدى فأحسن الهداية، وأنار فأبان الحجّة وكفانا بواضح المناهج مؤنة الفكرة ونظم زمام الأمة وجمع وجوه السعادة العاجلة والنجاة الآجلة في تأليف الجماعة واجتناب نزعات الفرقة، حيث يقول عزَّ وجهه لنبيه، المخصوص بهداه، صلَّى الله عليه وسلم، تحفياً به وبعباده، ورأفة بسطها على خير خلقه، وإعلاماً لهم بتواصل الدين من قبله لأنبيائه، وكراهة لاختلافهم بعد رسوله – ﷺ –﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [3]

---

1 - سورة المائدة الاية رقم 44.
2 - أبن حيان، المقتبس، ج5، مصدر سابق، ص:ص20-21-22-23-24.
3 - سورة آل عمران الآية رقم 85.

فخوَّف وحذَّر ونهى عن تفرُّق الكلمة ونبهَّ على البعد، ونفى الله الخبائث عنها، وفضَّلها على سائر البلدان، واستقرّ فيها الدين كهيئة يوم أكمله الله لعباده، ولمّا استوسعت الطاعة وشملت النعمة وعمّ الأقطار بعدل أمير المؤمنين السكون والدعة، طلعت فرقة لا تبتغي خيراً ولا تأتمر رشداً، من طغام السواد ومن ضعف آرائهم ومن خشونة الأوغاد، كتباً لم يعرفوها، ضلَّت فيها حلومهم وقصرت عنها علومهم، وظنوا أنهم فهموا ماجهلوا وتفقهوا فيما لم يدركوا، واستولى عليهم الخذلان وأحلّ عليهم بخيله ورجله الشيطان، فزينوا لمن لا يحصل لهم ولقوم امنين لا علم عندهم، روح الله قال تعالى: أعُوذُ بِاللّهَ مِنَ الْشَّيَطنِ الرَّجِيمِ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [1]

وأكثروا الجدال في آيات الله . وحرَّفوا التأول في حديث رسول الله — ﷺ - فبرئت منهم الذمة بقوله، تقدست أسماؤه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ 69 ﴾الَّذِينَ كَذَّبُوابِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [2]

إلى قوله ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴿ 71 ﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [3]فهذا ابلغ الوعد وأفظع النكال﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[4] ثاني عطفه (ليضل عن سبيل الله) إلى قوله﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [5]

ثم تجاوزوا في البهتان، وسدوا على أنفسهم أبواب الغفران، فأكذبوا التوبة وأبطلوا الشفاعة ونالوا محكم التنزيل وغامض متشابه التأويل بتقدير عقولهم، ﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ ﴾[6]

فصاروا بجهل الآثار وسوء حمل الأخبار إلى القدح في الحديث وترك نهج السبيل، فأساؤوا الفهم عن العلوم، وأقدموا بمكروه القول في السلف الصالح، واستبدلوا علي نقلة

1 – سورة آل عمران الآية رقم 10.
2 – سورة الشورى الآية رقم 13.
3 – سورة يوسف الآية رقم 87.
4 – سورة غافر الآية رقم 69-70.
5 – سورة غافر الآية رقم 71-72.
6 – سور ة الحج الآية رقم 9.

الحديث، ووضعوا من الكتب أوضعها وتابعوا شهواتهم فيها، وتتابعوا فيما أوبقهم وورّطهم ورأوا لتخضّع وحشيّة بحثّها لازم الضلالة وداعية الهلكة والشذوذ عن مذهب الجماعة من غير نظر نافذ في دين ولا رسوخ في علم، حتىّ لتركوا رد السّلام على المسلمين، وهي التحية التي نسخت تحية الجاهلّيين، خلافاً على أدب الله تعالى وقوله جلّ جلاله ﴿ وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [1]

وقالوا بالاعتزال عن العامّة وشدّوا أزره فآثروه وانكشوا فنكرهم ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [2]

فلجّ في جهالتهم وتاهوا في غيّهم، ونكسوا على رؤوسهم حقداً على الأمة الحنيفّية، واعتقاداً لبغضتها، واستحلال لدمائها، وتدرُّعاً إلى انتهاك حرمها وسبي﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3]

لولا أنّ سيف أمير المؤمنين من ورائهم ونظره محيط بهم، ولماّ صار غيّهم، فاشياً وجهلهم شائعاً، واتصل بأمير المؤمنين من قدحهم في الديانة وصدوا فهم عن الجادة ما شغل نفسه وأقصر مضجعه وأسهر ليله، أغلظ أمير المؤمنين في الأخذ فوق أيدهم، وأوعز إيعازا شديداً وأنذر إنذار فظيعاً وعهد عهداً مؤكّداً شافياً كافياً، نظر به لوجهه، تبارك اسمه، وقّدم فيه بين يدي العقاب الشديد وأمر بقراءة كتابه هذا على المنبر الأعظم بحضرته، ليقرع قلب جاهل، ويفتّ كيد المستهتر الحائر، وينقص عزم المعاند المعاجل، ويضطر الغواة إلى الإنابة الصحيحة التي تقبلها الله منهم، أو يكشف عن الأذهان سرائرهم، فيكون عليهم الشهيد، وأنهم ايتهم عذاب غير مردود، ورأى أمير المؤمنين أن يشمل بنظره أقطار كوره ويرسله في بدوه وحضره، وأن ينفذ عهوده إليك وإلى سائر قوّاده وجميع عماله بها، يقرأ على منابر المسلمين ولا يحرم القاصي بأعمّ الداني من تطهير هذا الرجز وتمحيصه وكفاية المسلمين شبهة وفتنة، فلم تحلّ الديار ولا تعفّت الآثار ولا استحقّ البلاء على قوم ولا أهلك الله أُمّة من الأمم إلاّ بمثل ما انكشفت به هذه الطبقة الخبيثة من التبديل للسنّة والاعتداء في القران العظيم وأحاديث الرسول الأمين، صلوات الله عليه وسلّم، هذا عند وروده عليك في الجامع قبلك وانشره في أسماع رعّيتك، وتتّبع هذه الطائفة بجميع أعمالك، وابثّث فيهم عيونك، وطالب فيهم غورهم جهدك، فمن

1 – سورة الحج الآية رقم 9.

2 – سورة آل عمران الآية رقم 7.

3 – سورة النساء الآية رقم 86.

تجلى بطبقتهم إن انتسب إليهم وقامت عليه البينات بذلك عندك فاكتب إلى أمير المؤمنين بأسمائهم ومواضعهم وأسماء الشُهود عليهم ونصوص شهاداتهم ليعهد باستجلابهم إلى باب سدَّته، ليُنكَّوا بحضرته فيذهب غيظ نفسه ويشفى حرّ صدره، وإياك أن تداهن في أهل الريبة وتتخطّاهم إلى ذوي السلامة والأحوال الصالحة، فإن فرطت في أحد الأمرين أو كليهما فقد برئ الله منك وأحل دمك، فأعلمه اعتلمه إن شاء الله تعالى، وتمادى الطلب لهذه الفرقة المسرية والإخافة لهم وتخويف الناس من فتنتهم بقية أيام الناصر لدين الله[1].

1 - سورة الزمر الآية رقم 18.

محمد أبو يوسف الكويتي

قائمة المصادر والمراجع

أولا / المصادر:

1. القرن الكريم.
2. ابن الأبار. الحلة السيراء. تح حسين مؤنس. دار المعارف القاهرة 1967م.
3. ابن الأثير. الكامل في التاريخ.ط3. دار صادر للطباعة بيروت 1966م.
4. أحمد بن أبو يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح. تاريخ اليعقوبي. دار صادر بيروت. دت.
5. أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلس. العقد الفريد. تح عبد المجيد الترحيبي. دار الكتب العلمية بيروت 1987م.
6. أخبار مجموعة، تاريخ فتح الأندلس وذكر أمرائها، تح إبراهيم الإيباري دار الكتب الإسلامية القاهرة 1981م.
7. إسحاق إبراهيم بن محمد الفارس الأصطخريلي المعروف بالكرخي. المسالك والممالك. مطابع بريل لندن 1967م.
8. ابن أبي اصيبعه. عيون الأنباء في طبقات الأطباء. ط4. دار الثقافة بيروت 1987م.
9. بسام الشنتيريني. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تح إحسان عباس بيروت 1979م.
10. بطرس البستاني. دائرة المعارف. دار المعرفة ، بيروت. دت.
11. أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمداني المعروف بأبن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، مطبعة لندن بريطانيا1302هـ.
12. أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مدحج بن محمد بن عبد الله بن بشير الزبيدي. طبقات النحويين واللغويين. تح إبراهيم الايباري. دار المعارف، القاهرة1965م.
13. . . . لحن العوام. تح. رمضان عبد التواب. المطبعة الكمالية، القاهرة 1964م.
14. . . . مختصر العين. تح صلاح مهدي الفرطوسي. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1991م.
15. الجرجاني. كتاب التعريفات. مكتبة لبنان، بيروت1979م.
16. أبي جعفر أحمد بن يحي بن أحمد بن عمير الضبي. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. مجريط1884م.
17. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تح إبراهيم أبو الفضل. المكتبة المصرية، صيدا بيروت د ت .
18. . . . تاريخ الخلفاء. تح محمد محي الدين عبد الحميد. ط4. مطبعة العمالة الجديدة القاهرة 1969م.
19. ابن حزم الأندلسي. جمهرة انساب العرب. تح عبد السلام هارون. ط3. دار الثقافة، بيروت 1987م.
20. أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح إحسان عباس، بيروت 1979م.
21. ابن حيان بن خلف بن احسين بن حيان. المقتبس في رجال أهل الأندلس. تح علي محمود مكي. دار الكتاب العربي، بيروت1973م.
22. . . .المقتبس في أخبار أهل الأندلس. نشره ب_شالميتا _ف كورنيطي، ج5، المعهد الإسباني ، مدريد 1979م .

23. . . . المقتبس في رجال أهل الأندلس، تح علي الحجي. دار الثقافة، بيروت 1965م.
24. . . . المقتبس في رجال أهل الأندلس. تح مشلوم انطونيو، ج3،باريس 1937م.
25. ابن خلكان. وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان. تح إحسان عباس.دار صادر. دت.
26. . . . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تح إحسان عباس. دار صادر بيروت 1994م.
27. ابن خير الأموي الأشيلي. فهرسة ابن خير. تح إبراهيم الابياري. دار الكتاب المصري القاهرة. ودار الكتاب البناني بيروت 1989م.
28. أبو داود سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل.. طبقات الأطباء والحكماء. تح فؤاد سيد، القاهرة 1955م.
29. زكريا بن محمد بن محمود القزويني. آثار البلاد وأخبار العباد. دار صادر، بيروت 1969م.
30. ابن سعيد. المغرب في حلى المغرب. تح شوقي ضيف. ط2. دار المعارف، مصر 1964م.
31. سليمان بن الأشعث السجتاني. سنن أبو داود. ضبطة محمد عبدالعزيز الخالدي دار الكتب العلمية بيروت1981م.
32. شعر أبي مروان الجزيري الأندلسي. تح أحمد عبد القادر صلاحية. دار المكتب، دمشق 1992م.
33. شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح. إحسان عباس. دار صادر بيروت 1968م.
34. شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح مصطفي السقا وآخرون، القاهرة 1940م.
35. صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تح حياة العيد بوحلوان، دار الطليعة، بيروت 1985م.
36. صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي. مراصد الاطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع. دار أحياء الكتب العربية، حلب 1992م
37. عبد الرحمن محمد الأشبيلي المعروف بابن خلدون.ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر. تح خليل شحادة. دار الفكر، بيروت 1998م.
38. . . . مقدمة ابن خلدون. تح محمد محمد تامر. مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 2007م.
39. . . . تاريخ العلامة أبن خلدون، ط3، مكتبة دار الكتاب اللبناني بيروت1967م.
40. أبي عبد الله بن حارث القيرواني الخشني. قضاة قرطبة. الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1966م.
41. أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافية، تح محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة دت.
42. أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحموديني الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي. كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1994م.
43. أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري. الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي. تح فريد عبد العزيز الجندي. دار الكتب العلمية، بيروت 1990م.
44. أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني. ابن باجة . سنن ابن باجة. تح محمد فؤاد عبد الباقي. دار البيان للترات، دار أحياء الكتب العربية، د ت .

45. أبي عبد الله محمد نصر فتوح بن عبد الله الازدي المعروف بالحميدي. جذوة المقتبس في ذكر ولاه الأندلس. الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1966م.
46. عبد الواحد المراكشي. المعجب في أخبار تلخيص أخبار المغرب. تح محمد سعيد العريان. القاهرة 1963م.
47. أبو عبيد البكري. المسالك والممالك. تح أدريان فان ليوفن – اندري يفوني. أدري يفوني. الدار العربية للكتاب، طرابلس – تونس1992م.
48. . . . جغرافية الأندلس وأروبا. من كتاب المسالك والممالك. تح عبد الرحمن علي حجي، دار الرشاد، بيروت 1968م.
49. ابن عذارى المراكشي. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تح ج س كولان- وليفي بروفسنال. ط3، الدار العربية للكتاب طرابلس تونس 1983م.
50. أبو علي القالي البغدادي. كتاب الامالي. دار الافق الجديدة، بيروت د ت.
51. عمر عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي. بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهب والهاجس. تح محمد موسى الخولي. الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة. دت.
52. أبو فلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، دت .
53. أبو القاسم ابن حوقل النصيبي. صورة الأرض. مكتبة الحياة، ط2 دار صادر، بيروت 1938م.
54. أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال. كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس. الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة 1966م.
55. . . . كتابه الصلة في تاريخ علماء الأندلس. تح صلاح الدين الهواري. المكتبة العصرية، صيدا. بيروت 2003م.
56. . . . كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس. تح شريف أبو العلا العدوي. مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 2000م.
57. أبو القاسم عبيد بن عبدالله المعروف بأبن خرداديه. المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد 1889م.
58. القسطلاني وشيخ الإسلام. صحيح البخاري. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة د ت
59. كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى. تح أحمد فؤاد اللاهوافي. دار أحياء الكتب العربية، القاهرة1948م.
60. لابن المعتز. طبقات الشعراء. تح عبد الستار أحمد فراج. ط4. دار المعارف، القاهرة 1956م.
61. لأبي منصورعبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. دار الكتب العلمية بيروت، د ت.
62. لسان الدين أبن الخطيب السلماني. كتاب أعمال الأعلام، تح ليفي بروفسنال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2006م.
63. . . . الإحاطة في أخبار غرناطة. تح محمد بن عبدالله عنان. مكتبة الخافجي، القاهرة1975م.
64. محمد بن شاكر الكتبي. فوات الوفيات والذيل عليها. تح إحسان عباس. لاتوجد بلد الإصدار 1977م.

65. محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم المعروف بابن قوطية القرطبي. تاريخ افتتاح الأندلس. تح عبد الله أنيس الطباع. دار النشر للجامعين بيروت. د ت.
66. . . . تاريخ أفتتاح الأندلس. تح عبد الله انيس الطباع. دار النشر للجامعين. القاهرة1957م.
67. أبو مروان عبد الملك بن الكرد. تاريخ الأندلس. تح أحمد مختار العبادي. معهد الدراسات الإسلامية. مدريد1965م.
68. المعجم الوسيط. ط4. مكتبة الشروق الدولية، القاهرة 2005.
69. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تح إميل بديع يعقوب – محمد نبيل طريفي. دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.
70. أبو نصر الفتح بن خاقان . تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء بالأندلس. تح مديحة الشرقاوي. مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 2001م.
71. أبو وليد إسماعيل الحميري الاشبيلي. البديع في وصف الربيع. تح عبدا لله عبد الرحيم عسلان. دار المدني المدينة المنورة 1987م.
72. أبو وليد عبد الله بن محمد الازدي المعروف بابن الفرضي. تاريخ علماء الأندلس. الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة1966م.
73. ياقوت الحموي. معجم الأدباء، مكتبة عيسي البالي الحلبي، القاهرة. دت.
74. ياقوت الحموي. معجم البلدان. تح فريد عبد العزيز الجندي. دار الكتب العلمية، بيروت 1995م.

ثانيا/المراجع

1. إبراهيم علي طرخان. المسلمون في أوربا في العصور الوسطى. مؤسسة سجل العرب، القاهرة 1966م.
2. إحسان عباس. تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة. ط 8. دار الثقافة، بيروت 1996 م .
3. أحمد أمين. ضحى الاسلام. ط 7 .مكتبه النهضة العربية، القاهرة 1964 م .
4. أحمد شلبي. تاريخ التربية الاسلاميه . ط2، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1960م.
5. أحمد عبد الرزاق أحمد. الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى العلوم النقلية. دار المعارف القاهرة، د ت.
6. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي. دار النهضة العربية، بيروت1971 م
7. . . . تاريخ المغرب والأندلس. مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية دت.
8. أحمد هيكل . الأدب الاندلسي من الفتح الي سقوط غرناطة. ط 7. دار المعارف، القاهرة 1979 م .
9. . . . الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة. ط3 دار المعارف، القاهرة 1967 م .
10. أنور الجندي. أصول الثقافة العربية. دار المعرفة القاهرة1971م.
11. بشار عواد . مؤسسات التعليم في العراق . الحضارة العربية الاسلامية المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان 1986 م .
12. توفيق الطويل. أسس الفلسفة. دار النهضة العربية، بيروت1979م.

13. جرجي زيدان. تاريخ التمدن الإسلامي .ج 3 دار مكتبة الحياة، بيروت، د ت.

14. حسن إبراهيم حسن. تاريخ الاسلام السياسي والاجتماعي والديني. مكتبه النهضة المصرية، القاهرة 1998 م .

15. حسين مؤنس. فجر الإسلام. ط 3 . دار الارشاد، القاهرة 2005 م .

16. . . . معالم تاريخ المغرب والاندلس. ط2. دار الارشاد، القاهرة 1999م

17. حكمت عبد الكريم فريحات ـ إبراهيم ياسين الخطيب. مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية. دار الشرق، عمان 1989 م .

18. رجب عبد الجواد إبراهيم. معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة 92 هـ - 898 هـ . دار الافاق العربية، القاهرة 2009 م .

19. سامية حسن الساعاتي. الثقافة والشخصية بحث في علم الاجتماع الثقافي. ط3. القاهرة1998م.

20. سعيد إسماعيل علي. الفكر التربوي العربي الإسلامي، تونس 1987 م .

21. السيد عبد العزيز سالم . تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح حتي سقوط الخلافة في قرطبة. دار النهضة العربية، بيروت 1981م .

22. . . . قرطبة حضارة الخلافة في الأندلس. دار النهضة العربية، بيروت 1972 م .

23. . . . محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1999م

24. شحادة الناظور وآخرون. مدخل إلى تاريخ الحضارة. ط2. دار النشر والتوزيع، عمان1988م.

25. شوقي أبو خليل. الحضارة العربية الإسلامية. كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس1993م.

26. شوقي ضيف. عصر الدول والإمارات الأندلس. دار المعارف، القاهرة 1989 م

27. صلاح خالص. إشبيلية في القرن الخامس الهجري. دار الثقافة. بيروت1981م.

28. طارق محمد سويدان فيصل باشرحبيل. صناعة الثقافة. دار أقار للنشر والتوزيع، الكويت2007م.

29. طه محمد البتانوني. دراسات في تاريخ الأندلس من الدولة الأموية إلى نهاية الموحدين138-674ه. جامعة القاهرة، فرع الخرطوم1990م.

30. عبد الحسين مهدي الرحيم. تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. الجامعة المفتوحة، طرابلس 1995 م.

31. عبد الحكيم عويس. ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري. ط2 . دار النشر للجامعات، القاهرة 1988 م .

32. عبد الرحمن علي الحجي. أندلسيات. المجموعة الثانية دار الرشاد، بيروت1969م.

33. . . . التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة. ط3. دار العلم للملايين، دمشق1979م.

34. عبد الستار الحلوجي. لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات. ط 2 . دار الثقافة، القاهرة 1982 م

35. عبد العزيز عتيق. الأدب العربي في الأندلس. دار الافاق العربية، القاهرة د ت .

36. عبد الله انيس الطباع . القطوف اليانعه من ثمار جنه الاندلس الاسلامي الدانيه . دار ابن زيدون، بيروت 1986 م

37. عبد المنعم محمد خفاجي. الأدب الأندلسي. دار الجيل، بيروت1992م.

38. عبد الهادي الجوهري. معجم علم الاجتماع. المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية د ت.

39. عدنان غيثاوي. حكايتنا في الأندلس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1989 م .
40. علي حسني الخربوطلي. الحضارة العربية الإسلامية. مكتبة الخافجي، القاهرة 1994م
41. فؤاد جميعان. مأثر العرب العلمية اساس حضارة العرب . المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت2001م.
42. محمد أحمد بيومي. المجتمع والثقافة والشخصية دراسة في علم الاجتماع الثقافي. دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية د ت.
43. محمد أحمد مفلح القضاة وآخرون. مقدمات في علم القرآن. دار عمار، عمان 2001 م .
44. محمد عبد الله عنان.دولة الإسلام في الأندلس.ط4. مكتبة الخافجي، القاهرة1997م.
45. . . . دولة الإسلام في الأندلس عهد الفتنة الكبرى حتى نهاية عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله العصر الاول. القسم الثاني. مطبعة الفجالة، القاهرة1952م.
46. . . . الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية.مطبعة مصر، القاهرة1958م.
47. محمد عبد المنعم خفاجي. الأدب الأندلسي. دار الجيل، بيروت 1992م.
48. محمود حمدي زقزوق. تمهيد للفلسفة. ط6. دار المعارف، القاهرة2010م.
49. مصطفي السباعي. تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية. القاهرة1959م.
50. مصطفى عبد الرزاق. من روائع حضارتنا.ط2. دار الرشاد، بيروت1968م.
51. ناجي معروف. اصاله الحضارة العربية. دار الثقافة، بيروت 1973 م
52. وديع واصف مصطفي. ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق. المجمع الثقافي، ابوظبي 2000 م .
53. يوسف كرم. تاريخ الفلسفة اليونانية. دار المعارف، القاهرة1969م.

ثالثاً / الكتب العربية المترجمة

1. ادم متز الحضارة الاسلاميه في القرن الرابع الهجري . تر محمد عبد الهدي أبو زيد. ط4 دار الكتاب اللبناني، بيروت1964م.
2. ادم متز. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري. تر محمد الهادي عبود. مكتبة الفكر العربي، القاهرة1999م.
3. أنجل جنثالث بالنتيا، تاريخ الفكرالاندلسي . تر حسين مؤنس، مكتبه النهضة المصرية، القاهرة 1955م .
4. خوليات ريبيرا . التربيه الإسلامية في الأندلس، أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية . تر الطاهر مكي، ط 2، دار العارف القاهرة 1994 م
5. دافيد كوشمان كويل. السبيل إلى المجتمع العظيم. تر حنا مرقص. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة1965م
6. ديكن ميتشيل. معجم علم الاجتماع . تر إحسان محمد الحسن. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت1981م.
7. ر- م . ماكيفر – شارلز بيدج. المجتمع. تر علي أحمد عيسى. ط3. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة1974 .
8. رالف بارتن بيري. آفاق القيمة دراسة نقدية للحضارة الإنسانية . تر عبد المحسن عاطف سلام.

مكتبة النضة المصرية، القاهرة1968م
9. روجيه غاروري . من أجل حوار بين الحضارات . تر دوقان قرقوط. دار النفائس، بيروت 1990 م .
10. زيغريدهنكه . شمس العرب تسطع علي الغرب . تر فاروق بيضون – كمال الدسوقي. ط2. بيروت1979م.
11. سير أدوارد ايفانزير تشارد. الانثروبولوجيا الاجتماعية. تر أحمد أبو زيد. ط5. الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية1975 .
12. كارل بروكلمان. تاريخ الادب العربي. تر رمضان عبد التواب. ط 2 . دار المعارف القاهرة 1977 م .
13. لويس يونغ . العرب واوربا . تر ميشيل ازرق. دار الطليعة، بيروت1979م.
14. ليفي بروفسنال، الحضارة العربية في اسبانيا . تر الطاهر أحمد مكي . دار المعارف القاهرة 1979م .
15. ماكس فانتاجو. المعجزه العربيه . تر رمضان لاوند . ط. دار العلم للملايين بيروت1981 م .
16. هـ . ج . ولتر معالم تاريخ الإنسانية، تر عبد العزيز توفيق اجاويد . ط 3 القاهرة 1972م .
17. واشطن اير فينغ. الحمراء اثر الحضارة العربية الثقافي والاجتماعي في الأندلس. تر عبد الكريم ناصيف – هاني يحي. مركز الانماء الحضاري، حلب1996م.

رابعاً / المراجع الاجنبية

1. Bern hard and Ellen :M. Whishow Arabic Spain side lights on her history and arts .Dorf Publishers Ltd. London1986.

2. Chejne . Anwar . G. Muslim Spain its history and culture .Minneapolis1976.

3. Hottinger Arnold . Arabischekultur in Spain . Munchen . Wilhelm frink 1995 .

4. I. de Las Caglgas. minorias Etnico. Religiosas de La Edad Media Espanola. I. Losmozarales. Madrid. 1947. Tomo. P55.

5. Rein hart dozy .Spanish . slam .history of the Muslims in Spain. Translated by Francis Griffin Stokes . francass London 1972.

6. Th0mas Glick. Islmic and Christian Spanin the early middle

ege. Princeton university press. Princeton new Jersey1979.

7. Wall .W. Montgomery. Ahistory of Islamic Spin. 3edition. Edinburgh university press. GB 1977.

خامساً / الدوريات :

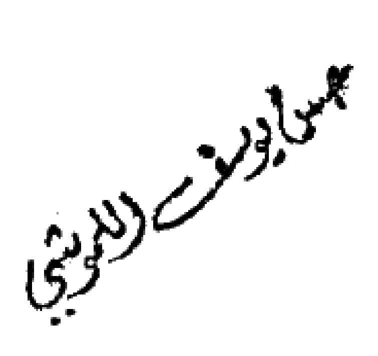
1 . مجلة الأزهر ج5 .مج الرابع والعشرون.القاهرة، يناير1965م.
2 . مجلة أكادمية المملكة المغربية. عدد5 . الرباط، ديسمبر1988م.
3 . مجلة دراسات تاريخية . عدد5، دمشق1981م.
4 . مجلة الدعوة الإسلامية، عدد 2 .كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس1985م.
5 . مجلة الدعوة الإسلامية. عدد4 . كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس1986م.
6 . مجلة الدعوة الإسلامية. عدد5 . كليةالدعوة الإسلامية، طرابلس1987م.
7 . مجلة الدعوة الإسلامية. عدد14 . كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس1997م.
8 . مجلة الرسالة. عدد37 . القاهرة1938م .
9 . مجلة السياسة الدولية. عدد27 . القاهرة1997م .
10 . مجلة المجلة. عدد22 . القاهرة1985م.
11 . مجلة المدينة المنورة. السنة الثانية. عدد4 . الجامعة الإسلامية1976م .
12 . مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية. عدد1 . مدريد1953م .
13 . مجلة الوعي الإسلامي. عدد37 . الكويت1968م.

سادساً / الرسائل الجامعية:

1 . عبد القادر عثمان محمد جاد الرب. الوضع الاجتماعي والسياسي لغرناطة في القرن الخامس الهجري. إطروحة رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس . الرباط . 1997م.

محتويات الكتاب

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem



تعد قرطبة في القرن الرابع الهجري من العواصم الإسلامية في العصور الوسطى التي ازدهرت فيها الثقافة والحضارة، وأصبحت لا تقل أهمية عن مثيلاتها، لا في الأندلس فحسب بل في سائر أنحاء الوطن الإسلامي، فهي لا تقل نشاطاً عن بغداد ودمشق والقاهرة والحجاز في المشرق، والقيروان وفاس بشمال أفريقيا، إلى جانب كونها محطة لرجال العلم ورواد الثقافة والعلماء في الفكر من سائر أرجاء العالم الإسلامي، وإن للجو العلمي السائد فيها في فترة الدولة الأموية أكبر الأثر في إنضاج الكفاءات العلمية وشحن العقول نحو الخلق والابتكار، وأصبحت منارة للعلم وحوت كثيراً من العلوم، وبدأت سوقاً رائجة لتجارة الكتب حتى أصبحت أكبر سوق في المغرب والأندلس، ورحل إليها كثير من العلماء في أنواع شتى من العلوم الدينية والأدبية والتطبيقية من داخل المدن الأندلسية، ومن أقطار المغرب والمشرق الإسلامي لنشر العلم وأنواع المعرفة.

